القلب والعقل
والفؤاد والصدر
في القرآن الكريم والسنة الشريفة

تأليف
غالب محمد ياسين أبو شخدم الحسيني

فلسطين - الخليل

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ ٢٠١٨م

القلب والعقل
والفؤاد والصدر
في القرآن الكريم والسنة الشريفة

تأليف

غالب محمد ياسين أبو شخدم الحسيني

الطبعة الأولى

٤/٢/١٤٤٠هـ – ١٢/١٠/٢٠١٨م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهــداء

لكل مسلم يتوق للإسلام أن ترفع رايته، وأن يعم خيره للإنسانية ويكون رسالة هدىً ونور. ولكل مسلم يعشق علوم القرآن الكريم. ولوالدي والأهل والأصدقاء. أهدي هذا الكتاب راجياً الله عز وجل أن يجعله من العلم الذي ينتفع به. وأن يكون في ميزان الحسنات وأن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم المجيب.

المؤلف

غالب

تاريخ بدء الكتابة

١٣/٢/١٩٩٨ م

تاريخ انتهاء الكتابة

١٢/١٠/٢٠١٨م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم بقلم

الشيخ الأستاذ مصطفى كامل خليل شاور

أحمد الله الحمد الوافر، وأصلي وأسلم على سيد الأوائل والأواخر، وأترضى على آله وصحابته النجوم الزواهر، وبعد:-

فقد رغب إليّ الأخ الكريم، وابن صفي القديم، غالب محمد ياسين أبو شخدم الحسيني أن أقدّم لكتابه الرائع والمعنون بعنوان :" القلب والعقل والفؤاد والصدر في القرآن الكريم والسنة الشريفة" فسارعت مسرورا لتلبية طلبه، كيف لا وهو العصامي علمياَ ، وفوق هذا والد الأسير البطل شادي والمحكوم بالمؤبدات فرّج الله كربه وكرب جميع إخوانه الأسرى والأسيرات . وهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ هو سياحة في القرآن ، وسباحة ماهرة في بحر التفسير الموضوعي، وقد أحسن وأجاد السباحة والسياحة في بحر الكلمات الأربع، القلب والعقل والفؤاد والصدر، فجمع وتوسع مستعينا بالمعاجم اللغوية ، وأمهات التفاسير، وجوامع كلم المصطفى، فاصطفى من المعلومات أرقها وأصفاها، وصاغها بأعذب الألفاظ، وأوضح المعاني فجزاه الله خيرا.

وأخيرا أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن ينفع بأخينا وما كتبته كفّه، وأن يكون في ميزان حسناته، ويرفع الله به درجاته . " اللهم آمين "

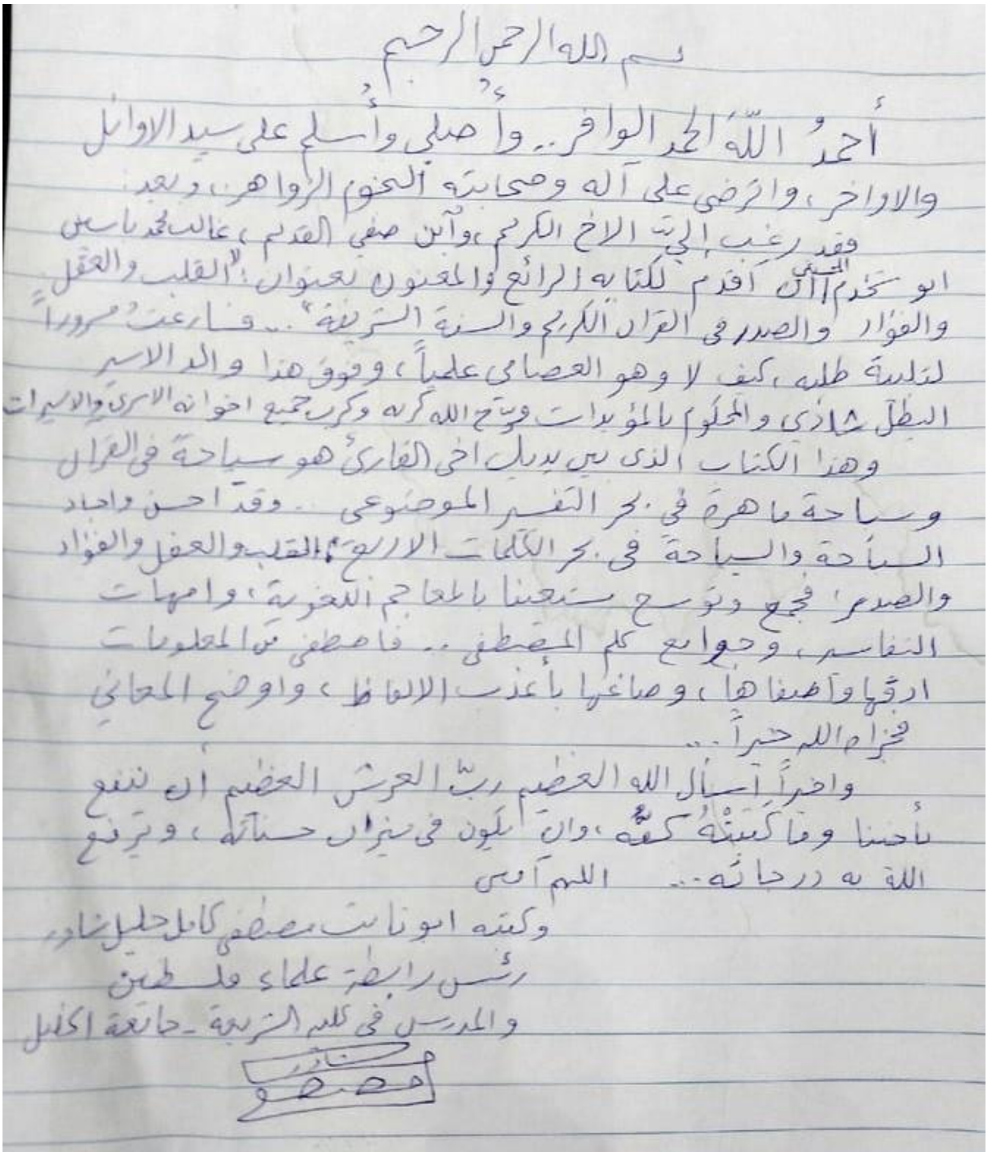
بقلم : أبي ثابت مصطفى كامل خليل شاور

رئيس رابطة علماء فلسطين والمدرس في كلية الشريعة – جامعة الخليل.

الموافق ١٧من شهر الله المحرم – ١٤٤٠هـ / ٢٧ – ٩ – ٢٠١٨م

تقديم بقلم

الشيخ الأستاذ مصطفى كامل خليل شاور



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُ اللهَ الحمدَ الوافر.. وأُصلي وأُسلم على سيد الأوائل والأواخر، وأرضى على آله وصحابته النجوم الزواهر، وبعد:

فقد رغب إليّ الأخ الكريم، وابن صفي القديم، عبدالله محمد ياسين أبو [illegible] أن أقدم لكتابه الرائع والمعنون بعنوان: "القلب والعقل والفؤاد والصدر في القرآن الكريم والسنة الشريفة".. فسارعتُ مسروراً لتلبية طلبه، كيف لا وهو العصامي علمياً، وفوق هذا والد الأسير البطل شاذي والمحكوم بالمؤبدات فرّج الله كربه وكرب جميع اخوانه الأسرى والأسيرات.

وهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ هو سياحة في القرآن وسباحة ماهرة في بحر التفسير الموضوعي.. وقد أحسن وأجاد السباحة والسياحة في بحر الكلمات الأربع: القلب والعقل والفؤاد والصدر، فجمع وتوسع مستعيناً بالمعاجم اللغوية، وأمهات التفاسير، وجوامع كلم المصطفى.. فاصطفى من المعلومات أدقها وأصفاها، وصاغها بأعذب الألفاظ، وأوضح المعاني فجزاه الله خيراً..

وأخيراً أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينفع بأخينا وما كتبه كله، وأن يكون في ميزان حسناته، ويرفع الله به درجاته.. اللهم آمين

وكتبه أبو ثابت مصطفى كامل خليل شاور

رئيس رابطة علماء فلسطين

والمدرس في كلية الشريعة - جامعة الخليل

مصطفى شاور

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمد المعترف بالذنب، والشاكر لنعمائه، والراجي لمغفرته، والخاضع لكبريائه، والمتذلل الفقير أمام عظمته، والمسكين في حضرته، والسائل رضوانه، والطامع في جنانه، والمستجير به منه، والمحب لنبيه ورسوله محمد ﷺ وآل بيته الأطهار، والمؤمن بجميع أنبيائه ورسله عليهم أفضل الصلاة والسلام، المؤمن بكتبه وجميع ما أنزل، والمصدق بكل ما غيب. حمداً يرضيه ويكافئ نعمه ويزيد أمثالها. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد ﷺ نور الهدى وعَلَمَ التقى وعلى آله وأزواجه وذريته الأطهار وأصحابه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان ليوم الدين.

لقد طلب مني أحد الأصدقاء أن أكتب عن موضوع القلب والعقل الذين وردا في القرآن الكريم. وهو ابن عم لي وهو المهندس فايز سليم أبو غليون الحسيني. عندها أخذت الموضوع بجدية وبدأت أبحث في كل ما تقع يدي عليه من كتب أو نشرات أو برامج وثائقية من تلفزيون وغيره ومن بحوث على صفحات الإنترنت.

وكنت منذ زمن أجهد نفسي في معرفة المقصود من معنى القلب وما هو مقصود الشارع لهذه الكلمة،

لقد وردت كلمة القلب في القرآن الكريم والحديث الشريف في الكثير من المواضع وكنت كلما مررت على هذه الكلمة أتأمل ملياً فيها

وأحاول البحث عنها وأسأل غيري ولم أجد جواباً شافياً ولم أجد من الكتب القديمة أو الكتب الحديثة من تحدث عنها أو أفرد لها باباً خاصاً بها، أو من خَصها بالبحث – هذا حد علمي –. فكان لهذا الطلب من صديقي دافعا قوياً في هذا البحث.

لذا قمت بالبحث في القرآن الكريم عن كلمة القلب فجمعت الآيات التي وردت فيها كلمة القلب ومختلف تصريفاتها، مثل: قلوب قلوبهم قلوبهن قلوبكم، وجمعت الآيات والعديد من الأحاديث التي وردت فيها كلمة القلب والصدر والعقل والفؤاد وتصريفاتهم.

وأخذت أبحث في التفاسير فلم أجد أفضل من تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن فاعتمدته لأنه يأتي بتفسيره وتفسير غيره من المفسرين وهو جامع للكثير من أقوال الصحابة رضوان الله عنهم وهو من أوسع التفاسير ويتعرض للناحية اللغوية في الكثير من الأحيان. وكنت أطلع على بعض كتب التفسير مثل تفسير بن كثير وغيره، ولكن المعتمد عندي هو تفسير القرطبي لأنه من أمهات كتب التفسير.

فكتبت ما يلزم من تفسير القرطبي لكل آية ليكون الشاهد على المعنى ونسبت القول لصاحبه كما أورده القرطبي، مثل ابن عمر وابن عباس ومالك بن أنس ومجاهد وسفيان وابن وقتادة أو الزجاج والكسائي والنحاس والخليل وسيبويه والأصمعي والجوهري أو غيرهم.

وأيضا اعتمدت في اللغة العربية أفضل المعاجم وهو لسان العرب، وهناك العديد من الكتب والمصادر المختلفة ذكرتها في المراجع وعند كتابة الموضوع.

فكان البحث على النحو التالي

أولاً: البحث اللغوي لكلمة العقل والقلب والفؤاد والصدر ومرادفاتهم.

ثانياً: تعريف عملية التفكير وتعريف بعض المعارف الفكرية والمعارف الشرعية مثل كلمة الفكر والنقل الشرعي والحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية والطمأنينة والمفهوم وغير ذلك من المعارف.

ثالثاً: الآيات التي وردت فيها كلمة القلب مع التفسير.

رابعاً: الآيات التي وردت فيها كلمة الصدر مع التفسير.

خامساً: الآيات التي وردت فيها كلمة الفؤاد مع التفسير.

سادساً: بعض من الأحاديث التي وردت فيها كلمات القلب والعقل والصدر والفؤاد.

ثامناً: بحث الأطباء وغيرهم عن القلب وهو بحث علمي

تاسعاَ: خلاصة البحث وهي النتيجة التي توصلت لها من البحث.

وهي أن هذه الكلمات نقلت نقلاً شرعياً. ولذلك وضعت العلامة التالية « » لتفسير كل آية وبعدها ما شرحته عن الآية وبينت المقصود من الآية ليستطيع القارئ أن يميز قولي من غيره. راجيا من الله القبول. فإن أصبت فمن توفيق الله سبحانه وتعالى وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

لقد استغرق هذا البحث والكتابة نحو عشرين سنة

المؤلف

غالب محمد ياسين أبو شخدم الحسيني

١٣/٢/١٩٩٨ م - ١٢/١٠/٢٠١٨م

البحث اللغـــوي

تعريف القلب والعقل والفؤاد والصدر ومرادفاتهم

القلـــــــب

القلب في اللغة: قال في لسان العرب: القلبُ تحويل الشيء عن وجهه. قَلَبَهُ يَقْلِبُه قلباً، وأقلَبه، الآخرةُ عن اللحياني، وهي ضعيفة. وقد انقَلَب، وقَلَبَ الشيء، وقلَّبه : حَوَّلَه ظهراَ لبطن وقَلَّبَ الأمور: بحَثها، ونظر في عواقبها. وفي التنزيل العزيز : وقَلَّبُوا لك الأمور. ورجلٌ قُلَّبٌ :َ تَقَلَبُ كيف يشاء وقوله تعالى: {تَتَقَلَّبُ فيه القُلُوبُ والأبصار}؛ قال الزجاج : معناه تَرْجُف وتَخِفَّ.

القَلْبُ: مضغةٌ من الفؤاد معلقةٌ بالنياط. ابن سيده. القَلْبُ الفؤاد، مذكر، صرح بذلك اللحياني والجمع اَقْلُب وقُلوبٌ، الأولى عن اللحياني، وقوله تعالى: نَزَلَ به الرَّوحُ الأمينُ على قَلْبك، قال الزجاج معناه نزل به جبريل عليه السلام عليك فوَعاهُ قَلْبُكَ؛ وثَبَتَ فلا تنساهُ أبدا .

وقد يعبر بالقَلْبِ عن العَقْل، قال الفراء في قوله تعالى: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قَلْبٌ؛ أي عَقْلُ: قال الفراء: وجائز في العربية أن تقول: مالك قَلْبُ، وما قَلْبُكَ معك، تقول: ما عقْلُكَ معك، وأين ذهب قَلْبُكَ؟ أي أين ذهب عَقْلُكَ؟ وقال غيره: لمن كان له قَلْبٌ أي تفهّمٌ وتدبّرٌ. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: أتاكم أهل اليمن، هم أرقُ قُلوباً، وأليَنُ أفئدةٌ. فوصف القلوبَ بالرقة، والأفئدةُ باللّين. وكأن القَلْب أخَصَّ من الفؤاد في الاستعمال، ولذلك قالوا: أصبتُ حَبَّة قَلْبِه، وسويداء قلبِه، وأنشد بعضهم

لَيْتَ الغرابَ رمى حماطةَ قَلْبِهِ		عَمْرٌو بأسهمه التي لم تُغْلَبي

وقيل: القُلْوب والأفئدةٌ قريبان من السواء. وكَرَّرَ ذكرهما لاختلاف اللفظيين تأكيدً وقال بعضهم سمي القَلْبُ قَلْباً لِتَقَلُبِهِ، و أنشد

ما سُمِيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلَّبِهِ		والرَّيُ يصرف بالإنسان أطوارا

وروي عن النبي ﷺ قال: سبحان مُقَلِّب القُلُوب؛ قال الله تعالى: ونُقَلِبُ أفئدتهم وأبصارهم.

وقال الأزهري: ورأيت بعض العرب يُسَمِّي لحمة القَلْبِ كلها، شحمها وحجابها قَلْبَ وفُؤاد، قال: ولم أرهم يفرقون بينهما؛ قال: ولا أنكر أن يكون القَلْبُ هي العلق السوداء في جوفه وقَلْبُ النخلة وقُلْبُها: لبُها وشحمتها. وقال أبو حنيف مَرَةً: القلبُ أجود خُوص النخلة وأشده بياضًا، وقلب كل شيء لبه، وخالصه، ومحضه؛ نقول جئتك بهذا الأمر قلباً أي محضًا لا يشوبه شيء. وفي الحديث: إن لكل شيء قلباً وقلبُ القرآن ياسين. وقولهم: هو عربيٌ قلبٌ، عربيةٌ قلبتٌ، وقلبُ أي خالص، رجل قلبٌ محض النسب.{[1]}

---

[1] – لسان العرب

العقـــــل

العقل في اللغة:-

عقل: العَقْلُ: الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، والجمع عُقولٌ. وفي حديث عمرو بن العاص: تِلْك عُقولٌ كادَها بارِئُها أَي أَرادها بسُوءٍ، عَقَلَ يَعْقِل عَقْلاً ومَعْقولاً، وهو مصدر؛ قال سيبويه: هو صفة، وكان يقول إن المصدر لا يأْتي على وزن مفعول البتَّةَ، ويَتأَوَّل المَعْقُول فيقول: كأَنه عُقِلَ له شيءٌ أَي حُبسَ عليه عَقْلُه وأُيِّد وشُدِّد، قال: ويُسْتَغْنى بهذا عن المَفْعَل الذي يكون مصدراً؛ وأَنشد ابن بري:

فَقَدْ أَفادَتْ لَهُم حِلْماً ومَوْعِظَةً	لِمَنْ يَكُون له إِرْبٌ ومَعْقولُ

وعَقَل، فهو عاقِلٌ وعَقُولٌ من قوم عُقَلاء. ابن الأَنباري: رَجُل عاقِلٌ وهو الجامع لأَمره ورَأْيه، مأْخوذ من عَقَلْت البَعِيرَ إِذا جَمَعْتَ قوائمه، وقيل: العاقِلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هواها، أُخِذَ من قولهم قد اعْتُقِل لِسانُه إِذا حُبِسَ ومُنِعَ الكلامَ، {والمَعْقُول: ما تَعْقِله بقلبك}. والمَعْقُول: العَقْلُ، يقال: ما لَهُ مَعْقُولٌ أَي عَقْلٌ، وهو أَحد المصادر التي جاءت على مفعول كالمَيْسور والمَعْسُور. و عاقَلَهُ فعَقَلَه يَعْقُلُه، بالضم: كان أَعْقَلَ منه. والعَقْلُ: التَّثَبُّت في الأُمور. (والعَقْلُ: القَلْبُ، والقَلْبُ العَقْلُ)، وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه، وقيل: {العَقْلُ هو التمييز الذي به يتميز الإِنسان من سائر الحيوان}، ويقال: (لِفُلان قَلْبٌ عَقُول، ولِسانٌ سَؤُول، وقَلْبٌ عَقُولٌ فَهِمٌ)؛ وعَقَلَ الشيءَ يَعْقِلُه عَقْلاً: فَهِمه. ويقال أَعْقَلْتُ فلاناً أَي أَلْفَيْته عاقِلاً. وعَقَّلْتُه أَي

صَيَّرته عاقِلاً. وتَعَقَّل: تَكَلَّف العَقْلَ، كما يقال تَحَلَّمَ وتَكَيَّس. وتَعاقَل: أَظْهَرَ أَنه عاقِلٌ فَهِمٌ وليس بذاك. وفي حديث الزِّبْرِقانِ: أَحَبُّ صِبْيانِنا إِلينا الأَبْلَهُ العَقُول؛ قال ابن الأَثير: هو الذي يُظَنُّ به الحُمْقُ فإِذا فُتِّش وُجِد عاقلاً، والعَقُول فَعُولٌ منه للمبالغة. وعَقَلَ الدواءُ بَطْنَه يَعْقِلُه ويَعْقُلُه عَقْلاً: أَمْسَكَه، وقيل: أَمسكه بعد اسْتِطْلاقِهِ، واسمُ الدواء العَقُولُ. ابن الأَعرابي: يقال عَقَلَ بطنُه واعْتَقَلَ، ويقال: أَعْطِني عَقُولاً، فيُعْطِيه ما يُمْسِك بطنَه. ابن شميل: إِذا اسْتَطْلَقَ بطنُ الإِنسان ثم اسْتَمْسَكَ فقد عَقَلَ بطنُه، وقد عَقَلَ الدواءُ بطنَه سواءً. واعْتَقَلَ لِسانُه: امْتَسَكَ. الأَصمعي: مَرِضَ فلان فاعْتُقِل لسانُه إِذا لم يَقْدِرْ على الكلام؛ قال ذو الرمة:

ومُعْتَقَل اللِّسانِ بغَيْر خَبْلٍ،	يَميد كأَنَّه رَجُلٌ أَمِيمُ

واعْتُقِل: حُبِس. وعَقَلَه عن حاجته يَعْقِله وعَقَّله وتَعَقَّلَهُ واعتَقَلَه: حَبَسَه. وعَقَلَ البعيرَ يَعْقِلُه عَقْلاً وعَقَّلَه واعْتَقَله: ثَنى وَظِيفَه مع ذراعه وشَدَّهما جميعاً في وسط الذراع، وكذلك الناقة، وذلك الحَبْلُ هو العِقالُ، والجمع عُقُلٌ. وعَقَّلْتُ الإِبلَ من العَقْل، شُدِّد للكثرة؛ وقال بُقَيْلة الأَكبر وكنيته أَبو المِنْهال:

يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدٌ شَيظَمِيٌّ،	وبِئْسَ مُعَقِّلُ الذَّوْدِ الظُّؤَارِ

وفي الحديث: القُرْآنُ كالإِبلِ المُعَقَّلة أَي المشدودة بالعِقال، والتشديد فيه للتكثير؛ وفي حديث عمر: كُتِب إِليه أَبياتٌ في صحيفة؛ منها:

فَما قُلُصٌ وُجِدْنَ مُعَقَّلاتٍ	قَفا سَلْعٍ، بمُخْتَلَفِ التِّجارِ

يعني نِساءً مُعَقَّلات لأَزواجهن كما تُعَقَّل النوقُ عند الضِّراب؛ ومن الأَبيات أَيضاً:

يُعَقِّلُهنَّ جَعْدَة من سُلَيْم

أَراد أَنه يَتَعَرَّض لهن فكَنى بالعَقْلِ عن الجماع أَي أَن أَزواجهن يُعَقِّلُونَهُنَّ وهو يُعَقِّلهن أَيضاً، كأَنَّ البَدْء للأَزواج والإِعادة له، وقد يُعْقَل العُرْقوبانِ. والعِقالُ: الرِّباط الذي يُعْقَل به، وجمعه عُقُلٌ. قال أَبو سعيد: ويقال عَقَلَ فلان فلاناً وعَكَلَه إِذا أَقامه على إِحدى رجليه، وهو مَعْقُولٌ مُنمُنْذُ اليومِ،{[١]}

والعقل في اللغة هو:- إدراك الشيء على حقيقته يقال عَقَلَ – عَقْلاً: أدرك الأشياء على حقيقتها، الغلام أدرك وميز، واليه عَقْلاً وعُقولاً: لجأ وتحصن.{[٢] }

---

[١] – لسان العرب .

[٢] – معجم الوسيط .

لُـــــبٌّ

لُبٌّ: من لبب: لُبٌّ: كلِّ شيءٍ، ولُبابُه: خالِصُه وخِيارُه، وقد غَلَبَ اللُّبُّ على ما يؤكل داخلُه، ويُرْمى خارجُه من الثَّمر. ولُبُّ الجَوْز واللَّوز، ونحوهما: ما في جَوْفه، والجمعُ اللُّبُوبُ؛ تقول منه: أَلَبَّ الزَّرْعُ، مثل أَحَبَّ، إذا دَخَلَ فيه الأُكلُ. ولَبَّبَ الحَبُّ تَلْبِيباً: صار له لُبٌّ. ولُبُّ النَّخلةِ: قَلْبُها. وخالِصُ كلِّ شيءٍ: لُبُّه. الليث: لُبُّ كلِّ شيءٍ من الثمار داخلُه الذي يُطْرَحُ خارجُه، نحو لُبِّ الجَوْز واللَّوز. قال: و لُبُّ الرَّجُل: ما جُعِل في قَلْبه من العَقْل. وشيءٌ لُبابٌ: خالِصٌ. ابن جني: هو لُبابُ قَومِه، وهم لُبابُ قومهم، وهي لُبابُ قَوْمها؛ قال جرير:

تُدَرِّي فوقَ مَتْنَيْها قُروناً	على بَشَرٍ، وآنِسَةٌ لُبابُ

والحَسَبُ: اللُّبابُ الخالصُ، ومنه سميت المرأَة لُبابَة. وفي الحديث: إنَّا حَيٌّ من مَذْحجٍ، عُبابُ سَلَفِها ولُبابُ شرَفِها. اللَّبابُ: الخالِصُ من كل شيءٍ، كاللُّبِّ. و اللُّبابُ: طَحِينٌ مُرَقَّقٌ. ولَبَّبَ الحَبُّ: جَرَى فيه الدَّقيقُ. ولُبابُ القَمْح، ولُبابُ الفُسْتُقِ، ولُبابُ الإِبلِ: خِيارُها. ولُبابُ الحَسَبِ: مَحْضُه. واللُّبابُ: الخالِصُ من كلِّ شيءٍ؛ قال ذو الرمة يصف فحلاً مِئناثاً:

سِبَحْلاً أَبا شِرْخَينِ أَحْيا بَناتِه	مَقالِيتُها، فهي اللُّبابُ الحَبائسُ

وقال أَبو الحسن في الفالوذَج: لُبابُ القَمْحِ بلُعابِ النَّحْل. ولُبُّ كلِّ شيءٍ: نفسُه وحقِيقَتُه. وربما سمي سمُّ الحيةِ: لُبّاً. واللُّبُّ: العَقْلُ، والجمع أَلبابٌ وأَلْبُبٌ؛ قال الكُمَيْتُ:

إِلَيكُمْ، بنـي آلِ النبـيّ، تطَلَّعَتْ	نَوازِعُ من قَلْبـي، ظِماءٌ، وأَلْبُبُ

وقد جُمِعَ علـى أَلُبَ، كما جُمِعَ بُؤْسٌ علـى أَبْؤُس، ونُعْم علـى أَنْعُم؛ قال أَبو طالب: قلْبـي إِلـيه مُشْرِفُ الأَلُبِّ واللَّبابةُ : مصدرُ اللَّبِيب. وقد لَبُبْتُ أَلَبُّ، و لَبِبْتَ تَلَبُّ، بالكسر، لُبّاً و لَبّاً و لَبابةً: صِرْتَ ذا لُبَ. وفـي التهذيب: حكى لَبُبْتُ، بالضم، وهو نادر، لا نظير له فـي المضاعف، وقيل لِصَفِيَّة بنت عبد المطَّلب، وضَرَبَت الزُّبَير: لـم تَضْرِبينَهُ؟ فقالتْ: لِيَلَبَّ، ويقودَ الـجَيشَ ذا الـجَلَب أَي يصير ذا لُبَ. ورواه بعضهم: أَضْرِبُه لكيْ يَلَبَّ، ويَقودَ الـجَيشَ ذا اللَّجَب. قال ابن الأَثير: هذه لغةُ أَهلِ الـحِجاز؛ وأَهْلُ نَـجْدٍ يقولون: لَبَّ يَلِبُّ بوزن فَرَّ يَفِرُّ. ورجل ملبوبٌ: موصوف باللَّبابة. و لَبيبٌ: عاقِلٌ ذُو لُبَ، مِن قوم أَلِبّاء؛ قال سيبويه: لا يُكَسَّرُ علـى غير ذلك، والأُنْثى لبيبةٌ. الـجوهري: رجلٌ لَبيبٌ، مثلُ لَبَ، قال الـمُضَرِّبُ بن كَعْب:

فقلتُ لها: فِيئي إِلَـيكِ، فإِنَّنـي	حَرامٌ، وإِن بعد ذاك لَبِيبُ

التهذيب: وقال حسان:

وجارِيَةٍ مَلْبُوبةٍ ومُنَـجَّسٍ	وطارِقةٍ، فـي طَرْقِها، لـم تُشَدِّدِ

واسْتَلَبَّهُ: امْتَحَنَ لُبَّهُ. ويقال: بناتُ أَلْبُبٍ عُروق فـي القَلْبِ، يكون منها الرِّقَّةُ. وقيل لأَعْرابيةٍ تُعاتِبُ ابْنَها. ما لَكِ لا تَدْعِينَ عليه؟ قالت: تَأْبى له ذلك بناتُ أَلْبُبـي. الأَصمعي قال: كان أَعرابـيٌّ عنده امرأَة فَبَرِمَ بها، فأَلْقاها فـي بِئرٍ غَرَضاً بها، فمرَّ بها نَفَرٌ فسَمِعوا هَمْهَمَتها من البئر، فاسْتَـخْرجوها، وقالوا: من فَعَلَ هذا بك؟ فقالت: زوجي، فقالوا ادعِي اللَّه عليه، فقالَتْ: لا تُطاوِعُنـي بناتُ أَلْبُبـي. قالوا: وبَناتُ أَلْبُبٍ عُروقٌ متصلة

بالقلب. ابن سيده: قد عَلِمَتْ بذلك بَناتُ أَلبَبِه؛ يَعْنُونَ لُبَّه، وهو أَحد ما شَذَّ من المُضاعَف، فجاءَ على الأَصل؛ هذا مذهب سيبويه، قال يَعْنُونَ لُبَّه؛ وقال المبرد في قول الشاعر: {[1]}

لَبَّ :- لَبابةً : صار ذا عقل .فهو لَبيب. {[2]}

الُّب ُّ: من كل شيء: خالصه وخيارِه . ونفسه وحقيقته . ولُبُّ الجوز واللَّوز ونحوهما : ما في جوفه . و – العقل .ج – الباب ، وأَلُبِّ، و (أَلْبُبٌ في الشعر). ويقال: أنا أحبُّك من بناتِ أَلْبُلِى: من أصل نفسي. {[3]}

---

[1] – لسان العرب.

[2]- معجم الوسيط.

[3] – معجم الوسيط.

النُّهَـــــــى

النُّهَى: العَقْل، يكون واحداً وجمعاً. وفـي التنزيل العزيز: {إِنَّ فـي ذلك لآيات لأُولـي النُّهَى} والنُّهْيَةُ: العقل، بالضم، سميت بذلك لأَنها تَنْهَى عن القبيح؛ وأَنشد ابن بري لـلخَنساء:

فَتـىً كان ذا حِلْـمٍ أَصِيلٍ ونُهْيَـةٍ	إِذا ما الـحُبَا مِن طائِفِ الـجَهْل حُلَّتِ

ومن هنا اختار بعضهم أَن يكون النُّهَى جمع نُهْيةٍ ، وقد صرح اللـحيانـي بأَن النُّهَى جمع نُهْيَة فأَغْنَى عن التأْويل. وفـي الـحديث: لِيَلِيَنِّـي منكم أُولو الأَحلام والنُّهَى؛ هي العقول والأَلباب. وفـي حديث أَبـي وائل: قد عَلِمْتُ أَن التَّقِـيَّ ذو نُهْيَةٍ أَي ذو عقل. و النِّهاية و الـمَنْهاة: العقل كالنُّهْية. ورجل مَنْهاةٌ: عاقلٌ حَسَنُ الرأْي؛ عن أَبـي العميثل. وقد نَهُو ما شاء فهو نَهِيٌّ، من قوم أَنْهِياء: كل ذلك من العقل. وفلان ذو نُهْيةً أَي ذو عقل يَنْتَهِي به عن القبائح ويدخل فـي الـمحاسن. وقال بعض أَهل اللغة: ذو النُّهْيةِ الذي يُنْتَهَى إِلـى رأْيه وعقله. ابن سيده: هو نَهِيٌّ من قوم أَنْهياء، ونَهٍ من قوم نَهِينَ، ونِهٍ علـى الإِتباع، كل ذلك مُتَنَاهي العقل؛ قال ابن جنـي: هو قياس النـحويين فـي حروف الـحلق، كقولك فِخِذ فـي فَخِذ وصِعِق فـي صَعِق، قال: وسمي العقل نُهْيةً لأَنه يُنْتَهى إِلـى ما أَمَر به ولا يُعْدى أَمْرهُ. وفـي قولهم: ناهِيكَ بفلان معناه كافِيكَ به، من قولهم قد نَهِيَ الرجلُ من اللـحم و أَنْهَى إِذا اكْتَفى منه وشبع.{[1] }.

---

[1] – لسان العرب .

النُّهَى:- جمع النُّهية:-. العَقْلُ. النَّهِى: من يبلغ غاية في السلامة التفكير. ج - نَهُونَ. النُّهْيَةُ: غاية الشيء وآخره. و - الفُرْضَة في رأس الوتد تمنع الحَبْلَ أن ينسلخ. و- العَقْلُ. ج - نُهى{[1]}.

---

[1] - **معجم الوسيط .**

الذِّهْـــــنُ

ذهن: الذِّهْنُ: الفهم والعقل. والذِّهْنُ أَيضاً: حِفْظُ القلب، وجمعهما أَذْهان. تقول: اجعل ذِهْنَك إِلى كذا وكذا. ورجل ذَهِنٌ وذِهْنٌ كلاهما على النسب، وكأَنَّ ذِهْناً مغيَّر من ذَهِنٍ. وفي النوادر: ذَهِنْتُ كذا وكذا أَي فهمته. وذَهَنتُ عن كذا: فَهِمْتُ عنه. ويقال: ذَهَنني عن كذا وأَذْهَنَني واستَذْهَنَنِي أَي أَنساني وأَلهاني عن الذِّكرِ. الجوهري: الذَّهَنُ مثل الذِّهْنِ، وهو الفِطْنة والحفظ. وفلان يُذاهِنُ الناس أَي يُفاطنهم. وذاهَنَنِي فَذَهَنْتُه أَي كنت أَجْوَدَ منه ذِهْناً. والذِّهْنُ أَيضاً: القُوَّة؛ وقال الشاعر أوس بن حجر: (المتقارب)

أَنُوءُ بِرجْلٍ بها ذِهْنُها، وأَعْيَتْ	بها أُخْتُها الغابِرَ هو الغابرة

.{[1]}

ذهن:- قَرَنَهُ - ذهْناً: غَلَبَهُ وفاقهُ جودةَ ذهنٍ. ذهن ذهَناً: فطن.- والشيء: فهمه وعقلهُ. فهو ذهِن، وهي ذهنةٌ (ذُهِنَ) فلانٌ: ذهب بذهنهِ فلا يعي فهو مذهون. ذَهُنَ: ذَهانةٌ: وعي ذهنه ما أُدعه. ذاهَنَهُ: فاطَنَهُ وباراهُ في جَوْدَةِ الذِّهن. اسْتَذْهَنَهُ: حُبُّ الدُّنيا: ذهبَ بِذِهْنِهِ.(الذِّهْنُ): الفهم والعقل. جمع أذْهان. ويوصف به فيقال: فلان ذِهْنٌ: ذكيٌّ فطن. ويطلق أيضاً على التفكير وقوانينه، أو مجرّد الاستعداد للإدراك {[2]}.

---

[1] – لسان العرب .

[2] – معجم الوسيط .

الحُلْـــــمُ

حلم: الحُلْمُ والحُلُم: الرُّؤْيا، والجمع أَحْلام. يقال حَلَمَ يَحْلُمُ إِذا رأى في المَنام. ابن سيده حَلَمَ في نومه يَحْلُمُ حُلُماً واحْتَلَم وانْحَلَمَ؛ قال بشر بن أَبي خازم:

أَحَقٌّ ما رأَيتَ أَمِ احْتِلامُ؟

ويروى أَم انْحِلامُ. وتَحَلَّمَ الحُلْمَ: استعمله. و حَلَمَ به و حَلَمَ عنه و تَحَلَّم عنه: رأَى له رُؤْيا أَو رآه في النوم. وفي الحديث: من تَحَلَّم ما لم يَحْلُمْ كُلِّفَ أَنْ يَعقِدَ بين شَعيرتين، أَي قال إِنه رأَى في النوم ما لم يَرَهُ. وتَكَلَّفَ حُلُماً: لم يَرَه. يقال حَلَم بالفتح، إِذا رأَى، وتَحَلَّم إِذا ادعى الرؤيا كاذباً، قال: فإِن قيل كَذِبُ الكاذِبِ في منامِه لا يزيد على كَذبه في يَقَظَتِه، فلِمَ زادَتْ عُقوبته ووعيده وتَكليفه عَقْدَ الشعيرتين؟ قيل: قد صح الخَبَرُ أَن الرؤيا الصادقة جُزْءٌ من النُّبُوَّة، والنبوةُ لا تكون إِلا وَحْياً، والكاذب في رؤياه يَدَّعِي أَن اللَّه تعالى أَراه ما لم يُرِهِ، وأَعطاه جزءاً من النبوة ولم يعطه إِياه، والكاذِبُ على اللَّه أَعظم فِرْيَةً ممن كذب على الخلق أَو على نفسه. و الحُلْمُ: الاحتلام أَيضاً، يجمع على الأَحْلام. وفي الحديث: الرؤيا من اللَّه و الحُلْمُ من الشيطان، والرؤيا والحُلْمُ عبارة عما يراه النائم في نومه من الأَشياء، ولكن غَلَبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحُلْمُ على ما يراه من الشر والقبيح؛ ومنه قوله (عزّ وجلّ): {أَضْغاثُ أَحْلامٍ}، ويُستعمل كلُّ واحد منهما موضع الآخر، وتُضَم لامُ الحُلُمِ وتسكن. الجوهري: الحُلُمُ، بالضم، ما يراه النائم.

وتقول: حَلَمْتُ بكذا وحَلَمْتُه أَيضاً قال: فَحَلَمْتُها وبنُو رُفَيْدَةَ دونها، لا يَبْعَدَنَّ خَيالُها المَحْلُومُ ويقال: قد حَلَمَ الرجلُ بالمرأَة إِذا حَلَمَ في نومه أَنه يباشرها. قال: وهذا البيت شاهد عليه. وقال ابن خالوَيْه: أَحْلامُ نائمٍ ثِيابٌ غِلاظٌ . و الحُلْم والاحْتِلامُ: الجِماع ونحوه في النوم، والاسم الحُلُم. وفي التنزيل العزيز: {لم يبلغوا الحُلُمَ}؛ والفِعْل كالفِعْل. وفي الحديث: أَن النبي، صلّى الله عليه وسلّم، أَمر مُعاذاً أَن يأْخذ من كل حالِمٍ ديناراً يعني الجزية؛ قال أَبو الهيثم: أَراد بالحالِمِ كلَّ من بَلَغَ الحُلُمَ وجرى عليه حُكْمُ الرجال، احَتَلَمَ أَو لم يَحْتَلِم. وفي الحديث: الغُسْلُ يومَ الجمعة واجب على كل حالِمٍ إِنما هو على من بلغ الحُلُم أَي بلغ أَن يَحْتَلِم أَو احْتَلَمَ قبل ذلك، وفي رواية: مُحْتَلِمٍ أَي بالغ مُدْرِك. و الحِلْمُ، بالكسر: الأَناةُ والعقل، وجمعه أَحْلام و حُلُومٌ. وفي التنزيل العزيز: {أَمْ تَأْمُرُهُم أَحْلامُهم بهذا}؛ قال جرير:

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لأَقوامٍ، فتُنْذِرَهُم ما	جَرَّبَ الناسُ من عَضِّي وتَضْرِيسي ؟

قال ابن سيده: وهذا أَحد ما جُمِعَ من المصادر. وأَحْلامُ القوم: حُلَماؤهم، ورجل حَلِيمٌ من قوم أَحْلامٍ وحُلَماء، و حَلُمَ، بالضم، يحْلُم حِلْماً: صار حَلِيماً، و حلُم عنه و تَحَلَّم سواء. و تَحَلَّم: تكلف الحِلْمَ؛ قال: تَحَلَّمْ عن الأَدنَيْنَ واسْتَبْقِ وُدَّهم، ولن تستطيعَ الحِلْمَ حتى تَحَلَّما وتَحالَم: أَرَى من نفسه ذلك وليس به. والحِلْم: نقيضُ السَّفَه؛ وشاهدُ حَلُمَ الرجُلُ، بالضم، قولُ عبد الله بن قَيْس الرُّقَيَّات:

مُجَرَّبُ الحَزْمِ في الأُمور، وإِن خَفَّتْ	حُلُومٌ بأَهلِها حَلُمَا وحَلَّمه تَحلِيماً

: جعله حَلِيماً؛ قال المُخَبَّل السعدي:

ورَدُّوا صُدورَ الـخَيْل حتـى تَنَهْنَهَت إلـ	ى ذي النُّهي ، واسْتَيْدَ هُوا للـمُحَلِّمِ

أَي أَطاعوا الذي يأْمرهم بالـحِلْمِ، وفـي حديث النبـي، صلّـى الله عليه وسلّم، فـي صلاة الـجماعة: لِيَلِيَنِّـي منكم أُولو الأَحْلام والنُّهَي أَي ذوو الأَلباب والعقول، واحدها حِلْمُ بالكسر، وكأَنه من الـحِلْم الأَناةِ والتثبُّت فـي الأُمور، وذلك من شِعار العقلاء. و أَحْلَمتِ المرأَةُ إِذا ولدت الـحُلَماء.{[1]}

حَلَمَ:– حُلْماً، وحُلُماً: رأى في نومه رؤيا.– والصبي: أدرك وبلغ مبلغ الرجال.

حَلُمَ:– حِلْماً: تأنَّى وسكن عند غضبٍ أو مكروه مع قدرة وقوة.– وصفح. وعَقَل.

احتَلَمَ:– حَلَمَ. – والصبي: أدرك وبلغ مبلغ الرجال.

الحِلْمُ:– الأناة وضَبْطُ النفس.– والعقل؛ وفي التنزيل العزيز {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا}. ويقال: لمن يتعظ إذا وعظ وينتبه إذا نُبِّهَ (إنَّ العصا قُرِعت لذى الحِلم). ويقال للأماني الكاذبة: أحلام نائمٍ.{[2] }.

[1] – لسان العرب

[2]– معجم الوسيط .

الفـــــــؤاد

الفؤاد: القلبُ تَفَؤُّدِه وتوقُّدِه، مذكر لا غير، صرح بذلك اللحيانـي، يكون ذلك لنوع الإنسان وغيره من أَنواع الحيوان الذي له قلب؛ قال يصف ناقة:

كمِثْلِ أَتانِ الوَحْشِ، أَما فُؤادُها	فَصَعْبٌ، وأَما ظَهْرُها فَرَكُوبُ

والفؤاد: القلب، وقيل: وسَطهُ، وقيل: الفؤاد غِشاءُ القلبِ، والقلبُ حبته وسُوَيْداؤُه؛ وقول أَبـي ذؤيب:

رآها الفُؤادُ فاستَضلَّ ضَلالَه،	نِيافاً من البيضِ الحِسانِ العَطائِلِ

رأَى ههنا من رؤية القلب وقد بيّنه بقوله رآها الفؤاد، والمفعول الثانـي نيافاً، وقد يكون نيافاً حالاً كأَنه لما كانت محبتها تلـي القلب وتدخله صار كأَن له عينين يراها بهما؛ وقول الهذلـي:

فقَامَ فـي سِيَتَيْها فانْحَنى فَرَمى،	وسَهْمُه لِبَناتِ الجَوْفِ مَسَّاسُ

يعنـي ببنات الجَوْف الأَفئدةَ، والجمع أَفئدةٌ؛ قال سيبويه: ولا نعلمه كُسِّر علـى غير ذلك. وفـي الحديث: أَتاكم أَهلُ اليمن هم أَرقُّ أَفئدةً وأَلْيَنُ قلوباً. و فأَده يَفْأَدُه فَأْدَاً: أَصاب فؤاده. وفئِدَ فَأَدَاً: شكا فُؤَادَه وأَصابه داء فـي فؤَاده، فهو مَفْؤُودٌ. وفـي الحديث: أَنه عاد سعداً وقال: إِنك رجل مَفْؤُودٌ. المفؤُودُ: الذي أُصيب فؤادُه بوجع. وفـي حديث عطاء: قيل له: رجل مَفْؤُودٌ يَنْفُثُ دماً أَحدَثٌ هو؟ قال: لا؛ أَي يُوجعهُ فُؤَادُه فَيَتَقَيَّأُ دماً. ورجل مَفْؤُود: جبان ضعيف الفؤاد مثل المَنْخُوب. ورجل مَفْؤُودٌ وفَئِيدٌ: لا فُؤَادَ له؛ ولا فِعْل له. قال ابن جنـي: لم يُصَرِّفُوا منه فِعلاً، ومفعول

الصفة إنما يأْتـي علـى الفعل، نـحو مَضْرُوب من ضُرِب ومقتول من قُتِلَ.
التهذيب: فأَدْتُ الصيْدَ أَفْأَدُه فَأْداً أَصبت فُؤادَه.{[1]}

الفُؤَادُ: القلبُ؛ وفي التنزيل العزيز: (مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى). ويقال هو فارِغ: الفُؤَادُ: لا هم عنده ولا حزن، أو سيئ الحال، وبه قال بعض المفسرين؛ في قوله تعالى (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) سورة القصص آية (١٠) وجمعه أَفئِدَةٌ. {[2]}

---

[1] – لسان العرب.

[2] - معجم الوسيط.

الصـــــــدر

الصدر في اللغة:- قال في لسان العرب: صدر: الصَّدْر: أَعلى مقدَّم كل شيء وأَوَّله، حتى إِنهم ليقولون: صَدْر النهار والليل، و صَدْر الشتاء والصيف وما أَشبه ذلك مذكَّراً؛ فأَما قول الأَعشى:

وَيَشْرَقُ بالقَوْل الذي قد أَذَعْتَه،	كما شَرِقَتْ صَدْر القَناة من الدَّمِ

قال ابن سيده: فإِن شئت قلت أَنث لأَنه أَراد القناة، وإِن شئت قلت إِن صَدْر القَناة قَناة؛ وعليه قوله:

مَشَيْنَ كما اهْتَزَّت رِماح، تَسَفَّهَتْ	أَعالِيها مَرُّ الرِّياح النَّواسِم

والصَّدْر: واحد، وهو مذكر، وإِنما أَنثه الأَعشى في قوله: كما شَرِقَتْ صَدْر القَناة على المعنى، لأَنَّ صَدْر القَناة من القَناة، وهو كقولهم: ذهبت بعض أَصابعه لأَنهم يؤَنِّثُون الاسم المضاف إِلى المؤنث، و صَدْر القناة: أَعلاها. وصَدْر الأَمر: أَوَّله. و صَدْر كل شيء: أَوَّله. وكلُّ ما واجهك: صَدْرٌ، وصدر الإِنسان منه مذكَّر؛ عن اللحياني، وجمعه صُدُور، ولا يكسَّر على غير ذلك. وقوله عزّ وجلّ: {ولكن تَعْمَى القُلوب التي في الصدور}؛ والقلب لا يكون إِلاَّ في الصَّدْر إِنما جرى هذا على التوكيد، كما قال عزّ وجلّ: {يقولون بأَفواههم}؛ والقول لا يكون إِلاَّ بالفَمِ لكنه أَكَّد بذلك، وعلى هذا قراءة من قرأَ: {إِن هذا أَخي له تِسْعٌ وتسعون نَعْجَةٌ} أُنثى.: الصَّدْر، وقيل: ما أَشرف من أَعلاه. والصَّدْر: الطائفة من الشيء. التهذيب: والصُّدْرة من الإِنسان ما أَشرف من أَعلى صدْره؛ ومنه الصُّدْرة التي تُلْبَس؛ قال الأَزهري: ومن هذا قول امرأَة طائيَّة كانت تحت

امرئ القيس، فَفَرَكَتْهُ وقالت: إنـي ما عَلِمْتُكَ إلاَّ ثَقِيل الصُّدْرة سريع الهِدافَة بَطِيء الإفاقة.

والأَصْدَر: الذي أَشرفت صُدْرته. والـمَصْدُور: الذي يشتكي صدره؛ وفـي حديث ابن عبد العزيز: قال لعبيد ابن عبد بن عتبة: حتـى مَتـى تقولُ هذا الشعر؟ فقال:

لا بُدَّ للـمَصْدُور من أَن يَسْعُلا

الـمَصْدُور: الذي يشتكي صَدْره، صُدِرَ فهو مصدور؛ يريد: أَن من أُصيب صَدْرِه لا بدّ له أَن يَسْعُل، يعنـي أَنه يَحْدُث للإِنسان حال يتمثَّل فيه بالشعر ويطيِّب به نفسه ولا يكاد يمتنع منه. وفـي حديث الزهري: قيل له ابن عبيد يقول الشِّعْر، قال: ويَسْتَطِيعُ الـمَصْدُور أَن لا يَنْفُثَ أَي لا يَبْزُق؛ شَبَّه الشِّعْر بالنَّفث لأَنهما يخرجان من الفَمِ. وفـي حديث عطاء: قيل له رجل مَصْدُور يَنْهَزُ قَيْحاً أَحَدَثٌ هُوَ؟ قال: لا، يعنـي يَبزُق قَيْحاً. وبَنَات الصدر: خَلل عِظامه. وصُدِرَ يَصْدَرُ صَدْراً: شكا صَدْرَه؛ وأَنشد:

كأَنما هُوَ فـي أَحشاء مَصْدُورِ

وصَدَرَ فلان فلاناً يَصْدُرُه صَدْراً: أَصاب صَدْرَه. ورجل أَصْدَرُ: عظيم الصَّدْرِ، ومُصَدَّر: قويّ الصَّدْر شديده؛ وكذلك الأَسَد والذئب. وفـي حديث عبد الملك: أُتِـيَ بأَسِير مُصَدَّرٍ؛ هو العظيم الصَّدْر. وفَرس مُصَدَّرٌ: بلَغ العَرَق صَدْرَه. والـمُصَدَّرُ من الـخيل والغنم: الأَبيض لَبَّةِ الصَّدْر، وقيل: هو من النِّعاج السَّوداء الصَّدْرِ وسائرُها أَبيضُ؛ ونعجة مُصَدَّرَة. ورجل بعيد الصَّدْر: لا يُعطَف، وهو علـى الـمثَل. و التَّصَدُّر: نصْب الصَّدْر فـي الـجُلوس. وَصَدَّرَ كتابه: جعل له صَدْراً؛ و صَدَّره فـي الـمجلس فتصدَّر.

وتصدَّر الفرسُ وصَدَّرَ، كلاهما: تقدَّم الخيلَ بِصَدره. وقال ابن الأَعرابي: المُصَدَّرُ من الخيل السابق، ولم يذكر الصَّدْرَ؛ ويقال: صَدَّرَ الفرسُ إِذا جاء قد سبق وبرز بِصَدْرِهِ وجاء مُصَدَّراً؛{[1]}

وقال في قاموس المحيط الصَّدْرُ: أعْلَى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ وأولُه، وكلُّ ما واجَهَكَ، ومن السَّهْمِ: ما جازَ من وَسَطِهِ إلى مُسْتَدَقِّه، لأَنه المتقدِّمُ إذا رُمِي، وحَذْفُ ألِفِ فاعِلُنْ في العَرُوضِ، والطائِفةُ من الشيءِ، والرُّجوعُ، كالمَصْدَرِ، يَصْدُرُ ويَصْدِرُ، والاسمُ: بالتحريك، ومنه طَوافُ الصَّدَرِ، وقد صَدَرَ غيرَه وأصْدَرَه وصَدَّرَه فَصَدَرَ. وصَدْرُ الإنسانِ، مُذَكَّرٌ. والصُّدْرَةُ، بالضم: الصَّدْرُ، أو ما أشْرَفَ من أعْلاَهُ، (وثَوْبٌ) م. وصَدَرَهُ: أصابَ صَدْرَهُ. وكعُنِي: شَكَاهُ. والأَصْدَرُ: العظيمُه. والمُصَدَّرُ، كمُعَظَّمٍ: القَوِيَّة، ومن بَلَغَ العَرَقُ صَدْرَهُ، والأبيضُ لَبَّةِ الصَّدْرِ من الغَنَمِ والخَيْلِ، أو السَّوْداءُ الصَّدْرِ من النِّعاجِ وسائرُها أبيضُ، والسابقُ من الخيلِ، والغليظُ الصَّدْرِ من السِّهامِ، وأوَّلُ القِداحِ الغُفْلِ، والأَسَدُ، والذِّئْبُ. وتَصَدَّرَ: نَصَبَ صَدْرَهُ في الجُلوسِ، وجَلَسَ في صَدْرِ المجلسِ، و الفرسُ: تَقَدَّمَ الخَيْلَ بصَدْرِهِ، كصَدَّرَ. وصُدُورُ الوادِي: أعالِيهِ ومقَادِمُهُ، كصَدائِرِهِ، جَمْعُ صَدارَةٍ وَصَدِيرَةٍ. وما لَهُ صادِرٌ ولا وارِدٌ، أي: شيءٌ. وطريقٌ صادرٌ: يَصْدُرُ بأَهْلِهِ عن الماء. والصَّدَرُ، محرَّكةً: اليومُ الرابعُ من أيامِ النَّحْرِ، واسمٌ لِجَمْعِ صادِرٍ. والأَصْدَرانِ: عِرْقانِ تحتَ الصُّدْغَيْنِ. و«جاءَ يَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ»، أي: فارغاً. وصادِرٌ: ع، وبهاءٍ: اسمُ سِدْرَةٍ. ومُصْدِرٌ، كمُحْسِنٍ: اسمُ جُمادَى الأُولى.

---

[1] – لسان العرب .

وككتابٍ: ثَوْبٌ رأسُهُ كالمِقْنَعَةِ، وأسْفَلُه يُغَشّي الصَّدْرَ، وبهاءٍ: ة باليَمامةِ. وصَدَّرَ كتابَه تَصْدِيراً: جَعَلَ له صَدْراً، و. بَعِيرَهُ: شَدَّ حَبْلاً من حِزامِهِ إلى ما وراءَ الكِرْكِرَةِ، و. الفرسُ: بَرَزَ برأسِهِ وسَبَقَ. وصادَرَهُ على كذا: طالَبَه به. وكجَبَلٍ أو زُفَرَ: ة ببيت المَقْدِسِ. وكغُرابٍ: ع قُرْبَ المدينةِ.{[١] }

[١] – قاموس المحيط .

التفكيـــــــــــر

تعريف عملية التفكير

الفكر:- أو العقل – أو الإدراك – بمعنى واحد: وهو نقل الحس بالواقع بواسطة الحواس إلى الدماغ ووجود معلومات سابقة يفسر بواسطتها هذا الواقع.{[1] }. – لقد عرف كثير من العلماء العقل وعملية التفكير وهؤلاء العلماء مثل علماء الكلام ومنهم من قال إنه جوهر وغير ذلك مما قيل في تعريفه فقد، كان الخطاء من أنهم كانوا يبحثون نتاج العقل ولم يبحثوا في العقل (لهذا حصل الخطاء)، وممن عرف العقل بعض علماء الشيوعية ولكنهم عندما وجدوا أنفسهم أمام حقيقة أن الكون والإنسان والحياة لا بد أن يكون هناك خالق خلقهم (انحرفوا في البحث) مع العلم بأنهم كادوا أن يعرفوا العقل التعريف الصحيح فقالوا هو انعكاس الواقع المادي على الدماغ.

فكان تعريف الشيخ تقي الدين النبهاني للعقل هو التعريف الصحيح لانطباقه على واقع العقل وعملية التفكير.

هناك أسلوب للتفكير، وهناك طريقة للتفكير.

أما أسلوب التفكير فهو الكيفية التي يقتديها بحث الشيء سواء أكان شيئاً ملموساً، أو شيئاً غير مادي، أو الوسائل التي يقتديها بحث الشيء ولذلك تتعدد الأساليب وتتغير وتختلف حسب نوع الشيء، وتغيره، واختلافه.

[1] – تقي الدين النبهاني – كتاب التفكير .

أما الطريقة: فهي الكيفية التي تجري عليها عملية التفكير حسب طبيعتها وحسب واقعها. ولهذا فإن الطريقة لا تتغير وإنما تظل هي، وبالطبع لا بد أن تكون هي الأساس في التفكير مهما تعددت أساليب التفكير.

عملية التفكير:- أي الكيفية التي يجري بحسبها إنتاج العقل للأفكار، مهما كانت هذه الأفكار، هي نفسها تعريف العقل، أي هي ما ينطبق على واقع العقل، ولا تخرج عنه بحال من الأحوال. ولذلك سميت الطريقة العقلية نسبة إلى العقل نفسه. وتعريف هذه الطريقة العقلية، هي منهج معين في البحث، يسلك للوصول إلى معرفة حقيقة الشيء الذي يبحث عنه، عن طريق نقل الحس بالواقع، بواسطة الحواس، إلى الدماغ، ووجود معلومات سابقة يفسر بواسطتها الواقع، فيصدر الدماغ حكمه عليه. وهذا الحكم هو الفكر، أو الإدراك العقلي. وتكون في بحث المواد المحسوسة، كالفيزياء، وفي بحث الأفكار، كبحث العقائد وبحث التشريع، وفي فهم الكلام، كبحث الأدب وبحث الفقه. وهذه الطريقة هي الطريقة الطبيعية في الوصول إلى الإدراك من حيث هو، وعمليتها هي التي يكون بها عقل الأشياء أي إدراكها، وهي نفسها تعريف للعقل، وعلى منهجها يصل الإنسان من حيث هو إنسان إلى إدراك أي شيء سبق أن أدركه، أو يريد إدراكه.

هذه هي الطريقة العقلية، وهي وحدها طريقة التفكير الصحيحة وما عداها مما يسمى طرق تفكير، كالطريقة المنطقية، إن هي إلا فروع لهذه الطريقة كالطريقة العلمية، أو أسلوب من أساليبها اقتداها بحث

الشيء، أو وسائل بحثه كما يسمى بالطريقة المنطقية، وليست طرقاً أساسية للتفكير فطريقة التفكير واحدة لا تتعدد وهي الطريقة العقلية ليس غير{[1]}.

وعندما تقول عقلت الشيء أو أدركت الشيء أو فكر فالمعنى أنك سميت الشيء باسم يميزه عن غيره، وهذا من نتاج عملية التفكير.

الطمأنينة:- وهي السكون بعد الانزعاج وتكون بأخذ الحقيقة كاملةً بحيث لا توجد الريبة مطلقاً ولا يكون هذا إلا بالاعتقاد.

الغريزة:- هي الطاقة الحيوية الكامنة في جسم الإنسان والتي تدفعه للقيام بعمل ما من أجل الإشباع، وهي غير حتمية الإشباع. أي عدم إشباعها لا يؤدي إلى هلاك الإنسان أي موته.

الميول:- هي الدوافع التي تدفع الإنسان للإشباع مربوطة بالمفاهيم الموجودة لديه عن الأشياء التي يراد منها أن تشبع. وتحدثها عند الإنسان الطاقة الحيوية التي تدفعه لإشباع غرائزه وحاجاته العضوية، والربط بين هذه الطاقة وبين المفاهيم – أي ربط الدوافع بالمفاهيم توجد الميول-.{[2]}

المفاهيم:- هي معاني الأفكار لا معنى الألفاظ. أي هي المعاني المدرك لها واقع في الذهن سواء أكان واقعاً محسوساً في الخارج أم واقعاً

---

[1] – تقي الدين النبهاني – كتاب التفكير.

[2] – تقي الدين النبهاني – كتاب الشخصية الإسلامية الجزء الأول .

مسلماً أنه موجود في الخارج تسليماً مبنياً على واقع محسوس. هذه هي المفاهيم.{[1]}

مثال على المعاني المحسوسة المدرك لها واقع في الذهن: الماء يشبع العطش، فالماء له واقع تقع عليه الحواس وله مواصفات معينة وفيه خاصية أنه يروي الظمأ فالإنسان بمجرد رؤية الماء يصبح لديه مفهوم عن الماء أنه يروي. فيصبح لديه مفهوم عن الماء وهذا المقصود بمعاني الأفكار ، فالفكر عن المادة هذه أنها ماء فيحكم عليها أنها ماء وأنه يروي وهذا نتيجة عملية تفكير وتخزن هذه المعلومات في الدماغ فمجرد رؤية أو وقوع بعض الحواس على الماء يدرك أنه ماء، وهذا خارج الإنسان.

مثال على واقع مسلم أنه موجود في الخارج تسليماً مبنياً على واقع محسوس: الملائكة هذا واقع مسلم به أنه موجود فالملائكة لها أجنحة مثنى وثلاث ورباع ويفعلون ما يأمرهم به الله عز وجل ولا يعصون الله. هذه المعلومات عن هذا المسمى من القرآن الكريم وهو من عند الله، والقرآن له واقع محسوس نقرأه وننظر إليه وثابت بالدليل العقلي أنه من عند الله وهو معجزة للنبي محمد ﷺ والقرآن هو كلام الله المعجز والمتحد به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله المنزل على سيدنا محمد ﷺ والتحدي باق إلى يوم القيامة. فكل ما أخبر عنه القرآن مجزوم بصحته أنه موجود فنسلم بذلك لصدق المخبر وهو الله سبحانه وتعالى. لذلك يوجد عندنا عن

---

[1] – تقي الدين النبهاني – كتاب الشخصية الإسلامية الجزء الأول .

الملائكة مفهوم أنهم من خلق الله وأنهم أولو أجنحة ويفعلون ما يؤمرن به من الله ولا يعصون إلى غير ذلك مما أخبر الله سبحانه وتعالى، وهذا واقع مسلم أنه موجود في خارج الإنسان.

الحاجات العضوية:- وهي الحاجات اللازمة لبناء جسم الإنسان والمحافظة على بقائه وهي حتمية الإشباع. أي عدم إشباعها يؤدي بالإنسان إلى الهلاك أي الموت.

العقيدة:- وهي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل -أي ما وقر في القلب وصدقه العقل ونطق به اللسان وظهر على الجوارح-.

الحقيقة اللغوية:- هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً في اللغة.

الحقيقة العرفية:- هي اللفظ المستعمل فيما وضع له بعرف الاستعمال اللغوي. أي هي اللفظة التي انتقلت عن مسماها اللغوي إلى غيره للاستعمال العام في اللغة بحيث هجر الأول.{[١]}

الحقيقة الشرعية:- هي اللفظ المستعمل فيما وضع له في عرف الشرع. أي هي اللفظة التي انتقلت عن مسماها اللغوي إلى غيره لاستعمال الشرع لها بالمعنى الذي نقلت إليه. وحتى يكون الاسم شرعياً لا بد أن يستفاد وضعه من الشارع أي مما جاء به الوحي من عند الله . أي من الكتاب والسنة.

والحقيقة الشرعية:- هي اللفظ الذي وضعه الشرع لمعنى بحيث يدل عليه بلا قرينة.

---

[١] - تقي الدين النبهاني- كتاب الشخصية الإسلامية الجزء الثالث .

والواقع أن الأسماء الشرعية واقعة في اللفظ الشرعي، وواقعة بوصفها حقائق متميزة عن الحقائق اللغوية فهي لفظ وضعه العرب، وجاء الشرع ونقله لمعنى آخر واشتهر به، ونقله ليس من قبيل المجاز بل هو من قبيل الحقيقة العرفية، لأن الشرع لم ينقله للمعنى الثاني لعلاقة كما هو شرط للمجاز علاوة على أنه اشتهر المعنى الثاني والمجاز لفظ لمعنى ثم نقل إلى غيره لعلاقة ولم يشتهر في المعنى الثاني أي لم يغلب.

ولهذا لا يكون نقل الاسم الشرعي إلى المعنى الثاني الذي وضعه له الشرع من قبيل المجاز ولا بوجه من الوجوه بل هو من قبيل الحقيقة الشرعية.{[1]}

الدماغ: - هو كتلة هلامية ومكون من خلايا عصبية - وهو عبارة عن آلة يقوم بوظائف معينة مثل نقل الحس بالحرارة ومن ثمة إعطاء العضو الأمر بالابتعاد عن مصدر الحرارة وهكذا جميع الوظائف الأخرى، الدماغ يعمل فيها كآلة ليس غير.

أما عمل الدماغ في العملية الفكرية هو نقل الحس والربط بين المعلومات المسبقة فالدماغ يعمل كآلة ليس غير مثل الكلية لها وظائف معينة.

---

[1] – تقي الدين النبهاني – كتاب الشخصية الإسلامية الجزء الثالث الطبعة الثانية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الآيات التي ذكر فيها القلب

وقبل البدء في البحث وعرضه لابد أن أشير أن القرآن الكريم أتى على معهود العرب ولم يخرج عن ذلك فاستعمل بعض العبارات على سبيل المثل والمجاز والنقل والتشبيه والكناية وغير ذلك. ونجد هذا جلي في البحث. وأول ذي بدء سأذكر الآيات كل حسب معناها مع التفسير لما يخص البحث، وَسَوفَ أستعمل العلامة التالية « » للنص المقتبس ليستطيع القارئ أن يميز قولي من قول غيري في هذا البحث.

لقد وردت كلمة القلب ومختلف ألفاظها في القرآن الكريم ١٣٢ مرة حسب هذا الجدول

الرقم	اللفظة	التكرار	الرقم	اللفظة	التكرار
١	قَلْبِ	٢	٢	بِقَلْبٍ	٣
٣	قَلْبِهِ	٥	٤	قَلْبِكَ	٣
٥	قَلْبِهَا	١	٦	قَلْبِي	١
٧	وَقَلْبِهِ	٣	٨	الْقَلْبِ	١
٩	الْقُلُوبُ	٦	١٠	قُلُوبِ	١٥
١١	قُلُوبُنَا	٦	١٢	قَلْبَيْنِ	١
١٣	وَقُلُوبِهِنَّ	١	١٤	قُلُوبِكُمْ	١٤
١٥	قُلُوبُكُمَا	١	١٦	قُلُوبِهِمْ	٦٥
١٧	لِقُلُوبِكُمْ	١	١٨	وَقُلُوبُهُمْ	٣

أولاً:- الآيات التي ذكر فيها القلب وقصد بها المثل

١. قال الله سبحانه وتعالى:

إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ سورة الأحزاب

« قيل هو على معنى المبالغة -على مذهب العرب على إضمار كاد. ويقال: إن الرئة تنتفخ عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة مثلاً-، ولهذا يقال للجبان: انتفخ سَحْره أي زالت عن أماكنها حتى بلغت الحناجر وهي الحلاقيم، واحدها حنجرة؛ فلولا أن الحلوق ضاقت عنها لخرجت؛ قاله قتادة. وقيل: هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على إضمار كاد؛ قال:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية	هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

أي كادت تقطر. ويقال: إن الرئة تنفتح عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة مثلا؛ ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره. وقيل: إنه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ القلوب الحناجر وإن لم تزل عن أماكنها مع بقاء الحياة. قال معناه عكرمة. روى حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: بلغ فزعها. والأظهر أنه أراد اضطراب القلب وربانه، أي كأنه لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة. والحنجرة والحنجور (بزيادة النون) حرف الحلق »{[1]}

---

[1] - تفسير القرطبي

إن القرآن أتى على معهود العرب ولم يخرج عن معهود العرب من حيث استعمال اللغة، والعرب استعملوا اللفظ ليدل على معنى الوضع، أي المعنى الذي وضعه العرب الأقحاح لهذا اللفظ والجمل في أصل الوضع واستعملوا {الحقيقة والمجاز والتشبيه والكناية والمَثَل ولإخبار والسؤال والنكرة والأمر وغير ذلك} كما وقد أتى القرآن واستعمل الألفاظ والجمل كما استعملها العرب من الحقيقة والمجاز والتشبيه والكناية والمَثَل ولإخبار والسؤال والنكرة والأمر وغير ذلك. (فهذه الآية أتت هنا بمعنى المثل)، فمعنى معهود العرب أي أن القرآن استعمال الألفاظ والجمل كما كان العرب يستعمل الكلام هذا من حيث الاستعمال. أما الأسلوب القرآن فهو لم تعهده العرب.

ملاحظة:- القرآن أتى بأسلوب لم تعهده العرب فهو ليس بشعر ولا هو بالنثر ولا بالخطابة، وإنما هو كلام الله سبحانه وتعالى المعجز أنزله على نبيه محمد ﷺ وتحدى به العرب والناس أجمع بأن يأتوا بمثله في الأسلوب وهذه الآية أتت على سبيل المثل.

٢. وقال الله سبحانه وتعالى :

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ سورة غافر

« على الحال وهو محمول على المعنى. قال الزجاج: المعنى إذ قلوب الناس "لدى الحناجر" في حال كظمهم. وأجاز الفراء أن يكون التقدير "وأنذرهم" كاظمين. وأجاز رفع "كاظمين" على أنه خبر للقلوب. وقال:

المعنى إذ هم كاظمون. وقال الكسائي: يجوز رفع "كاظمين" على الابتداء. وقد قيل: إن المراد بـ"يوم الآزفة" يوم حضور المنية؛ قاله قطرب. وكذا "إذ القلوب لدى الحناجر" عند حضور المنية. والأول أظهر. وقال قتادة: "وقعت في الحناجر المخافة فهي لا تخرج ولا تعود في أمكنتها"، وهذا لا يكون إلا يوم القيامة كما قال: "وأفئدتهم هواء". وقيل: هذا إخبار عن نهاية الجزع؛ كما قال: "وبلغت القلوب الحناجر" وأضيف اليوم إلى "الآزفة "على تقدير يوم القيامة "الآزفة" أو يوم المجادلة" الآزفة". وعند الكوفيين هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه مثل مسجد الجامع وصلاة الأولى ».{[1] }

إن المقصود في هذه الآية أنها جرت مجرى المثل، لتدلل على مدى الخوف عندهم، والذي حدد هذا المعنى هو سياق الآية نفسها أنظر قوله تعالى {إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ} والكتلة اللحمية المسمى بالقلب لا تصل الحنجرة وهذا هو واقع القلب فالمقصود هو كناية عن شدة الخوف ولذلك هذه الآية جرت مجرى المثل.

٣. وقال الله سبحانه وتعالى:

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ سورة النازعات

« أي خائفة وجلة قاله ابن عباس وعليه عامة المفسرين. وقال السُّدي: زائلة عن أماكنها. نظيره. {إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ}. وقال المبرد:

---

[1] – تفسير القرطبي .

مضطربة. والمعنى متقارب، والمراد قلوب الكفار، يقال وجفَ القلب يجِف وجيفا إذا أخفق »{[1]}.

الآية هي على سبيل المثل وهي كقوله تعالى {إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ} وهذا كقولك للإنسان الذي نقل إليك خبرا مفجعا على غفلة فيقول له (قطعت قلبي) والقلب لا يقطع في الحقيقة وإذا قطع القلب مات الإنسان، فيكون القلب هنا جرى مجرى المثل والذي حدد هذا المعنى هو سياق الآية نفسه

---

[1] – تفسير القرطبي

ثانياً الآيات التي ذكر فيها القلب

١. قال الله سبحانه وتعالى

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ سورة التوبة

« قلوب" رفع بـ "تزيغ" عند سيبويه. ويضمر في "كاد" الحديث تشبيها بكان؛ لأن الخبر يلزمها كما يلزم كان. وإن شئت رفعتها بكاد، ويكون التقدير: من بعد ما كان قلوب فريق منهم تزيغ. وقرأ الأعمش وحمزة وحفص "يزيغ" بالياء، وزعم أبو حاتم أن من قرأ "يزيغ" بالياء فلا يجوز له أن يرفع القلوب بكاد. قال النحاس: والذي لم يجزه جائز عند غيره على تذكير الجميع. حكى الفراء رحب البلاد وأرحبت، ورحبت لغة أهل الحجاز واختلف في معنى تزيغ، فقيل: تتلف بالجهد والمشقة والشدة. "وقال ابن عباس: تعدل – أي تميل – عن الحق في الممانعة والنصرة". وقيل: من بعد ما هم فريق منهم بالتخلف والعصيان ثم لحقوا به وقيل: هموا بالقفول فتاب الله عليهم وأمرهم به. قيل: توبته عليهم أن تدارك قلوبهم حتى لم تزغ، وكذلك سنة الحق مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب، ووطنوا أنفسهم على الهلاك أمطر عليهم سحائب الجود فأحيا قلوبهم. وينشد:

منك أرجو ولست أعرف رب	يرتجى منه بعض ما منك أرجو

وإذا اشتدت الشدائد في الأرض	على الخلق فاستغاثوا وعجوا
وابتليت العباد بالخوف والجوع	وصروا على الذنوب ولجوا
لم يكن لي سواك ربي مـــلاذ	فتيقنت أنني بك أنجو

وقال في حق الثلاثة: "ثم تاب عليهم ليتوبوا" فقيل: معنى "ثم تاب عليهم" أي وفقهم للتوبة ليتوبوا. وقيل: المعنى تاب عليهم؛ أي فسح لهم ولم يعجل عقابهم ليتوبوا. وقيل: تاب عليهم ليثبتوا على التوبة. وقيل: المعنى تاب عليهم ليرجعوا إلى حال الرضا عنهم. وبالجملة فلولا ما سبق لهم في علمه أنه قضى لهم بالتوبة ما تابوا؛ دليله قوله عليه السلام: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) » {[1]}.

فالزيغ عن الحق أي العدول عن الحق لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود من كلمة قلوب هنا العقول هذا المقصود في هذه الآية والتردد والتقلب بين التخلف والعصيان أو أن يلحقوا به فهذا التردد لا يكون إلا بعد عملية تفكير وهو من نتاج العقل، فيكون المقصود بقلوب: عقول هو العقل وهو المقصود في الآية "

٢. قال الله سبحانه وتعالى:

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ سورة البقرة

« الضمير في "إنه" يحتمل معنيين؛ الأول: فإن الله نزل جبريل على قلبك. الثاني: فإن جبريل نزل بالقرآن على قلبك. " وخص القلب بالذكر

[1] – تفسير القرطبي

لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف". ودلت الآية على شرف جبريل عليه السلام وذم معاديه. أي بإرادته وعلمه. الهدى لفظ مؤنث قال الفراء: بعض بني أسد تؤنث الهدى فتقول: هذه هدى حسنة. وقال اللحياني: هو مذكر؛ ولم يعرب لأنه مقصور والألف لا تتحرك، ويتعدى بحرف وبغير حرف وقد مضى في "الفاتحة"، تقول: هديته الطريق وإلى الطريق والدار وإلى الدار؛ أي عرفته. الأولى لغة أهل الحجاز، والثانية حكاها الأخفش. وفي التنزيل: "اهدنا الصراط المستقيم" و"الحمد لله الذي هدانا لهذا" [الأعراف: ٤٣] وقيل: إن الهدى اسم من أسماء النهار، لأن الناس يهتدون فيه لمعايشهم . وجميع مأربهم؛ ومنه قول ابن مقبل: " {[١]}

حتى استبنت الهدى والبيد هاجمة		يخشعن في الآل غلفا أو يصلينا»

قولهم في التفسير " وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف". فقولهم هذا ليدلل على أن المقصود بالقلب هنا العقل وهو المعنى الشرعي لأن العقل هو الذي يتلقى المعلومات ويقوم بتخزينها في الدماغ ويجري عملية التفكير فيها وهو الذي يصدر الحكم على الأشياء ويميزها عن غيرها لذلك يكون المعنى الشرعي لكلمة قلبك : عقلك وهو المقصود في هذه الآية.

[١] – تفسير القرطبي .

٣. وقال الله سبحانه وتعالى:

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

سورة البقرة

« القسوة: الصلابة والشدة واليبس "وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى". قال أبو العالية وقتادة وغيرهما: المراد قلوب جميع بني إسرائيل. "وقال ابن عباس: المراد قلوب ورثة القتيل؛ لأنهم حين حيي وأخبر بقاتله وعاد إلى موته أنكروا قتله، وقالوا: كذب"؛ بعد ما رأوا هذه الآية العظمى؛ فلم يكونوا قط أعمى قلوبا، ولا أشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك، لكن نفذ حكم الله بقتله. روى الترمذي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي). وفى مسند البزار عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (أربعة من الشقاء جمود العين وقساء القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا) » {[1]}.

فقولهم في التفسير "وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى". وقولهم "وقال ابن عباس: المراد قلوب ورثة القتيل؛ لأنهم حين حيي وأخبر بقاتله وعاد إلى موته أنكروا قتله، وقالوا: كذب"؛ المقصود بقلوبهم أي عقولهم والدليل على ذلك أنهم قالوا كذب وقولهم

[1] – تفسير القرطبي .

أنه كذب لا يكون إلا بعد إجراء عملية تفكير فأصدروا الحكم وقالوا أنه كذب، وهذا القول منهم فيه تكذيب لنبوة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، والقسوة هي التعنت بالرأي على الباطل ولا يكون هذا إلى من نتاج العقل ولا يكون إلا بعد عملية تفكير، لذلك المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل وهو المقصود في الآية.

٤. وقال الله سبحانه وتعالى:

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ سورة البقرة

« باللغو" اللغو: مصدر لغا يلغو ويلغى، ولغي يلغى لغا إذا أتى بما لا يحتاج إليه في الكلام، أو بما لا خير فيه، أو بما يلغى إثمه؛ وفي الحديث: (إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت). ولغة أبي هريرة "فقد لغيت" وقال الشاعر:

ورب أسراب حجيج كظم		عن اللغا ورفث التكلم

وقال آخر:

ولست بمأخوذ بلغو تقوله		إذا لم تعمد عاقدات العزائم

واختلف العلماء في اليمين التي هي لغو؛ فقال ابن عباس: (هو قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاورة: لا والله، وبلى والله؛ دون قصد لليمين). قال المروزي: لغو اليمين التي اتفق العلماء على أنها لغو هو قول الرجل: لا والله، وبلى والله؛ في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا يريدها. "وروى ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب أن عروة حدثه

أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: (أيمان اللغو ما كانت في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذي لا ينعقد عليه القلب) ". وفى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزل قوله تعالى: ("لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم" في قول الرجل: لا والله ، وبلى والله). وقيل: اللغو ما يحلف به على الظن؛ فيكون بخلافه؛ قاله مالك، حكاه ابن القاسم عنه، وقال به جماعة من السلف. قال أبو هريرة: (إذا حلف الرجل على الشيء لا يظن إلا أنه إياه؛ فإذا ليس هو، فهو اللغو، وليس فيه كفارة)؛ ونحوه عن ابن عباس. وروى: أن قوما تراجعوا القول عند رسول الله ﷺ وهم يرمون بحضرته؛ فحلف أحدهم لقد أصبت وأخطأت يا فلان؛ فإذا الأمر بخلاف ذلك؛ فقال الرجل: حنث يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: (أيمان الرماة لغو لا حنث فيها ولا كفارة). وفي الموطأ قال مالك: أحسن ما سمعت في هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يستيقن أنه كذلك ثم يوجد بخلافه؛ فلا كفارة فيه. والذي يحلف على الشيء وهو يعلم أن فيه إثم كاذب ليرضي به أحدا، أو يعتذر لمخلوق، أو يقتطع به مالا، فهذا أعظم من أن يكون فيه كفارة؛ وإنما الكفارة على من حلف ألا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله؛ أو أن يفعله ثم لا يفعله؛ مثل إن حلف ألا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بمثل ذلك، أو حلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه. وروى عن ابن عباس - إن صح عنه - قال: (لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان)؛ وقاله طاووس. وروى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (لا يمين في غضب) أخرجه مسلم. وقال سعيد بن جبير: هو تحريم الحلال؛ فيقول: مالي علي حرام إن فعلت كذا، والحلال علي حرام؛ وقال مكحول

الدمشقي؛ ومالك أيضا، إلا في الزوجة فإنه ألزم فيها التحريم إلا أن يخرجها الحالف بقلبه. وقيل: هو يمين المعصية؛ قاله سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن وعروة وعبد الله ابنا الزبير؛ كالذي يقسم ليشربن الخمر أو ليقطعن الرحم فبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه؛ وحجتهم حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليتركها فإن تركها كفارتها) أخرجه ابن ماجة في سننه، وسيأتي في "المائدة" أيضا. وقال زيد بن أسلم لغو اليمين دعاء الرجل على نفسه: أعمى الله بصره، أذهب الله ماله، هو يهودي، هو مشرك، هو لغية إن فعل كذا. مجاهد: هما الرجلان يتبايعان فيقول أحدهما: والله لا أبيعك بكذا، ويقول الآخر، والله لا أشتريه بكذا. النخعي: هو الرجل يحلف ألا يفعل الشيء ثم ينسى فيفعله. وقال ابن عباس أيضا والضحاك: (إن لغو اليمين هي المكفرة، أي إذا كفرت اليمين سقطت وصارت لغوا، ولا يؤاخذ الله بتكفيرها والرجوع إلى الذي هو خير). وحكى ابن عبد البر قولا: أن اللغو أيمان المكره. قال ابن العربي: أما اليمين مع النسيان فلا شك في إلغائها. لأنها جاءت على خلاف قصده؛ فهي لغو محض. قلت: ويمين المكره بمثابتها. وسيأتي حكم من حلف مكرها في "النحل" إن شاء الله تعالى. قال ابن العربي: وأما من قال إنه يمين المعصية فباطل؛ لأن الحالف على ترك المعصية تنعقد يمينه عبادة، والحالف على فعل المعصية تنعقد يمينه معصية؛ ويقال له: لا تفعل وكفر؛ فإن أقدم على الفعل أثم في إقدامه وبر في قسمه. وأما من قال: إنه دعاء الإنسان على نفسه إن لم يكن كذا فينزل به كذا؛ فهو

قول لغو، في طريق الكفارة، ولكنه منعقد في القصد، مكروه، وربما يؤاخذ به؛ لأن النبي ﷺ قال: (لا يدعون أحدكم على نفسه فربما صادف ساعة لا يسأل الله أحد فيها شيئا إلا أعطاه إياه). وأما من قال إنه يمين الغضب فإنه يرده حلف النبي ﷺ غاضبا ألا يحمل الأشعريين وحملهم وكفر عن يمينه. وسيأتي في "براءة ". قال ابن العربي: وأما من قال: إنه اليمين المكفرة فلا تتعلق له يحكى. وضعفه ابن عطية أيضا وقال: قد رفع الله عز وجل المؤاخذة بالإطلاق في اللغو، فحقيقتها لا إثم فيه ولا كفارة؛ والمؤاخذة في الأيمان هي بعقوبة الآخرة في اليمين الغموس المصبورة، وفيما ترك تكفيره مما فيه كفارة، وبعقوبة الدنيا في إلزام الكفارة، فيضعف القول بأنها اليمين المكفرة؛ لأن المؤاخذة قد وقعت فيها؛ وتخصيص المؤاخذة بأنها في الآخرة فقط تحكم. الأيمان جمع يمين، واليمين الحلف، وأصله أن العرب كانت إذا تحالفت أو تعاقدت أخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه؛ ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يمينا. وقيل: يمين فعيل من اليمن، وهو البركة؛ سماها الله تعالى بذلك لأنها تحفظ الحقوق. ويمين تذكر وتؤنث، وتجمع أيمان وأيمن؛ قال زهير:. فتجمع أيمن منا ومنكم مثل قوله: "ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان" [المائدة: ٨٩]. وهناك يأتي الكلام فيه مستوفى، إن شاء الله تعالى. وقال زيد بن أسلم: قوله تعالى: "ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم" هو في الرجل يقول: هو مشرك إن فعل، أي هذا اللغو، إلا أن يعقد الإشراك بقلبه

ومكسبه. صفتان لائقتان بما ذكر من طرح المؤاخذة؛ إذ هو باب رفق وتوسعة »{[1]}.

ملاحظة:- وضعت تفسير هذه الآية كاملا لعموم الفائدة.

اللغو: مصدر لغا يلغو ويلغى، ولغي يلغى لغا إذا أتى بما لا يحتاج إليه في الكلام، أو بما لا خير فيه، قولهم في التفسير" اليمين التي هي لغو؛ فقال ابن عباس: (هو قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاورة: لا والله، وبلى والله ؛ دون قصد لليمين) ". وقولهم في التفسير "وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزل قوله تعالى: ("لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم" في قول الرجل: لا والله ، وبلى والله) ". وقولهم في التفسير "وروى ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب أن عروة حدثه أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: (أيمان اللغو ما كانت في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذي لا ينعقد عليه القلب) ". فهذه الأقوال والمعنى اللغوي يتبين لنا أن المقصود بمعنى قلوبكم: عقولكم لأنك لا يمكن أن تحلف على شيء إلا بعد عملية تفكير وأما قول القرطبي في الكسب أن يقوم الإنسان بالفعل: فإن هذا لا يكون إلا بعد حكم العقل على أن تفعل كذا أو لا تفعل كذا. وعلى ذلك يكون المقصود هنا قلوبكم أي عقولكم وهو المعنى الشرعي لكلمة القلب.

٥. وقال الله سبحانه وتعال :

وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

سورة البقرة

---

[1] – تفسير القرطبي

« بسكون اللام جمع أغلف؛ أي عليها أغطية. وهو مثل قول: "قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه" [فصلت: ٥] أي في أوعية. قال مجاهد: "غلف" عليها غشاوة. وقال عكرمة: عليها طابع. وحكى أهل اللغة غلفت السيف جعلت له غلافا؛ فقلب أغلف، أي مستور عن الفهم والتمييز. وقرأ ابن عباس والأعرج وابن محيصن "غلف" بضم اللام. قال ابن عباس: أي قلوبنا ممتلئة علما لا تحتاج إلى علم محمد ﷺ ولا غيره. وقيل: هو جميع غلاف. مثل خمار وخمر؛ "أي قلوبنا أوعية للعلوم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علما كثيرا ! " وقيل : المعنى فكيف يعزب عنها علم محمد صلى الله عليه وسلم »{[1]}.

ألا ترى أنهم يقولون في تفسير القرطبي : "أي قلوبنا أوعية للعلوم فما بالها لا تفهم عنك وقد وعينا علما كثيرا !" {وحكى أهل اللغة غلفت السيف جعلت له غلافا؛ فقلب أغلف، أي مستور عن الفهم والتمييز} ووعي العلم أي فهم العلم والمستور عن الفهم والتميز هذا كله من أعمل العقل فيتبين من قولهم أن المقصود من هذا السياق في هذه الآية قلوبنا أي عقولنا وهو المعنى الشرعي.

---

[1]- تفسير القرطبي

٦. وقال الله سبحانه وتعالى :

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا

(١٥٥) سورة النساء

« ونقضهم الميثاق أنه أخذ عليهم أن يبينوا صفة النبي صلي الله عليه وسلم. وقيل: المعنى فبنقضهم ميثاقهم وفعلهم كذا وفعلهم كذا طبع الله على قلوبهم. وقيل: المعنى فبنقضهم لا يؤمنون إلا قليلا؛ والفاء مقحمة. و"كفرهم" عطف، وكذا و"قتلهم". والمراد "بآيات الله" كتبهم التي حرفوها. و "غلف" جمع غلاف؛ أي قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا إلى علم سوى ما عندنا. وقيل: هو جمع أغلف وهو المغطى بالغلاف؛ "أي قلوبنا في أغطية فلا نفقه ما تقول"؛ وهو كقوله: "قلوبنا في أكنة" [فصلت: ٥] وقد تقدم هذا في "البقرة" وغرضهم بهذا درء حجة الرسل. والطبع الختم؛ وقد تقدم في "البقرة". "بكفرهم" أي جزاء لهم على كفرهم؛ كما قال: "بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون" [البقرة: ٨٨] » {[١]}.

المقصود من قلوبنا في هذه الآية عقولنا ومما يدلل على ذلك قولهم في التفسير "أي قلوبنا في أغطية فلا نفقه ما تقول"؛ فالفقه من أعمال العقل وهو الذي يربط المعلومات ويخزنها ويصدر الأحكام عليها فالمعنى الشرعي لكلمة قلوبنا عقولنا.

---

[١] – تفسير القرطبي

٧. وقال الله سبحانه وتعالى

إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ سورة التوبة

« روى أبو داود عن ابن عباس قال: "لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله" نسختها التي في [النور] "إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله – إلى قوله – غفور رحيم" [النور: ٦٢] وارتابت شكت في الدين. أي في شكهم يذهبون ويرجعون »{[١]}.

فيكون المقصود بقلوبهم هنا عقولهم وذلك لوجود كلمتي ارتابت بمعنى شكتْ والتردد في الحكم على الشيء ينتج عنه هذا التردد وهو من نتيجة عملية التفكير التي يجرها الإنسان فيكون التردد من نتاج العقل وهو المعنى الشرعي لقلوبهم فالعقل هو المقصود.

٨. وقال الله سبحانه وتعالى :

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ سورة المائدة

[١] – تفسير القرطبي

« أي صلبة لا تعي خيرا ولا تفعله؛ " والقاسية والعاتية بمعنى واحد. وقرأ الكسائي وحمزة: "قسية" بتشديد الياء من غير ألف؛ وهي قراءة ابن مسعود والنخعي ويحيى بن وثاب. والعام القسي الشديد الذي لا مطر فيه. وقيل: هو من الدراهم القسيات أي الفاسدة الرديئة؛ فمعنى "قسية" على هذا ليست بخالصة الإيمان، أي فيها نفاق. قال النحاس: وهذا قول حسن؛ لأنه يقال: درهم قسي إذا كان مغشوشا بنحاس أو غيره. يقال: درهم قسي (مخفف السين مشدد الياء) مثال شقي أي زائف؛ ذكر ذلك أبو عبيد وأنشد:

لها صواهل في صم السلام كما	صاح القسيات في أيدي الصياريف

يصف وقع المساحي في الحجارة. وقال الأصمعي وأبو عبيد: درهم قسي كأنه معرب قاشي. قال القشيري: وهذا بعيد؛ لأنه ليس في القرآن ما ليس من لغة العرب، بل الدرهم القسي من القسوة والشدة أيضا؛ لأن ما قلت نقرته يقسوا ويصلب. وقرأ الأعمش: "قسية" بتخفيف الياء على وزن فعلة نحو عمية وشجية؛ من قسي يقسى لا من قسا يقسو. وقرأ الباقون على وزن فاعلة؛ وهو اختيار أبي عبيد؛ وهما لغتان مثل العلية والعالبة، والزكية والزاكية. قال أبو جعفر النحاس: أولى ما فيه أن تكون قسية بمعنى قاسية، إلا أن فعيلة أبلغ من فاعلة. فالمعنى: جعلنا قلوبهم غليظة نابية عن الإيمان والتوفيق لطاعتي؛ لأن القوم لم يوصفوا بشيء من الإيمان فتكون قلوبهم موصوفة بأن إيمانها خالطه كفر، كالدراهم القسية التي خالطها غش »{[1]}

[1] – تفسير القرطبي

أي صلبة لا تعي خيرا ولا تفعله؛ " فالوعي هو من نتاج عملية التفكير وهذا من نتاج عملية عقلية فيكون المعنى هنا العقل وهو المعنى الشرعي لقلوبهم أي عقولهم.

٩. وقال الله سبحانه وتعالى :

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ سورة الأنعام

« أي فعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم. وليس المعنى أنهم لا يسمعون ولا يفقهون، ولكن لما كانوا لا ينتفعون بما يسمعون، ولا ينقادون إلى الحق كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم. والأكنة الأغطية جمع كنان مثل الأسنة والسنان، والأعنة والعنان. كننت الشيء في كنه إذا صنته فيه. وأكننت الشيء أخفيته. والكنانة معروفة. والكنة (بفتح الكاف والنون) امرأة أبيك؛ ويقال: امرأة الابن أو الأخ؛ لأنها في كنه »{[١]}.

الأكنَّة الأغطية وهو جمع كِنَان مثل الأسنة والأَسِنَّة والسِّنان . كَنَنْت الشيء في كِنِهِ إذا صنته فيه وأكنَنت الشيء أخفيته. والذي يخفى هي المعلمات ومكان إخفائها العقول وبناءً على ذلك يكون معنى قلوبهم

[٢] – تفسير القرطبي

في هذه الآية بمعنى عقولهم لورود قوله في السياق أن يفقهوه ومكان الفقه العقول وهو المعنى الشرعي

١٠. وقال الله سبحانه وتعالى:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ سورة الأعراف

« أخبر تعالى أنه خلق للنار أهلا بعدله. ثم وصفهم " فقال تعالى {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ} أي بمنزلة من لا يفقه، لأنهم لا ينتفعون بها، ولا يعقلون ثواباً ولا يخافون عقاباً". الهدى. المواعظ. وليس الغرض نفي الإدراكات عن حواسهم جملة. لأنهم لا يهتدون إلى ثواب، فهم كالأنعام؛ أي همتهم الأكل والشرب، وهم أضل لأن الأنعام تبصر منافعها ومضارها وتتبع مالكها، وهم بخلاف ذلك. وقال عطاء: الأنعام تعرف الله، والكافر لا يعرفه. وقيل: الأنعام مطيعة لله تعالى، والكافر غير مطيع. أي تركوا التدبر وأعرضوا عن الجنة والنار »{[١]}.

وقوله في التفسير بمنزلة من لا يفقه. والفقه هو المعرفة التي تحصل عند الإنسان من تلقيه المعلومات عن الأفعال والأشياء فيجري عملية التفكير، فيصدر الأحكام على الوقائع والأشياء لذلك يحصل عنده الفقه بالأشياء والأفعال وهذا من نتاج العقل، فقوله تعالى {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا

[١] – تفسير القرطبي

يَفْقَهُونَ} واقتران الفقه بالقلب ليدلل على أن المعنى المقصود من القلوب هنا أي العقول وهو المعنى الشرعي.

١١. وقال الله سبحانه وتعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ سورة الأنفال

« قيل: إنه يقتضي النص منه على خلقه تعالى الكفر والإيمان فيحول بين المرء الكافر وبين الإيمان الذي أمره به، فلا يكتسبه إذا لم يقدره عليه بل أقدره على ضده وهو الكفر. وهكذا المؤمن يحول بينه وبين الكفر. فبان بهذا النص أنه تعالى خالق لجميع اكتساب العباد خيرها وشرها. وهذا معنى قوله عليه السلام: "لا، ومقلب القلوب". وكان فعل الله تعالى ذلك عدلا فيمن أضله وخذله؛ إذ لم يمنعهم حقا وجب عليه فتزول صفة العدل، وإنما منعهم ما كان له أن يتفضل به عليهم لا ما وجب لهم. قال السدي: يحول بين المرء وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن إلا بإذنه، ولا يكفر أيضا إلا بإذنه؛ أي بمشيئته." والقلب موضع الفكر". وقد تقدم في "البقرة" بيانه. وهو بيد الله، متى شاء حال بين العبد وبينه بمرض أو آفة كيلا يعقل. أي بادروا إلى الاستجابة قبل ألا تتمكنوا منها بزوال العقل. وقال مجاهد: المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع. "وفي التنزيل: "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب" [ق: ٣٧] أي عقل". وقيل: يحول بينه وبينه بالموت، فلا يمكنه استدراك ما فات. وقيل: خاف

المسلمون يوم بدر كثرة العدو فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدلهم بعد الخوف أمنا، ويبدل عدوهم من الأمن خوفا. وقيل: المعنى يقلب الأمور من حال إلى حال؛ وهذا جامع. واختيار الطبري أن يكون ذلك إخبارا من الله عز وجل بأنه أملك لقلوب العباد منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء؛ حتى لا يدرك الإنسان شيئا إلا بمشيئة الله عز وجل »{[١]}.

فقولهم في تفسير القرطبي "والقلب موضع الفكر". "وفي التنزيل: "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب" [ق: ٣٧] أي عقل"{[٢]}. فقوله هذا ليدلل دلالة واضحة على المعنى لكلمة القلب أنه العقل. فيكون القلب بمعنى العقل وهو المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير القرطبي

[٢] – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

١٢. وقال الله سبحانه وتعالى :

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ سورة التوبة

« "الخوالف" جمع خالفة؛ أي مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار من الرجال. وقد يقال للرجل: خالفة وخالف أيضا إذا كان غير نجيب؛ على ما تقدم. يقال: فلان خالفة أهله إذا كان دونهم. قال النحاس: وأصله من خلف اللبن يخلف إذا حمض من طول مكثه. وخلف فم الصائم إذا تغير ريحه؛ ومنه فلان خلف سوء؛ إلا أن فواعل جمع فاعله ولا يجمع فاعل صفة على فواعل إلا في الشعر؛ إلا في حرفين، وهما فارس وهالك »{[١]}.

فقوله تعالى في الآية {لا يفقهون} أي جعل الله عقولهم لا تفقه ولا تعي ما هو مطلوب منها وهذا الفقه من اختصاص العقل فيكون معنى قلوبهم عقولهم وهو المعنى الشرعي.

١٣. وقال الله سبحانه وتعالى :

۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ سورة التوبة

« والمراد المنافقون. كرر ذكرهم للتأكيد في التحذير من سوء أفعالهم » .{[٢]}

---

[١] – تفسير القرطبي

[٢] – تفسير القرطبي .

النفاق هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر فوجود كلمة لا يعلمون تدلل على أن المعنى هنا قلوبهم أي عقولهم ، وهذا العلم من اختصاص العقل. أي جعل الله عقولهم لا تفقه ولا تعي فالمقصود العقل وهو المعنى الشرعي والعلم من نتاج العقل.

١٤. وقال الله سبحانه وتعالى :

عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ سورة الشعراء

« أي يتلوه عليك فيعيه قلبك. وقيل: ليثبت قلبك »{[1]}.

فالوعي لما تسمع في هذه الآية هو من عمل العقل والقلب هنا بمعنى العقل وهو المعنى الشرعي لكلمة قلبك.

١٥. وقال الله سبحانه وتعالى

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾

سورة الأحزاب

« قال مجاهد: نزلت في رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهائه، وكان يقول: إن لي في جوفي قلبين، (أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد). قال: وكان من فهر. الواحدي والقشيري وغيرهما: نزلت في

[1]- تفسير القرطبي

جميل بن معمر الفهري، (وكان رجلا حافظا لما يسمع). فقالت قريش: ما يحفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان. وكان يقول: لي قلبان أعقل بهما أفضل من عقل محمد. {فلما هزم المشركون يوم بدر ومعهم جميل بن معمر، رآه أبو سفيان في العير وهو معلق إحدى نعليه في يده والأخرى في رجله؛ فقال أبو سفيان: ما حال الناس؟ قال انهزموا. قال: فما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي؛ فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده}. وقال السهيلّي: كان جميل بن معمر الجمحي، وهو ابن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، واسم جمح: تيم؛ وكان يدعى ذا القلبين فنزلت فيه الآية، وفيه يقول الشاعر:

وكيف ثوائي بالمدينة بعد ما	قضى وطرا منها جميل بن معمر

قلت: كذا قالوا جميل بن معمر. وقال الزمخشري: جميل بن أسد الفهري. وقال ابن عباس: سببها أن بعض المنافقين قال: إن محمدا له قلبان؛ لأنه ربما كان في شيء فنزع في غيره نزعة ثم عاد إلى شأنه الأول؛ فقالوا ذلك عنه فأكذبهم الله عز وجل. وقيل: نزلت في عبد الله بن خطل. وقال الزهري وابن حبان: نزل ذلك تمثيلا في زيد بن حارثة لما تبناه النبّي ﷺ؛ فالمعنى: كما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا يكون ولد واحد لرجلين. قال النحاس: وهذا قول ضعيف لا يصح في اللغة، وهو من منقطعات الزهري، رواه معمر عنه. وقيل: هو مثل ضرب للمظاهر؛ أي كما لا يكون للرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان. وقيل: كان الواحد من المنافقين يقول: لي قلب يأمرني بكذا، وقلب يأمرني بكذا؛

فالمنافق ذو قلبين؛ فالمقصود رد النفاق. وقيل: لا يجتمع الكفر والإيمان بالله تعالى في قلب، كما لا يجتمع قلبان في جوف؛ فالمعنى: لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب. ويظهر من الآية بجملتها نفي أشياء كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت، وإعلام بحقيقة الأمر، والله أعلم.

{القلب بضعة صغيرة على هيئة الصنوبرة، خلقها الله تعالى في الآدمي وجعلها محلا للعلم، فيحصي به العبد من العلوم} ما لا يسع في أسفار، يكتبه الله تعالى فيه بالخط الإلهّي، ويضبطه فيه بالحفظ الرباني، حتى يحصيه ولا ينسى منه شيئا. وهو بين لمتين: لمة من الملك، ولمة من الشيطان؛ كما قال ﷺ. خرجه الترمذي؛ وقد مضى في "البقرة". وهو محل الخطرات والوساوس ومكان الكفر والإيمان، وموضع الإصرار والإنابة، ومجرى الانزعاج والطمأنينة. والمعنى في الآية: أنه لا يجتمع في القلب الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والإنابة والإصرار، وهذا نفي لكل ما توهمه أحد في ذلك من حقيقة أو مجاز، والله أعلم.

أعلم الله عز وجل في هذه الآية أنه لا أحد بقلبين، ويكون في هذا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم؛ أي إنما هو قلب واحد، فإما فيه إيمان وإما فيه كفر؛ لأن درجة النفاق كأنها متوسطة، فنفاها الله تعالى وبين أنه قلب واحد. وعلى هذا النحو يستشهد الإنسان بهذه الآية، متى نسي شيئا أو وهم. يقول على جهة الاعتذار: ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه »{[1]}.

[1] – تفسير القرطبي

قيل: يعقل – ويحفظ – ينسى – وهذه الحالة لا تكون إلا في حال انشغال الإنسان بأكثر من شيء فمثلاً يسمع لأكثر من شخص معاً وفي آنٍ واحد فلا يستطيع أن يفهم ما يقال، وأيضا وفي تفسير الآية {وهو محل الخطرات والوساوس ومكان الكفر والإيمان، وموضع الإصرار والإنابة، ومجرى الانزعاج والطمأنينة. والمعنى في الآية: أنه لا يجتمع في القلب الكفر والإيمان، والهدى والضلال، والإنابة والإصرار،} والإيمان متعلق في العقل وعلى ذلك فالعقل هو محل الحفظ والنسيان وهذا من أعمال العقل، لذا يكون معنى القلب في هذه الآية العقل وهو المعنى الشرعي لكلمة القلب.

١٦. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ سورة الحج

« يعني كفار مكة فيشاهدوا هذه القرى فيتعظوا، ويحذروا عقاب الله أن ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم. {أضاف العقل إلى القلب لأنه محله كما أن السمع محله الأذن. وقد قيل: إن العقل محله الدماغ؛ وروي عن أبي حنيفة}؛ وما أراها عنه صحيحة. قال الفراء: الهاء عماد، ويجوز أن يقال فإنه، وهي قراءة عبد الله بن مسعود، والمعنى واحد، التذكير على الخبر، والتأنيث على الأبصار أو القصة؛ أي فإن الأبصار لا تعمى، أو فإن القصة. "لا تعمى الأبصار" أي أبصار العيون ثابتة لهم. أي عن درك

الحق والاعتبار. وقال قتادة: البصر الناظر جعل بلغة ومنفعة، والبصر النافع في القلب. وقال مجاهد: لكل عين أربع أعين؛ يعني لكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته؛ فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه فلم يضره عماه شيئا، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئا. وقال قتادة وابن جبير: نزلت هذه الآية في ابن أم مكتوم الأعمى. قال ابن عباس ومقاتل: (لما نزل "ومن كان في هذه أعمى" [الإسراء: ٧٢] قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله، فأنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلت "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في". أي من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام فهو في الآخرة في النار) »{[١]}.

قال في التفسير {أضاف العقل إلى القلب لأنه محله كما أن السمع محله الأذن. وقد قيل: إن العقل محله الدماغ؛ وروي عن أبي حنيفة}؛ فعلى هذا القول يتبين منه أن المراد بالقلب هو العقل. وأيضاً فالمعنى في هذا الموضع هو العقل لوجود القرينة في قوله تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} والسير في الأرض يوجب النظر فيحكم العقل على هذه الأشياء بأنها مخلوقة لخالق وهو الله سبحانه وتعالى. وأما قوله تعالى {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصدور} فالمراد بها هو المعنى الشرعي وهو النتيجة لأن عمى القلوب عبارة عن الطبع عليها فلا تهتدي للحق وهذا متعلق بالإيمان ومكان الإيمان هو العقل وهو الذي يجزم ويصدق بالعقيدة أو يكذبها والإيمان هو التصديق

---

[١] – تفسير القرطبي

الجازم المطابق للواقع عن دليل. فيكون المقصود بالقلب هنا العقل وهو المعنى الشرعي.

١٧. قال الله سبحانه وتعالى - تفسير آية ٧ من سورة البقرة.

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ سورة البقرة آية رقم ٧

« بين سبحانه في هذه الآية المانع لهم من الإيمان بقوله: "ختم الله". والختم مصدر ختمت الشيء ختما فهو مختوم ومختم؛ شدد للمبالغة، ومعناه التغطية على الشيء واستوثاق منه حتى لا يدخله شيء؛ ومنه: ختم الكتاب والباب وما يشبه ذلك، حتى لا يوصل إلى ما فيه، ولا يوضع فيه غير ما فيه.

وقال أهل المعاني: وصف الله تعالى قلوب الكفار بعشرة أوصاف: بالختم والطبع والضيق والمرض والرين والموت والقساوة والانصراف والحمية والإنكار. فقال في الإنكار: "قلوبهم منكرة وهم مستكبرون" [النحل: ٢٢]. وقال في الحمية: "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية". [الفتح: ٢٦] وقال في الانصراف: "ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون" [التوبة: ١٢٧]. وقال في القساوة: "فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله" [الزمر: ٢٢]. وقال: "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك" [البقرة: ٧٤]. وقال في الموت: "أو من كان ميتا فأحييناه" [الأنعام: ١٢٢]. وقال: "إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله" [الأنعام: ٣٦]. وقال في الرين: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". [المطففين: ١٤].

وقال في المرض: "في قلوبهم مرض". [محمد: ٢٩] وقال في الضيق: "ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا". [الأنعام: ١٢٥]. وقال في الطبع: ("فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). وقال: "بل طبع الله عليها بكفرهم" [النساء: ١٥٥]. وقال في الختم: "ختم الله على قلوبهم". [البقرة: ٧]. وسيأتي بيانها كلها في مواضعها إن شاء الله تعالى. { الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية. " فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق – سبحانه – مفهوم مخاطباته والفكر في آياته "}. وعلى السمع: عدم فهمهم للقرآن إذا تلي عليهم أو دعوا إلى وحدانية. وعلى الأبصار: عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته؛ هذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم. في هذه الآية أدل دليل وأوضح سبيل على أن الله سبحانه خالق الهدى والضلال، والكفر والإيمان؛ فاعتبروا أيها السامعون، وتعجبوا أيها المفكرون من عقول القدرية القائلين بخلق إيمانهم وهداهم؛ فإن الختم هو الطبع فمن أين لهم الإيمان ولو جهدوا؛ وقد طبع على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة، فمتى يهتدون، أو من يهديهم من بعد الله إذا أضلهم وأصمهم وأعمى أبصارهم "ومن يضلل الله فما له من هاد" [الزمر: ٢٣] وكان فعل الله ذلك عدلا فيمن أضله وخذله، إذ لم يمنعه حقا وجب له فتزول صفة العدل، وإنما منعهم ما كان له أن يتفضل به عليهم لا ما وجب لهم. فإن قالوا: إن معنى الختم والطبع والغشاوة التسميه والحكم والإخبار بأنهم لا يؤمنون، لا الفعل. قلنا: هذا فاسد،" لأن حقيقة الختم والطبع إنما هو فعل ما يصير به القلب مطبوعا مختوما؛ لا

يجوز أن تكون حقيقته التسمية والحكم؛ ألا ترى أنه إذا قيل: فلان طبع الكتاب وختمه، كان حقيقة أنه فعل ما صار به الكتاب مطبوعا ومختوما، لا التسمية والحكم. هذا ما لا خلاف فيه بين أهل اللغة"، ولأن الأمة مجمعة على أن الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم؛ كما قال تعالى: "بل طبع الله عليها بكفرهم" [النساء: ١٥٥]. وأجمعت الأمة على أن الطبع والختم على قلوبهم من جهة النبي عليه السلام والملائكة والمؤمنين ممتنع، فلو كان الختم والطبع هو التسمية والحكم لما امتنع من ذلك الأنبياء والمؤمنون؛ لأنهم كلهم يسمون الكفار بأنهم مطبوع على قلوبهم، وأنهم مختوم عليها وأنهم في ضلال لا يؤمنون؛ ويحكمون عليهم بذلك. فثبت أن الختم والطبع هو معنى غير التسمية والحكم؛ وإنما هو معنى يخلقه الله في القلب يمنع من الإيمان به؛ دليله قوله تعالى: "كذلك نسلكه في قلوب المجرمين. لا يؤمنون به" [الحجر: ١٢]. وقال: "وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه" [الأنعام: ٢٥]. أي يفقهوه، وما كان مثله. فيه دليل على فضل القلب على جميع الجوارح. والقلب للإنسان وغيره. "{ وخالص كل شيء وأشرفه قلبه؛ فالقلب موضع الفكر }". وهو في الأصل مصدر قلبت الشيء أقلبه قلبا إذا رددته على بداءته. وقلبت الإناء: رددته على وجهه. ثم نقل هذا اللفظ فسمي به هذا العضو الذي هو أشرف الحيوان، لسرعة الخواطر إليه، ولترددها عليه؛ كما قيل:

ما سمي القلب إلا من تقلبه	فاحذر على القلب من قلب وتحويل

ثم لما نقلت العرب هذا المصدر لهذا العضو الشريف التزمت فيه تفخيم قافه، تفريقا بينه وبين أصله. روى ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: (مثل القلب مثل ريشة تقلبها الرياح بفلاة). ولهذا المعنى كان عليه الصلاة والسلام يقول: (اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك). فإذا كان النبي ﷺ يقوله مع عظيم قدره وجلال منصبه فنحن أولى بذلك اقتداء به؛ قال الله تعالى: "واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه" [الأنفال: ٢٤]. وسيأتي. الجوارح وإن كانت تابعة للقلب فقد يتأثر القلب - وإن رئيسها وملكها - بأعمالها للارتباط الذي بين الظاهر والباطن؛ قال ﷺ: (إن الرجل ليصدق فتنكت في قلبه نكتة بيضاء وإن الرجل ليكذب الكذبة فيسود قلبه). وروى الترمذي وصححه عن أبي هريرة: (أن الرجل ليصيب الذنب فيسود قلبه فإن هو تاب صقل قلبه). قال: وهو الرين الذي ذكره الله في القرآن في قوله: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" [المطففين: ١٤]. وقال مجاهد: القلب كالكف يقبض منه بكل ذنب إصبع، ثم يطبع. قلت: وفي قول مجاهد هذا، وقوله عليه السلام: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) دليل على أن الختم يكون حقيقيا؛ والله أعلم. وقد قيل: إن القلب يشبه الصنوبرة، وهو يعضد قول مجاهد؛ والله أعلم. وقد روى مسلم عن حذيفة قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن (الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة). ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال: (ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها

مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء - ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه علي دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علي ساعيه وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا وفلانا). ففي قوله: (الوكت) وهو الأثر اليسير. ويقال للبسر إذا وقعت فيه نكتة من الإرطاب: قد وكت، فهو موكت. وقوله: (المجل)، وهو أن يكون بين الجلد واللحم ماء؛ وقد فسره النبي ﷺ بقوله: (كجمر دحرجته) أي دورته على رجلك فنفط. (فتراه منتبرا) أي مرتفعا - ما يدل على أن ذلك كله محسوس في القلب يفعل فيه؛ وكذلك الختم والطبع؛ والله أعلم. وفي حديث حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه...) وذكر الحديث (مجخيا): يعني مائلا. (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)، قال الله تعالى: "كذلك لنثبت به فؤادك" [الفرقان: ٣٢] وقال: "ألم نشرح لك صدرك" [الشرح: ١] يعني في الموضعين قلبك. وقد يعبر به عن العقل؛ قال الله تعالى: "إن في ذلك لذكرى لمن كان له

قلب" [ق: ٣٧] {أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين}. والفؤاد محل القلب، والصدر محل الفؤاد، والله أعلم. استدل بها من فضل السمع على البصر لتقدمه عليه، وقال تعالى: "قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم" [الأنعام:٤٦]. وقال: "وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة" [السجدة: ٩]. قال: والسمع يدرك به من الجهات الست، وفي النور والظلمة؛ ولا يدرك بالبصر إلا من الجهة المقابلة، وبواسطة من ضياء وشعاع وقال أكثر المتكلمين بتفضيل البصر على السمع؛ لأن السمع لا يدرك به إلا الأصوات والكلام، والبصر يدرك به الأجسام والألوان والهيئات كلها. قالوا: فلما كانت تعلقاته أكثر كان أفضل؛ وأجازوا الإدراك بالبصر من الجهات الست. إن قال قائل: لم جمع الأبصار ووحد السمع؟ قيل له: إنما وحده لأنه مصدر يقع للقليل والكثير؛ يقال: سمعت الشيء أسمعه سمعا وسماعا، فالسمع مصدر سمعت؛ والسمع أيضا اسم للجارحة المسموع بها سميت بالمصدر. وقيل: إنه لما أضاف السمع إلى الجماعة دل على أنه يراد به أسماع الجماعة؛ كما قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها	فبيض وأما جلدها فصليب

إنما يريد جلودها فوحد؛ لأنه قد علم أنه لا يكون للجماعة جلد واحد. وقال آخر في مثله:

لا تنكر القتل وقد سبينا	في حلقكم عظم وقد شجينا

يريد في حلوقكم؛ ومثله قول الآخر:

كأنه وجه تركيين قد غضبا	مستهدف لطعان غير تذبيب

وإنما يريد وجهين، فقال وجه تركيين؛ لأنه قد علم أنه لا يكون للاثنين وجه واحد، ومثله كثير جدا. وقرئ: "وعلى أسماعهم" ويحتمل أن يكون المعنى وعلى مواضع سمعهم، لأن السمع لا يختم وإنما يختم موضع السمع، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقد يكون السمع بمعنى الاستماع؛ يقال: سمعك حديثي - أي استماعك إلى حديثي - يعجبني، ومنه قول ذي الرمة يصف ثورا تسمع إلى صوت صائد وكلاب:

وقد توجس ركزا مقفر ندس	بنبأة الصوت ما في سمعه كذب

أي ما في استماعه كذب؛ أي هو صادق الاستماع. والندس: الحاذق. والنبأة: الصوت الخفي، وكذلك الركز. والسمع (بكسر السين وإسكان الميم): ذكر الإنسان بالجميل، يقال: ذهب سمعه في الناس أي ذكره. والسمع أيضا: ولد الذئب من الضبع. والوقف هنا: "وعلى سمعهم". و "غشاوة" رفع على الابتداء وما قبله خبر. والضمائر في "قلوبهم" وما عطف عليه لمن سبق في علم الله أنه لا يؤمن من كفار قريش، وقيل من المنافقين، وقيل من اليهود، وقيل من الجميع، وهو أصوب؛ لأنه يعم. فالختم على القلوب والأسماع. والغشاوة على الأبصار. والغشاء: الغطاء. وهي: ومنه غاشية السرج؛ وغشيت الشيء أغشيه. قال النابغة:

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبي	إذا الدخان تغشى الأشمط البرما

وقال آخر:

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة	فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

قال ابن كيسان: فإن جمعت غشاوة قلت: غشاء بحذف الهاء. وحكى الفراء: غشاوى مثل أداوى. وقرئ: "غشاوة" بالنصب على معنى وجعل، فيكون من باب قوله:

علفتها تبنا وماء باردا

وقول الآخر:

يا ليت زوجك قد غدا	متقلدا سيفا ورمحا

المعنى وأسقيتها ماء، وحاملا رمحا؛ لأن الرمح لا يتقلد. قال الفارسي: ولا تكاد تجد هذا الاستعمال في حال سعة واختيار؛ فقراءة الرفع أحسن، وتكون الواو عاطفة جملة على جملة. قال: ولم أسمع من الغشاوة فعلا متصرفا بالواو. وقال بعض المفسرين: الغشاوة على الأسماع والأبصار؛ والوقف على "قلوبهم". وقال آخرون: الختم في الجميع، والغشاوة هي الختم؛ فالوقف على هذا على "غشاوة". وقرأ الحسن "غشاوة" بضم الغين، وقرأ أبو حيوة بفتحها؛ وروي عن أبي عمرو: غشوة؛ رده إلى أصل المصدر. قال ابن كيسان: ويجوز غشوة وغشوة وأجودها غشاوة؛ كذلك تستعمل العرب في كل ما كان مشتملا على الشيء، نحو عمامة وكنانة وقلادة وعصابة وغير ذلك. أي للكافرين المكذبين نعته. والعذاب مثل الضرب بالسوط والحرق بالنار والقطع بالحديد؛ إلى غير ذلك مما يؤلم الإنسان. وفي التنزيل: "وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين" [النور: ٢] وهو مشتق من الحبس والمنع؛ يقال في اللغة: أعذبه عن كذا أي أحبسه وأمنعه؛ ومنه سمي عذوبة الماء؛ لأنها قد أعذبت. واستعذب بالحبس في الوعاء ليصفو ويفارقه ما خالطه؛ ومنه قول علي رضي الله عنه: أعذبوا

نساءكم عن الخروج؛ أي أحبسوهن. وعنه رضي الله عنه وقد شيع سريه فقال: أعذبوا عن ذكر النساء [أنفسكم] فإن ذلك يكسركم عن الغزو؛ وكل من منعته شيئا فقد أعذبته؛ وفي المثل: "لألجمنك لجاما معذبا" أي مانعا عن ركوب الناس. ويقال: أعذب أي امتنع. وأعذب غيره، فهو لازم ومتعد؛ فسمي العذاب عذابا لأن صاحبه يحبس ويمنع عنه جميع ما يلائم الجسد من الخير ويهال عليه أضدادها. » {[1]}

ملاحظة : لقد وضعت تفسير الآية كاملاً للعموم الفائدة.

يقول القرطبي في تفسير الآية { أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين } ويقول في موضع آخر {الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه - مفهوم مخاطباته والفكر في آياته}. ويقول في موضع آخر "{وخالص كل شيء وأشرفه قلبه؛ فالقلب موضع الفكر}" ويقول في موضع آخر {فالمقصود هنا بالقلب العقل} فتحصل لديه عملية التفكير فينتج عنه الفكر وتحوله إلى مفهوم وربط المفهوم بالسلوك مرتبط بالدوافع – لذا يستقر هذا الفكر عند الإنسان - لذلك قال في الحديث الشريف تعرض الفتن على القلوب كالحصير .... الحديث، وربط بين الرين على القلوب (والكسب – هو الأعمال الذي يثاب عليها الإنسان أو يعاقب عليها) والثواب والعقاب لا يكون الا بعد عملية تفكير فيقدم على

---

[1] – تفسر القرطبي

العمل أو يحجب عنه (والعقل محل التكليف) وكل هذا ليدلل على أن القلب المراد به المعنى الشرعي وهو العقل.

١٨. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

(٢٨٣) سورة البقرة

« خص القلب بالذكر إذ الكتم من أفعاله، وإذ هو المضغة التي بصلاحها يصلح الجسد كله كما قال عليه السلام؛ فعبر بالبعض عن الجملة، وقد تقدم في أول السورة. وقال الكيا: لما عزم على ألا يؤديها وترك أداءها باللسان رجع المأثم إلى الوجهين جميعا. فقوله" آثم قلبه" مجاز، وهو آكد من الحقيقة في الدلالة على الوعيد، وهو من بديع البيان ولطيف الإعراب عن المعاني. يقال: إثم القلب سبب مسخه، والله تعالى إذا مسخ قلبا جعله منافقا وطبع عليه، نعوذ بالله منه وقد تقدم في أول السورة »{[1]}.

والكتم هو أن يخفي الشخص معلومات معينة وهذا من أفعال العقل. ولقد ربط القرطبي في تفسيره بين هذه الآية وبين الآية (٧) من

[1] – تفسير القرطبي

سورة البقرة{[1]}. وهذا مما يدلل دلالة واضحة على أن القلب هنا يطلق ويقصد به العقل. لذا يستقر هذا الفكر في العقل أي في داخل الإنسان فيكون المعنى الشرعي هو المقصود في هذه الآية.

١٩. وقال الله سبحانه وتعالى

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ سورة البقرة

« أي سألتك ليطمئن قلبي بحصول الفرق بين المعلوم برهاً. و المعلوم عياناً والطمأنينة: هي الاعتدال بعد السكون فطمأنينة الأعضاء معروفة كما قال عليه السلام (ثم اركع حتى تطمئن راكعاً) الحديث. وطمأنينة القلب هي أن يسكن الفكر في الشيء المعتقد »{[2]}.

فقوله في تفسير الآية وطمأنينة القلب هي أن يسكن الفكر في الشيء المعتقد وهذا لا يتأتى إلا أن يكون المقصود بالقلب هنا العقل وهو النتيجة الحاصلة بعد عملية التفكير بمعرفة حقيقة الشيء يقيناً فيسكن الإنسان ولا يراجع عقله في التفكير فيحصل لديه القناعة المبنية على

---

[1] – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

[2] – تفسير القرطبي

العقل فينتج عن ذلك الشعور بالطمأنينة وهذا الشعور ناتج عن فكر وهذا محله العقل فيكون معنى القلب هنا العقل وهو المعنى الشرعي.

٢٠. وقال الله سبحانه وتعالى

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ سورة البقرة

« ابتداء وخبر. والمرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم. وذلك إما أن يكون شكا ونفاقا، وإما جحدا وتكذيبا. والمعنى: قلوبهم مرضى لخلوها عن العصمة والتوفيق والرعاية والتأييد. قال ابن فارس اللغوي: المرض كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر. » {[١]}

والنفاق إظهار خلاف ما يبطن الإنسان وهو خلاف ما استقر عنده والنفاق من أعمال العقل ولهذا يكون المعني المقصود بالقلب هو العقل وهو المعنى الشرعي.

٢١. وقال الله سبحانه وتعالى

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ سورة البقرة

« وقال قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء: نزلت في كل مبطن كفرا أو نفاقا أو كذبا أو إضرارا، وهو يظهر بلسانه خلاف ذلك؛ فهي عامة، وهي

[١] – تفسير القرطبي

تشبه ما ورد في الترمذي أن في بعض كتب الله تعالى: إن من عباد الله قوما ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، يشترون الدنيا بالدين، يقول الله تعالى: أبي يغترون، وعلي يجترئون؟ فبي حلفت لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران. ومعنى "ويشهد الله" أي يقول: الله يعلم أني أقول حقا. وقرأ ابن محيصن "ويشهد الله على ما في قلبه" بفتح الياء والهاء في "يشهد" "الله" بالرفع، والمعنى يعجبك قوله، والله يعلم منه خلاف ما قال. دليل قوله: "والله يشهد إن المنافقين لكاذبون" [المنافقون: ١]. وقراءة ابن عباس: "والله يشهد على ما في قلبه". وقراءة الجماعة أبلغ في الذم؛ لأنه قوى على نفسه التزام الكلام الحسن، ثم ظهر من باطنه خلافه. وقرأ أبي وابن مسعود: "ويستشهد الله على ما في قلبه" وهي حجة لقراءة الجماعة »{[١]}.

المقصود بالقلب هنا العقل. – فقول قتادة ومجاهد وجماعة من العلماء: نزلت في كل مبطن كفرا أو نفاقا أو كذبا أو إضرارا، وهو الذي يظهر بلسانه خلاف ذلك؛ فهي عامة – وهذا ليدل على معنى القلب أنه العقل فإنك تسمع من المنافق حلو الحديث من كذب وإضرارا فيحلف على أنه يقول حقا فيعجبك قوله لأنه أظهر الإيمان أو الخير وأخفى ما ستقر في داخله من النفاق، فحلو الحديث وهو النفاق من أعمال العقل فالعقل هو الذي يُخفى فيه المعلومات ويظهر غيره فيكون المقصود المعنى الشرعي وهو العقل.

---

[١] – تفسير القرطبي

٢٢. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ سورة البقرة

« وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن أمر العجل في قلوبهم ، وفي الحديث (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عودا فأي قلبٍ أُشربها نكت فيه نكتةٌ سوداء ...) الحديث خرجه مسلم ،يقال أُشرِب قلبه حب كذا، قال زهير:

فصحوتُ عنها بعد حُبٍّ داخلٍ		والحُبُّ تُشرِبُه فؤادَك داءُ

وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء يغلغل في الأعضاء حتى يصل باطنها »{[١]}.

وأشربوا في قلوبهم العجل أي نتيجة أنهم جعلوا العجل إلها لهم وعبدوا العجل فالعبادة هي نتيجة عملية تفكير وهذا من أعمال الكفر والكفر من أعمال العقل فالعقل هو الذي ينكر الذي يشرك وهو الذي يقرر العبادة من عبادة الله أو الأشراك بالله ولذلك قول القرطبي وفي الحديث (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عودا فأي قلبٍ أُشربها نكت فيه نكتةٌ سوداء ...) الحديث خرجه مسلم. فعرض الفتن لا يكون إلا على

[١] – تفسير القرطبي

العقل لأنه هو الذي يقرر الحكم على الفتن إما أن يرفض أو يقبل الفتنة وهذا ليدلل على أن القلب هنا العقل لذا قال سبحانه وتعالى {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ} وهي عبارة عن استقرار الكفر عندهم وهذا الرأي منهم لذلك فالمقصود هنا المعنى الشرعي.

٢٣. وقال الله سبحانه وتعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ سورة البقرة

« قيل في التعنت والاقتراح وترك الإيمان، وقال الفراء. {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} في اتفاقهم على الكفر »{[١]}.

هذه الآية ذكرت بأن قلوبهم متشابه في عدم العلم والكلام وطلبهم الكلام والآيات ألم ترى أن الله وصفهم بعدم العلم في أول الآية لأنهم طلبوا أن يكلمهم الله سبحانه وتعالى أو أن تأتيهم آيات وكل هذا من الأعمال الموكلة للعقل فهذا التشابه بالتفكير ليدلل أن المراد هنا بقلوبهم أي عقولهم ولذلك أكدت الآية على أنهم لا يوقنون بمعنى لا يؤمنون والإيمان من عمل العقل فواقع الإيمان هو تصديق جازم مطابق للواقع عن دليل وهو العقيدة ومن هنا تكون قلوبهم بمعنى عقولهم لما ثبت عندهم من الكفر وهذا لا يكون إلا من العقل وهو المعنى الشرعي.

---

[١]– تفسير القرطبي

٢٤. وقال الله سبحانه وتعالى

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ سورة آل عمران

« وغليظ القلب عبارةٌ عن تجهم الوجه، وقِلةِ الانفعال في الرغائب، وقِلةِ الإشفاق والرحمة، ومن ذلك قول الشاعر

يُبكى علينا ولا نَبكي على أحدٍ ؟	**لَنَحنُ أغْلَظُ أكباداً من الإبلِ**

».{[1]}

الفظاظة:- فظظ الفظُّ الخَشِنُ الكلام وقيل الفظ الغليظ قال الشاعر رؤبة لما رأَينا منهمُ مُغتاظا تَعْرِف منه اللُّؤْمَ والفِظاظا والفَظَظُ خشونة في الكلام ورجل فَظٌّ ذو فَظاظةٍ جافٍ غليظٌ في مَنطقِه غِلَظٌ وخشونةٌ وإِنه لَفَظٌّ بَظٌّ إِتباع حكاه ثعلب ولم يشرح بَظّاً قال ابن سيده فوجهناه على الإِتباع والجمع أَفظاظ الشدة في القول والقصوة فيه أما الين{[2]}:- لين – اللِّينُ ضِدُّ الخُشونة يقال في فِعْل الشيء اللَّيِّن لانَ الشيءُ يَلِينُ لِيْناً ولَيَاناً وتَلَيَّن وشيءٌ لَيِّنٌ ولَيْنٌ مخفف منه والجمع أَلْيِناءُ وفي الحديث يَتْلُونَ كتابَ الله لَيِّناً أَي سَهْلا على أَلسنتهم ويروى لَيْناً بالتخفيف لغة فيه وأَلانه هو ولَيَّنه وأَلْيَنه صَيَّرَه لَيِّناً ويقال أَلَنْتُه وأَلْيَنتُه

---

[1] – تفسير القرطبي

٢- لسان العرب

٣- لسان العرب

على النقْصان والتمام {[3]} الآية تصف عدم الغلظة في القول ولين القلب من الرسول ﷺ واللين هو العطف عليهم وحبهم ورحمتهم وهذا عبارة عن شدة رسوخ ما وصلوا إليه من فكر في قول الشاعر فالمقصود من القلب في هذه الآية المعنى الشرعي وهو العقل وذلك من معنى رسوخ الشفقة والرحمة عند رسول الله ﷺ بتثبيتهما من الله سبحانه وتعالى : لقوله تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ} وهذا الرسوخ من نتاج العقل فالقلب هنا العقل وهو المعنى الشرعي للقلب.

٢٥. وقال الله سبحانه وتعالى

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

سورة آل عمران

« المعنى : سَنَمْلأ قلوب المشركين خوفاً وفزعاً »{[1]}.

إن الرعب:- الرُّعْبُ والرُّعُبُ الفَزَع والخَوْفُ رَعَبَه يَرْعَبُه رُعْباً ورُعُباً فهو مَرْعُوبٌ ورَعِيبٌ أَفْزَعَه ولا تَقُلْ أَرْعَبَه ورَعَّبَه تَرْعِيباً وتَرْعاباً فَرَعَب رُعْباً وارْتَعَبَ فهو مُرَعَّبٌ ومُرْتَعِبٌ أَي فَزِعٌ وفي الحديث نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسيرةَ شَهرٍ كان أَعداءُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قد أَوْقَعَ اللهُ في قلوبِهِمُ الخَوْفَ منه فإِذا كان بينَه وبينَهم مَسِيرَةُ شَهْرٍ هابُوه وفَزِعُوا منه وفي حديث الخَنْدَق إِنَّ الأُولى رَعَّبُوا عَلَيْنا{[2]} وهو الخوف الشديد لا يكون إلا بعد عملية تفكير فمثلا لو كان انسان في غابة وقابله أسد فإنه يصدر

---

[1]- لسان العرب

١- لسان العرب

الحكم على هذا الواقع أنه أسد وتوجد عند الإنسان معلومات عن الأسد أنه مفترس سيهاجم ويأكل من يجده أمامه فبعد هذا الحكم على هذا الواقع يصاب بالذعر والخوف، والخوف والذعر هما احاسيس (أي شعور) ناتجة عن مفاهيم فيهرب أو يحاول قتله لأنه توجد لديه مفاهيم عن الأسد أنه مفترس فنجد الآية تقول بأن الله سبحانه وتعالى سيلقي الرعب في الكفار وهذا الإلقاء يكون إما أن يريهم شيء يخيفهم فيصدروا الحكم على الواقع أنه مخيف أو أنه سبحانه وتعالى يضع الخوف من الوهن الذي يصبهم ومن الضعف الذي يلقيه الله سبحانه وتعالى عليهم وكل ذلك لا يكون إلا بعد اصدار العقل الحكم عليه من قبلهم فيحدث عندهم الشعور بالرعب ولذلك يتبين أن الله سبحانه وتعالى سوف يقذف الخوف والفزع في قلوبهم أي عقولهم ويثبته عند الكافرين في هذه المعركة وقلنا أن هذا التثبيت عرضة للتبديل والتغير وهذا لا يكون إلا من العقل فالعقل هو الذي يحكم على الواقع أنه مخيف فيحدث نتيجة هذا الحكم الشعور بالخوف، ولذلك نجد أن المراد بالقلب هنا هو المعنى الشرعي وهو العقل.

٢٦. وقال الله سبحانه وتعالى

وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ سورة آل عمران

سورة آل عمران

« أمر تعالى بتذكر نعمه وأعظمها الإسلام واتباع نبيه محمد ﷺ فإن به زالت العداوة والفرقة وكانت المحبة والألفة والمراد الأوس والخزرج ، والآية تعم أي عامة »{[١]}.

وهنا أيضاً يكون معنى قلوبكم أي عقولكم وهذا يدل عليه قوله تعالى {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ}. والألفة والمحبة تحتاج إلى فكر وتحوله إلى مفهوم وتثبيت واستقرار لهذا المفهوم الناتج عن فكر عند الإنسان، فينتج عنه الألفة والمحبة لأن الإنسان يتصرف اتجاه أي شخص حسب المعلومات التي تكون مفاهيم عنده عن هذا الشخص، من حب أو كره. فيكون المقصود المعنى الشرعي فقلوبكم: عقولكم.

---

[١] – **تفسير القرطبي**

٢٧. وقال الله سبحانه وتعالى

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ سورة آل عمران

« اللام لام كي، أي ولتطمئن قلوبكم به جعله : كقوله: "وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا" [فصلت: ١٢] أي وحفظا لها جعل ذلك »{[١]}.

{وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ} الطمأنينة: هي الهدوء بعد الانزعاج ولا تكون الطمأنينة إلا إذا كانت هناك عملية تفكير فيصدر الإنسان الحكم على الشيء ثم يعتقد بما توصل له من حكم فينتج عن ذلك الطمأنينة، فيكون المعنى الشرعي هو المقصود في هذه الآية وهو أن القلب هنا قصد به العقل.

٢٨. وقال الله سبحانه وتعالى

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

سورة آل عمران

---

[١] – تفسير القرطبي

« فقيل: إن المنافقين قالوا لو كان لنا عقل ما خرجنا إلى قتال أهل مكة، ولما قتل رؤساؤنا. فرد الله عليهم فقال أي لخرج. أي فرض. وقيل: لو تخلفتم أيها المنافقون لبرزتم إلى موطن آخر غيره فتصرعون فيه حتى يبتلي الله ما فيها ويظهره للمؤمنين. والواو في قوله مقحمة كقوله: "وليكون من الموقنين" [الأنعام: ٧٥] أي ليكون، وحذف الفعل الذي مع لام كي. والتقدير " وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم" فرض الله عليكم القتال والحرب ولم ينصركم يوم أحد ليختبر صبركم وليمحص عنكم سيئاتكم إن تبتم وأخلصتم. وقيل: معنى " ليبتلي" ليعاملكم معاملة المختبر. وقيل: ليقع منكم مشاهدة ما علمه غيبا. وقيل: هو على حذف مضاف، والتقدير ليبتلي أولياء الله تعالى. وقد تقّدم معنى التمحيص. أي ما فيها من خير وشر. وقيل: ذات هي؛ لأن ذات الشيء نفسه »{[١]}.

أنظر قولهم في تفسير الآية " إن المنافقين قالوا لو كان لنا عقل ما خرجنا إلى قتال أهل مكة"، فهذا القول من المنافقين لا يكون إلا بعد عملية تفكير، وأيضاً أي ليختبر "وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم" ويظهر الله سبحانه وتعالى ما هو مستقر عندكم من الإيمان. فالإيمان: هو التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل. وهذا ناتج عن عملية تفكير وهو من نتاج العقل، لذا معنى قلوبكم هنا عقولكم وصدوركم أيضاً بمعنى عقولكم وسيأتي شرح صدوركم في موضعها فالكتاب، فيكون المقصود هنا المعنى الشرعي

---

[١] – تفسير القرطبي .

٢٩. وقال الله سبحانه وتعالى

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ سورة آل عمران

« الذين رفع بالابتداء، والخبر " فيتبعون ما تشابه منه ". والزيغ الميل؛ ومنه زاغت الشمس، وزاغت الأبصار. ويقال: زاغ يزيغ زيغا إذا ترك القصد؛ ومنه قوله تعالى: " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" [الصف: ٥]. وهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة، وإن كانت الإشارة بها في ذلك الوقت إلى نصارى نجران »{[١]}.

معنى الزيغ؛ الزَّيْغُ المَيْلُ زاغَ يَزِيغُ زَيْغاً وزَيَغاناً وزُيُوغاً وزَيْغُوغةً وأَزَغْتُه أَنا إزاغةً وهو زائِغٌ من قوم زاغةٍ مالَ وقومٌ زاغةٌ عن الشيءِ أَي زائغون وقوله تعالى رَبَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إِذْ هَدَيْتَنا أَي لا تُمِلْنا عن الهُدَى والقَصْدِ ولا تُضِلَّنا وقيل لا تُزِغْ قلوبَنا لا تَتَعَبَّدْنا بما يكون سبباً لزيغ قلوبِنا والواوُ لغة وفي حديث الدعاء اللهم لا تُزِغْ قَلْبي أَي لا تُمَيِّلْه عن الإِيمانِ يقال زاغَ عن الطريق يَزِيغُ إذا عدَلَ عنه وفي حديث أَبي بكر رضي الله عنه أَخافُ إِن تَرَكْتُ شيئاً من أَمرِهِ أَن أَزِيغَ أَي أَجُورَ وأَعْدِلَ

---

[١]– تفسير القرطبي

عن الحقّ وحديث عائشة وإذْ زاغت الأَبصار أَي مالَتْ عن مكانها كما يَعْرِضُ للإِنسان عند الخوف وأَزاغه عن الطريق أَي أَمالَه وزاغتِ الشمسُ تَزِيغُ زَيُوغاً فهي زائِغةٌ مالَتْ وزاغَتْ{[1]} معنى الميل –المَيْلُ– العُدول إِلى الشيء والإِقبالُ عليه وكذلك المَيْلانَ. ومالَ الشيءُ يَمِيلُ مَيْلاً و مَمالاً ومَمِيلاً{[2]} في هذه الآية معنى الزيغ ومعنى الميل هو الابتعاد عن الحق وهذا من نتاج العقل ولا يكون إلا بعد عملية تفكير، فيوجد عن الإنسان الميل فإما أن يقدم أو أن يحجم عن الشيء بناء على الفكر الذي أصدره عليه وأما قوله تعالى في الآية {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} فأصحاب العلم هم الذين يستعملون العقل ويفكرون في الآيات ومن ثم يكمون على هذه الآيات وأيضا أولو الألباب هم أصحاب العقول فهذه إمارات على أن المعنى في هذه الآية هنا قلوبهم عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٣٠. وقال الله سبحانه وتعالى

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ سورة آل عمران

« الكلام حذف تقديره يقولون. وهذا حكاية عن الراسخين. ويجوز أن يكون المعنى قل يا محمد، ويقال: إزاغة القلب "فساد وميل عن الدين"،

---

[1] – لسان العرب

[2] – لسان العرب

أفكانوا يخافون وقد هدوا أن ينقلهم الله إلى الفساد؟ فالجواب أن يكونوا سألوا إذ هداهم الله ألا يبتليهم بما يثقل عليهم من الأعمال فيعجزوا عنه؛ نحو "ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم..." [النساء: ٦٦]. قال ابن كيسان: سألوا ألا يزيغوا فيزيغ الله قلوبهم؛ نحو "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم..." [الصف: ٥] أي ثبتنا على هدايتك إذ هديتنا وألا نزيغ فنستحق أن تزيغ قلوبنا. وقيل: هو منقطع مما قبله؛ وذلك أنه تعالى لما ذكر أهل الزيغ. عقب ذلك بأن علم عباده الدعاء إليه في ألا يكونوا من الطائفة الذميمة التي ذكرت هي وأهل الزيغ. وروى الترمذي من حديث شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين، ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك). فقلت: يا رسول الله، ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال: (يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ). فتلا معاذ "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا" »{[١]}.

المعنى اللغوي من لسان العرب في الآية التي قبلها لكلمتي الزيغ والميل فليرجع لهما. هذا دعاء بألا يميل المؤمن وألا يزيغ عن الحق وهو الدين أي بمعنى لا تردنا عن دِّينك بعد إيماننا فتردنا كفاراً وقلنا أن الإيمان هو التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل وهذا الإيمان من نتاج العقل، وهنا المقصود بقلوبنا عقولنا وهو المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير القرطبي

٣١. وقال الله سبحانه وتعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ

(١٥٦) سورة آل عمران

« يعني ظنهم وقولهم. واللام متعلقة بقوله "قالوا" أي ليجعل ظنهم أنهم لو لم يخرجوا ما قتلوا. "حسرة" أي ندامة "في قلوبهم". والحسرة الاهتمام على فائت لم يقدر بلوغه؛ قال الشاعر:

فوا حسرتي لم أقض منها لبانتي	**ولم أتمتع بالجوار وبالقرب**

وقيل: هي متعلقة بمحذوف. والمعنى: لا تكونوا مثلهم "ليجعل الله ذلك" القول "حسرة في قلوبهم" لأنهم ظهر نفاقهم. وقيل: المعنى لا تصدقوهم ولا تلتفتوا إليهم؛ فكان ذلك حسرة في قلوبهم. {وقيل: "ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم" يوم القيامة لما هم فيه من الخزي والندامة، ولما فيه المسلمون من النعيم والكرامة} »{[١]}.

فقول القرطبي:- حسرة" أي ندامة "في قلوبهم". والحسرة الغَم على أمر قد مضا لم تقدر بلوغه - ولا تكون الندامة إلا بعد تفكير فيحصل الندم، والندم هو حكم أي فكر وهو الحكم على الشيء، فيندم على ما

---

[١] - تفسير القرطبي

فاته، وهذا من نتاج العقل، فالمقصود قلوبهم : عقولهم وهذا هو المعنى الشرعي.

٣٢. وقال الله سبحانه وتعالى

وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ سورة آل عمران

« أي بينوا حالهم، وهتكوا أستارهم، وكشفوا عن نفاقهم لمن كان يظن أنهم مسلمون؛ فصاروا أقرب إلى الكفر في ظاهر الحال، وإن كانوا كافرين على التحقيق. أي أظهروا الإيمان، وأضمروا الكفر. وذكر الأفواه تأكيد؛ مثل قوله: "يطير بجناحيه" [الأنعام: ٣٨] »{[١]}.

فالإيمان والكفر والنفاق من نتاج العقل وهذا من عمل العقل يخفي الكفر ويظهر الإيمان. فالمقصود هنا المعنى الشرعي لأن الأمر متعلق في النفاق وهو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر وهذا متعلق بالعقل فإخفاء المعلومات والأحكام وعدم إظهارها هو مسؤولية العقل، فيكون معنى قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير القرطبي

٣٣. وقال الله سبحانه وتعالى

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ سورة النساء

« فقال الله تعالى مكذبا لهم: "أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم" قال الزجاج: معناه قد علم الله أنهم منافقون. والفائدة لنا: اعلموا أنهم منافقون. قيل: عن عقابهم. وقيل: عن قبول اعتذارهم أي خوفهم. قيل في الملأ. أي ازجرهم بأبلغ الزجر في السر والخلاء. الحسن: قل لهم إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتكم. وقد بلغ القول بلاغة؛ ورجل بليغ يبلغ بلسانه كنه ما في قلبه. والعرب تقول: أحمق بلغ وبلغ، أي نهاية في الحماقة. وقيل: معناه يبلغ ما يريد وإن كان أحمق. ويقال: إن قوله تعالى: "فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم "نزل في شأن الذين بنوا مسجد الضرار؛ فلما أظهر الله نفاقهم، وأمرهم بهدم المسجد حلفوا لرسول الله ﷺ دفاعا عن أنفسهم: ما أردنا ببناء المسجد إلا طاعة الله وموافقة الكتاب »{[١]}.

علم الله سبحانه وتعالى ما هو مستقرٌ في داخلهم أي عقلهم من النفاق وهو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر وهذا متعلق بالعقل وهو من نتاجه فمعنى قلوبهم هنا عقولهم وهو المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير القرطبي

٣٤. وقال الله سبحانه وتعالى

قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ سورة المائدة

« قوله تعالى: "قالوا نريد أن نأكل منها" نصب بأن "وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين" عطف كله بينوا به سبب سؤالهم حين نهوا عنه. وفى قولهم: " نأكل منها" وجهان: أحدهما: أنهم أرادوا الأكل منها لحاجة الداعية إليها؛ وذلك أن عيسى عليه السلام كان إذا خرج اتبعه خمسة آلاف أو أكثر، بعضهم كانوا أصحابه وبعضهم كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم لمرض كان بهم أو علة إذ كانوا مرضى أو عميانا وبعضهم كانوا ينظرون ويستهزئون فخرج يوما إلى موضع فوقعوا في مفازة ولم يكن معهم نفقة فجاعوا وقالوا للحواريين: قولوا لعيسى حتى يدعو بأن تنزل علينا مائدة من السماء؛ فجاءه شمعون رأس الحواريين وأخبره أن الناس يطلبون بأن تدعو بأن تنزل عليهم مائدة من السماء، فقال عيسى لشمعون: "قل لهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين" فأخبر بذلك شمعون القوم فقالوا له: قل له: "نريد أن نأكل منها" الآية. الثاني: "نأكل منها" لننال بركتها لا لحاجة دعتهم إليها، قال الماوردي: وهذا أشبه؛ لأنهم لو احتاجوا لم ينهوا عن السؤال وقولهم: "وتطمئن قلوبهم" يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: تطمئن إلى أن الله تعالى بعثك إلينا نبيا الثاني: تطمئن إلى أن الله تعالى قد اختارنا لدعوتنا الثالث: تطمئن إلى أن الله تعالى قد أجابنا إلى ما سألنا؛ ذكرها الماوردي وقال المهدوي: أي تطمئن

بأن الله قد قبل صومنا وعملنا قال الثعلبي: نستيقن قدرته فتسكن قلوبنا. "ونعلم أن قد صدقتنا" بأنك رسول الله "ونكون عليها من الشاهدين" لله بالوحدانية، ولك بالرسالة والنبوة. وقيل: "ونكون عليها من الشاهدين" لك عند من لم يرها إذا رجعنا إليهم »{[1]}.

فقول الله سبحانه وتعلى {وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا} فالصدق والكذب من أعمال العقل ليدلل أن المعنى هو أن يحدث عندهم الإيمان وهو التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل، ليصبح عندهم عقيدة والصدق والكذب من نتاج العقل ولا يكون هذا التصديق إلا بعد عملية تفكير، فيكون معنى قلوبهم أي عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٣٥. وقال الله سبحانه وتعالى

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

سورة المائدة

« فقوله سبحانه وتعالى {وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ}: أي لم يضمروا في قلوبهم الإيمان كما نطقت به ألسنتهم. وقوله تعالى {لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}

---

[1] – تفسير القرطبي

أي لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الطبع عليها والختم كما طهر قلوب المؤمنين ثواباً لهم »{[1]}.

فقول القرطبي في تفسير الآية السابعة من سورة البقرة فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} {فالقلب موضع الفكر}"{[2]} راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة،

وهنا يقول القرطبي أي لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الطبع عليها والختم والطبع عدم الفهم وهذا من أعمال العقل كما طهر قلوب المؤمنين وتطهير القلوب بأن يجعل الإنسان يفهم الإسلام ويطيع الله سبحانه وتعالى في عقله وهذا أيضاً من أعمال العقل فجعل العقل يتقبل الإسلام وهو ثواب لهم، فالمقصود بقلوبهم هنا عقولهم هو المعنى الشرعي.

٣٦. وقال الله سبحانه وتعالى

فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ سورة المائدة

« شك ونفاق، وقد تقدم في "البقرة" والمراد ابن أُبي وأصحابه أي في موالاتهم ومعاونتهم. أي يعضدهم على المسلمين »{[3]}.

---

[1] – تفسير القرطبي

[2] – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

[1] – تفسير القرطبي .

يتبين أن المقصود في هذه الآية هو المعنى الشرعي وذلك من سياق الآية نفسها فيقول سبحانه وتعالى {فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ} فالإسرار يعني ما استقر عندهم من النفاق والشك في قلوبهم أي عقولهم. والندم لا يكون إلا بعد عملية تفكير وإصدار الحكم، فينتج عندهم هذا الفكر ومن ثم الندم بعد معرفتهم خطأهم والشك هو التردد في الحكم على الشيء وهذا من أعمال العقل.

٣٧. وقال الله سبحانه وتعالى

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ

(٤٦) سورة الأنعام

« أي أذهب وانتزع. ووحد "سمعكم" لأنه مصدر يدل على الجمع. أي طبع. وجواب (إن) محذوف تقديره: فمن يأتيكم به، وموضعه نصب؛ لأنها في موضع الحال، كقولك: اضربه إن خرج أي خارجا. ثم قيل: المراد المعاني القائمة بهذه الجوارح، وقد يذهب الله الجوارح والأعراض جميعا فلا يبقي شيئا، قال الله تعالى: "من قبل أن نطمس وجوها" [النساء: ٤٧] والآية احتجاج على الكفار ».

فقول القرطبي في تفسير الآية السابعة من سورة البقرة (" فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن

الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} {فالقلب موضع الفكر} راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة{[١]}.

فالختم معناه عدم الوعي والوعي من نتاج العقل فالمقصود بقلوبهم هنا عقولهم هو المعنى الشرعي.

٣٨. وقال الله سبحانه وتعالى

فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ سورة الأنعام

« أي صلبت وغلظت، وهي عبارة عن الكفر والإصرار على المعصية، نسأل الله العافية »{[٢]}.

قال القرطبي في تفسيره أي صلبت وغلظت، فالإصرار على المعصية والكفر أي التعنت والتمسك بالرأي الخاطئ، وهذا من عمل العقل. وهذا يشير إلى أن المقصود في هذه الآية المعنى الشرعي قلوبهم: عقولهم.

٣٩. وقال الله سبحانه وتعالى

تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ سورة الأعراف

---

[١] – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

[٢] – تفسير القرطبي

« أي هذه القرى التي أهلكناها؛ وهي قرى نوح وعاد ولوط وهود وشعيب المتقدمة الذكر. أي نتلو. أي من أخبارها. وهي تسلية للنبي عليه السلام والمسلمين. أي فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا بعد هلاكهم لو أحييناهم؛ قاله مجاهد. نظيره "ولو ردوا لعادوا" [الأنعام: ٢٨]. وقال ابن عباس والربيع: كان في علم الله تعالى يوم أخذ عليهم الميثاق أنهم لا يؤمنون بالرسل. أي بكفرهم وتكذيبهم. أي ونحن نطبع؛ فهو مستأنف. وقيل: هو معطوف على أصبنا، أي نصيبهم ونطبع، فوقع الماضي موقع المستقبل »{[1]}.

فقول القرطبي في تفسير الآية السابعة من سورة البقرة (" فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} { فالقلب موضع الفكر} راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة {[2]}.

فموضوع الآية هو عدم إيمان الأقوام السابقة فمثلهم مثل هذه الأقوام السابقة من عدم الإيمان وإصرارهم على الكفر والتكذيب وهذا الإصرار والتكذيب من نتاج العقل فيكون معنى قلوب: عقول وهو المعنى الشرعي في هذه الآية.

---

[1] – تفسير القرطبي .

[1] – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

٤٠. وقال الله سبحانه وتعالى

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

سورة الشورى

« قال قتادة: يطبع على قلبك فينسيك القرآن"؛ فأخبرهم الله أنه لو افترى عليه لفعل بمحمد ما أخبرهم به في هذه الآية. وقال مجاهد ومقاتل: "إن يشاء الله" يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم. وقيل: المعنى إن يشأ يزل تمييزك. وقيل: المعنى لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لطبع على قلبك؛ قال ابن عيسى. وقيل: فإن يشأ الله يختم على قلوب الكفار وعلى ألسنتهم وعاجلهم بالعقاب. فالخطاب له والمراد الكفار؛ ذكره القشيري. ثم ابتدأ فقال: قال ابن الأنباري: "يختم على قلبك" تام. وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير؛ مجازه: والله يمحو الباطل؛ فحذف منه الواو في المصحف، وهو في موضع رفع. كما حذفت من قوله: "سندع الزبانية"، [العلق: ١٨]، "ويدع الإنسان" [الإسراء: ١١] ولأنه عطف على قوله: "يختم على قلبك". وقال الزجاج: قول: "أم يقولون افترى على الله كذبا" تمام؛ وقوله: "ويمح الله الباطل" احتجاج على من أنكر ما أتى به النبي ﷺ؛ أي لو كان ما أتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في المفترين. أي الإسلام فيثبته أي بما أنزل من القرآن. "إنه عليم بذات" عام، أي بما في قلوب العباد. وقيل خاص. والمعنى أنك لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لعلمه وطبع على قلبك. »- تفسير القرطبي جزء ١٦ صفحة ٢٥

فقول القرطبي في تفسير الآية السابعة من سورة البقرة (" فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} {فالقلب موضع الفكر} راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة {[1]}."

وقول قتادة: "يطبع على قلبك فينسيك القرآن"؛ النسيان لا محل له غير العقل، فالنسيان هو فقد المعلومات عن الشيء أو الفعل، وهذا الفقدان للمعلومات يكون نتيجة تراكم المعلومات في الدماغ أو نتيجة خلل في الدماغ، ولذلك قد تظهر هذه المعلومات في أي لحظة لأنها مخزنة في الدماغ عند الشخص ، والمعلومات هي الأفكار وهي من نتاج العقل وهو مكان تخزينها وقد تكون الأفكار مكتسبة من غير الشخص أو من آخر. فقول القرطبي {وقيل خاص. والمعنى أنك لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لعلمه} فتحديث النفس أيضا من عمل العقل. فالمقصود قلبك هنا عقلك هو المعنى الشرعي.

[1] – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

٤١. وقال الله سبحانه وتعالى

أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ سورة الأعراف

« يريد كفار مكة ومن حولهم. أي أخذناهم أي بكفرهم وتكذيبهم. أي ونحن نطبع؛ فهو مستأنف. وقيل: هو معطوف على أصبنا، أي نصيبهم ونطبع، فوقع الماضي موقع المستقبل".

فقول القرطبي في تفسير الآية السابعة من سورة البقرة ("فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} {فالقلب موضع الفكر} راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة{[١]} ».

وعدم السماع يجعل الإنسان ينكر الحجة والبرهان الصحيح فيكفر ويكذب ما سمع من برهان هذا من نتاج العقل فيكون معنى قلوبهم: عقولهم، فالمقصود بقلوبهم هنا عقولهم هو المعنى الشرعي.

٤٢. وقال الله سبحانه وتعالى

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ سورة النحل

---

[١] – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

« أي عن فهم المواعظ وعن كلام الله تعالى وعن النظر في الآيات وعما يراد بهم ».

فقول القرطبي في تفسير الآية السابعة من سورة البقرة ("فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} {فالقلب موضع الفكر} راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة{١}

فالغفلة والنسيان أو تعمد النسيان تكون للمعلومات، فيحصل الغفلة عن الحق وهذا يجعله لا يفكر بما سمع فهو كمن لم يسمع، فعدم الفهم والنظر هو من نتاج العقل وهو مقصور عليه. فالمقصود بقلوبهم هنا عقولهم هو المعنى الشرعي.

٤٣. وقال الله سبحانه وتعالى

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ
وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾

سورة غافر

« أي في حججه الظاهرة و"الذين" في موضع نصب على البدل من "من" وقال الزجاج: أي كذلك يضل الله الذين يجادلون في آيات الله فـ "الذين" نصب. قال: ويجوز أن يكون رفعا على معنى هم الذين أو على الابتداء والخبر "كبر مقتا". ثم قيل: هذا من كلام مؤمن آل فرعون. وقيل: ابتداء خطاب من الله تعالى. أي بغير حجة وبرهان "مقتا" على البيان أي "كبر"

١ - راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

جدالهم "مقتا"؛ كقوله: كبرت كلمة" [الكهف: ٥] ومقت الله تعالى ذمه لهم ولعنه إياهم وإحلال العذاب بهم. أي كما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك أي يختم حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق. وقراءة العامة "على كل قلب متكبر" بإضافة قلب إلى المتكبر واختاره أبو حاتم وأبو عبيد. وفي الكلام حذف والمعنى: "كذلك يطبع الله على كل قلب" على كل "متكبر جبار" فحذف "كل" الثانية لتقدم ما يدل عليها. وإذا لم يقدر حذف "كل" لم يستقم المعنى؛ لأنه يصير معناه أنه يطبع على جميع قلبه وليس المعنى عليه. وإنما المعنى أنه يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين قلبا قلبا. ومما يدل على حذف "كل" قول أبي دواد:

أكل امرئ تحسبين امرأ		ونار توقد بالليل نارا

يريد وكل نار. وفي قراءة ابن مسعود "على قلب كل متكبر" فهذه قراءة على التفسير والإضافة. وقرأ أبو عمرو وابن محيصن وابن ذكوان عن أهل الشام "قلب" منون على أن "متكبر" نعت للقلب فكني بالقلب عن الجملة؛ لأن القلب هو الذي يتكبر وسائر الأعضاء تبع له؛ ولهذا قال النبي ﷺ: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) ويجوز أن يكون على حذف المضاف؛ أي على كل ذي قلب متكبر؛ تجعل الصفة لصاحب القلب »{[1]}.

فقول القرطبي في تفسير الآية السابعة من سورة البقرة ("فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا،

[1] – تفسير القرطبي

ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته } { فالقلب موضع الفكر } » راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة{١}.

وقوله تعالى {بغير سلطان} أي بغير حجة وبرهان والحجة والبرهان من نتاج العقل وهو بعد عملية تفكير ونظر وبحث وتنقيب، والتكبر؛- هو اعتبار الناس أقل منه شأناً، ويرى أنه أفضل منهم فيحقرهم ويستعلي عليهم، وهذا من نتاج العقل. فالمقصود بقلب هنا عقل وهو المعنى الشرعي.

ملاحظة: وأما قول الرسول ﷺ في الحديث: (إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) فالمقصود منها هنا داخل الإنسان وما يخفي فيه وهو العقل وليست المقصود بالمضغة العضو وهي كتلة القلب، ومما يدلل على ذلك أنه في هذا الزمان وفي هذا الوقت الحاضر أصبحت تجرى عمليات جراحية فيستبدل قلب المريض بقلب إنسان أخر {وقد يكون هذا القلب قلب لكافر يوضع لمؤمن وقد يستبدل بآلة من المعدن ولا يتغير المؤمن لا في الإيمان ولا بالأفكار التي يحملها}، ويرمى القلب المريض في النفايات. وهذا واقع محسوس لا ينكره صاحب عقل سوي.

---

٢ - راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

٤٤. **وقال الله سبحانه وتعالى**

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟
فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ **سورة الأنفال**

« "نظيره "وقذف في قلوبهم الرعب". وقرأ ابن عامر والكسائي "الرعب" بضم العين، وهما لغتان. والرعب: الخوف، يقال: رعبته رعبا ورعبا، فهو مرعوب. ويجوز أن يكون الرعب مصدرا، والرعب الاسم. وأصله من الملء، يقال: سيل راعب يملأ الوادي. ورعبت الحوض ملأته. والمعنى: سنملأ قلوب المشركين خوفا وفزعا. وقرأ السختياني "سيلقي" بالياء، والباقون بنون العظمة. قال السدي وغيره: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة انطلقوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ندموا وقالوا: بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فسنستأصلهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به. والإلقاء يستعمل حقيقة في الأجسام، قال الله تعالى: "وألقى الألواح" [الأعراف: ١٥٠] "فألقوا حبالهم وعصيهم" [الشعراء: ٤٤] "فألقى عصاه" [الأعراف: ١٠٧]. قال الشاعر:

فألقت عصاه واستقر بها النوى

ثم قد يستعمل مجازا كما في هذه الآية، وقوله: "وألقيت عليك محبة مني" [طه:٣٩] »{[1]}.

{سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} وهو والخوف الشديد، راجع معنى كلمة الرعب من آية (١٥١) من سورة آل عمران من الكتاب{[2]} فيفكر في الأشياء التي قد تصيبه من سوء، فينتج عن ذلك الخوف والرعب الذي يصيب الإنسان، وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية قلوبهم: أي عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٤٥. وقال الله سبحانه وتعالى

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ سورة الأنفال

« وما جعله الله إلا بشرى" [آل عمران: ١٢٦]. والمراد الإمداد. ويجوز أن يكون الأرداف.

نبه على أن النصر من عنده جل وعز لا من الملائكة ؛ أي لولا نصره لما انتفع بكثرة العدد بالملائكة. والنصر من عند الله يكون بالسيف ويكون بالحجة »{[3]}.

---

[1] – تفسير القرطبي .

[2] – راجع من الكتاب سورة آل عمران

[1] – تفسير القرطبي .

كون أن الله سبحانه وتعالى ذكر الطمأنينة وهي الهدوء بعد الانزعاج. ولا تكون طمأنينة القلوب وسكونها إلا باستقرار المفهوم لديهم عن النصر وهو بإعطائهم المعلومات أن الله سبحانه وتعالى ناصرهم ومؤيدهم بالنصر من عنده. وهذه المعلومات موجودة عند المسلم وهي مفاهيم لديه وعقيدة عنده عن النصر أنه من الله سبحانه وتعالى من الآيات التي وردت في القرآن الكريم على أن النصر من الله سبحانه وتعالى والعقل يربط هذه المفاهيم عن النصر فينتج عن ذلك الطمأنينة، لهذا معنى قلوبكم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٤٦. وقال الله سبحانه وتعالى

يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ سورة الأنفال

« روى مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا، ثم قام عليهم فناداهم فقال: (يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا". فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون، وأنى يجيبون وقد جيفوا؟ قال: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا). ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في القليب، قليب بدر. "جيفوا" بفتح الجيم والياء، ومعناه

أنتنوا فصاروا جيفا. وقول عمر: "يسمعون" استبعاد على ما جرت به حكم العادة. فأجابه النبي ﷺ بأنهم يسمعون كسمع الأحياء. وفي هذا ما يدل على أن الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار. قال رسول الله ﷺ: (إن الميت إذا وضع في قبرِه وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم) الحديث. أخرجه الصحيح. قوله تعالى: "ويثبت به الأقدام" الضمير في "به" عائد على الماء الذي شد دهس الوادي –"

معنى دَّهْسُ: المكانُ السهل: {والدَّهْسُ والدَّهاسُ مثل اللَّبْثِ واللَّباثِ: المكانُ السهل اللين لا يبلغ أَن يكون رملاً، وليس هو بتراب ولا طين، ورمالٌ دُهْسٌ. وفي الحديث: أَقْبَلَ من الحُدَيْبية فنزل دَهاساً من الأَرض؛ ومنه حديث دُرَيْد بنِ الصِّمَّة: لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ولا سَهْلٌ دَهِسٌ. ورجل دَعاسُ الخُلُقِ أَي سهل الخلُق دَمِسُه، وما في خُلُقِه دَهاسَةٌ}{[1]}. {ولم يصب منه المسلمين إلا ما شد لهم دهس الوادي وأعانهم على المسير. والدهس : الرمل اللين الذي تسوخ فيه الأرجل} – أضفت ما بين القوسين من تفسير القرطبي من تفسير الآية لمعرفة المعنى. وقيل: هو عائد على ربط القلوب؛ فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب »{[2]}.

---

[1] – لسان العرب

[1] – تفسير القرطبي .

والربط على القلب لا يكون إلا بتثبيته على مفاهيم الإيمان. والإيمان والكفر لا يكون أي منهما إلا بعد عملية تفكير وهذا من عمل العقل، لذلك يكون معنى قلوبكم: عقولكم وهو المعنى الشرعي.

٤٧. وقال الله سبحانه وتعالى

إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ سورة الأنفال

« "قال العلماء: هذه الآية تحريض على إلزام طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمر به من قسمة تلك الغنيمة.{والوجل: الخوف}. وفي مستقبله أربع لغات: وجل يوجل وياجل وييجل وييجل، حكاه سيبويه. والمصدر وجل جلا وموجلا؛ بالفتح. وهذا موجله (بالكسر) للموضع والاسم. فمن قال: ياجل في المستقبل جعل الواو ألفا لفتحة ما قبلها. ولغة القرآن الواو "قالوا لا توجل" [الحجر: ٥٣]. ومن قال: "ييجل" بكسر الياء فهي على لغة بني أسد، فإنهم يقولون: أنا إيجل، ونحن نيجل، وأنت تيجل؛ كلها بالكسر. ومن قال: "ييجل" بناه على هذه اللغة، ولكنه فتح الياء كما فتحوها في يعلم، ولم تكسر الياء في يعلم لاستثقالهم الكسر على الياء. وكسرت في "ييجل" لتقوي إحدى الياءين بالأخرى. والأمر منه "إيجل" صارت الواو ياء الكسرة ما قبلها. وتقول: إني منه لأوجل. ولا يقال في المؤنث: وجلاء: ولكن وجلة. وروى سفيان عن السدي في قوله جل وعز: "الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم" قال: إذا أراد أن يظلم مظلمة قيل له: اتق الله، ووجل قلبه.

(وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره). وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه. ونظير هذه الآية "وبشر المخبتين. الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم" [الحج: ٣٤، ٣٥]. وقال: "وتطمئن قلوبهم بذكر الله" [الرعد: ٢٨]. فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب. والوجل: الفزع من عذاب الله؛ فلا تناقض. وقد جمع الله بين المعنيين في قوله "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله" [الزمر: ٢٣]. أي تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله. {فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته}؛ لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير. فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله؛ ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفا من الله. ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال: "وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين" [المائدة: ٨٣]. فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم »{[١]}.

---

[١] – تفسير القرطبي .

فالوجل هو الخوف من الله سبحانه وتعالى، فيفكر الإنسان في الأشياء التي قد تصيبه من سوء وهو عذاب الله سبحانه وتعالى في الأخرة في حال قيامة بعمل يبغضه الله. فينتج عن ذلك الخوف وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير، وزيادة الإيمان تكون من التدبر والتفكير في آيات الله سبحانه وتعالى ويفهم ذلك من الآية نفسها من تلاوته للقران الكريم أو سماعه، فالتدبر لا يكون إلا من أعمال العقل. ولذلك يكون المقصود بقلوبهم في هذه الآية: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٤٨. وقال الله سبحانه وتعالى

إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ سورة الأنفال

« قيل: المنافقون: الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر. والذين في قلوبهم مرض: الشاكون، وهم دون المنافقين، لأنهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نية. قالوا عند الخروج إلى القتال وعند التقاء الصفين: غر هؤلاء دينهم. وقيل: هما واحد، وهو أولى. ألا ترى إلى قوله عز وجل: "الذين يؤمنون بالغيب" [البقرة: ٣] ثم قال "والذين يؤمنون بما أنزل إليك" [البقرة: ٤] وهما لواحد »{[١]}.

الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر وهذا لا ينتج إلا عن فكر، والمرض هو النفاق والشك وهذان متعلقان بالإيمان والغرور هو أن يرى

---

[١] – تفسير القرطبي

نفسه على غيره فيتعالى عليهم، والإيمان والكفر من أعمال العقل، فيكون معنى قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٤٩. وقال الله سبحانه وتعالى

وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ **سورة الأنفال**

« أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج. وكان تأليف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ﷺ ومعجزاته، لأن أحدهم كان يلطم اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها. وكانوا أشد خلق الله حمية، فألف الله بالإيمان بينهم، حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين. وقيل: أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار. والمعنى متقارب »{[١]}.

فتثبيت الله سبحانه و تعالى الأُلفة والمحبة لديهم، والمحبة والبغض لا يكون أي منهما إلا من المعلومات السابقة أي المفاهيم عن فلان أنك تحبه لأسباب معينة أو أنك تكره فلان لأسباب معينة عنه فينتج عن ذلك الحب أو الكره ولا يكون هذا إلا بإيجاد المفاهيم عندهم من أنهم أخوة بإسلامهم وهذا من نتاج العقل فالمقصود قلوبكم: عقولكم وهو المعنى الشرعي.

---

[٢] – تفسير القرطبي

٥٠. وقال الله سبحانه وتعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمۡ خَيۡرًا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ سورة الأنفال

« {يقُول تَعَالَى ذِكْره لِنَبِيِّهِ مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيّهَا النَّبِيّ قُلْ لِمَنْ فِي يَدَيْك وَفِي يَدَيْ أَصْحَابك مِنْ أَسْرَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أُخِذَ مِنْهُمْ مِنْ الْفِدَاء مَا أُخِذَ "إِنْ يَعْلَم اللَّه فِي قُلُوبكُمْ خَيْرًا" يَقُول: إِنْ يَعْلَم اللَّه فِي قُلُوبكُمْ إِسْلَامًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ مِنْ الْفِدَاء} ».{[1]}.

{إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا} أي إسلاماً والدليل حديث حذيفة عن كلمة الخير {عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ: كَانُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَضَلالَةٍ وَشَرّ، فَقَالَ: نَعَمْ ". وَإِنَّ اللَّهَ جَاءَ بِالإِسْلامِ وَبِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ فَقَالَ: " نَعَمْ ، وَلَكِنْ فِيهِ دُخَانٌ". فَقَالَ: وَمَا دُخَانُهُ؟ فَقَالَ: " قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَتَعْرِفُ وَتُنْكِرُ". فَقَالَ: فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَوْمٌ يَقُومُونَ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ يَلْبَسُونَ جِلْدَتَنَا ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِكَلامِنَا ". فَقَالَ حُذَيْفَةُ: كَيْفَ لِي أَنْ أَعْرِفَهُمْ؟ فَقَالَ: "عَلَيْكَ بِالأَئِمَّةِ وَالْجَمَاعَةِ". قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَئِمَّةٌ وَلا جَمَاعَةٌ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: "عَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجْرَةٍ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ}.

[1] – تفسير القرطبي

حديث مرفوع{[1]}. والاعتقاد بالإسلام يجب أن يكون عن بينة مستقرة وثابتاً عند المسلم وهذا لا يتأتى أن يكون إلا بالبراهين والبينات فتثبت عنده هذه المعلومات وهذا من نتاج العقل فيكون معنى قلوبكم: عقولكم في هذا السياق وهو المعنى الشرعي

٥١. وقال الله سبحانه وتعالى

كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ سورة التوبة

« أعاد التعجب من أن يكون لهم عهد مع خبث أعمالهم، أي كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة. يقال: ظهرت على فلان أي غلبته، وظهرت البيت علوته، ومنه "فما استطاعوا أن يظهروه" [الكهف: ٩٧] أي يعلوا عليه. "يرقبوا" يحافظوا. والرقيب الحافظ. وقد تقدم. عهدا، عن مجاهد وابن زيد. وعن مجاهد أيضا: هو اسم من أسماء الله عز وجل. ابن عباس والضحاك: قرابة. الحسن: جوارا. قتادة: حلفا، و"ذمة" عهدا. أبو عبيدة: يمينا. وعنه أيضا: إلا العهد، والذمة التذمم. الأزهري: اسم الله بالعبرانية، وأصله من الأليل وهو البريق، يقال أل لونه يؤل ألا، أي صفا ولمع. وقيل: أصله من الحدة، ومنه الألة للحربة، ومنه أذن مؤللة أي محددة. ومنه قول طرفة بن العبد يصف أذني ناقته بالحدة والانتصاب.

---

[1] – رواه البخاري

مؤللتان تعرف العتق فيهما		كسامعتي شاة بحومل مفرد

فإذا قيل للعهد والجوار والقرابة "إل" فمعناه أن الأذن تصرف إلى تلك الجهة، أي تحدد لها. والعهد يسمى "إلا" لصفائه وظهوره. ويجمع في القلة آلال. وفي الكثرة إلال. وقال الجوهري وغيره: الإل بالكسر هو الله عز وجل، والإل أيضا العهد والقرابة. قال حسان:

لعمرك إن إلك من قريش		كإل السقب من رأل النعام

أي عهدا. وهي كل حرمة يلزمك إذا ضيعتها ذنب. قال ابن عباس والضحاك وابن زيد: الذمة العهد. ومن جعل الإل العهد فالتكرير لاختلاف اللفظين. وقال أبو عبيدة معمر: الذمة التذمم. وقال أبو عبيد: الذمة الأمان في قوله عليه السلام: (ويسعى بذمتهم أدناهم). وجمع ذمة ذمم. وبئر ذمة – بفتح الذال – قليلة الماء، وجمعها ذمام. قال ذو الرمة:

على حميريات كأن عيونها		ذمام الركايا أنكزتها المواتح

أنكزتها أذهبت ماءها. وأهل الذمة أهل العقد. أي يقولون بألسنتهم ما يرضي ظاهره. أي ناقضون العهد. وكل كافر فاسق، ولكنه أراد ها هنا المجاهرين بالقبائح ونقض العهد »{[1]}.

{يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ} أي يظهرون لكم غير ما يبطنون من الحقد ونقد للعهد هذا ما هو راسخ لديهم وهو عقيدة لديهم وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير ينتج عنها هذا الحقد ولا يكون حقد إلا

[1] – تفسير القرطبي .

بناءً على المعلومات عند الإنسان عن غيره، فيكون معنى قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي المقصود هنا في هذه الآية.

٥٢. وقال الله سبحانه وتعالى

وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(١٥) سورة التوبة

« دليل على أن غيظهم كان قد اشتد. وقال مجاهد: يعني خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ. وكله عطف، ويجوز فيه كله الرفع على القطع من الأول. ويجوز النصب على إضمار (أن) وهو الصرف عند الكوفيين، كما قال:

فإن يهلك أبو قابوس يهلك		ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش		أجب الظهر ليس له سنام

وإن شئت رفعت (ونأخذ) وإن شئت نصبته. القراءة بالرفع على الاستئناف لأنه ليس من جنس الأول ولهذا لم يقل (ويتب) بالجزم لأن القتال غير موجب لهم التوبة من الله جل وعز وهو موجب لهم العذاب والخزي وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم ونظيره: "فإن يشأ الله يختم على قلبك" [الشورى: ٢٤] تم الكلام. ثم قال: "ويمح الله الباطل" [الشورى: ٢٤]. والذين تاب الله عليهم مثل أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسليم بن أبي عمرو، فإنهم أسلموا. وقرأ ابن أبي إسحاق "ويتوب" بالنصب. وكذا روي عن عيسى الثقفي والأعرج، وعليه فتكون التوبة داخلة في جواب الشرط، لأن المعنى: إن تقاتلوهم يعذبهم الله. وكذلك ما عطف عليه. ثم قال: "ويتوب الله" أي إن تقاتلوهم. فجمع بين تعذيبهم

بأيديكم وشفاء صدوركم وإذهاب غيظ قلوبكم والتوبة عليكم. والرفع أحسن، لأن التوبة لا يكون سببها القتال، إذ قد توجد بغير قتال لمن شاء الله أن يتوب عليه في كل حال{[1]}. قال في المعجم الوسيط: غاظه غيظاً: أغضبه أشد الغضب ».

قال في المعجم الوسيط : غاظه غيظاً : أغضبه أشد الغضب، وهذا المعنى يبين معنى قلوبهم، وهذا يدلل على أن معنى قلوبهم: عقولهم هو قوله تعالى: {وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} أي يذهب ما استقر من غضبٍ لديهم من المفاهيم التي أوجدت هذا الغضب وهذا الغضب ناتج عن المعلومات أي المفاهيم الموجودة عندهم، وهذا من نتاج العقل، فالمعنى الشرعي هو المقصود في هذه الآية.

٥٣. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ سورة التوبة

« وقيل هم قومٌ كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام، يتألَّفون بدفع سهم من الصدقة إليهم وقيل هم قومٌ أسلموا في الظاهر ولم تستيقن

[1] – تفسير القرطبي .

قلوبهم، فيعطون ليتمكن الإسلام في صدورهم. وقيل هم قومٌ من عظماء المشركين لهم أتباع. فيعطون ليتألَّفوا أتباعهم على الإسلام »{[1]}.

فيكون معنى قلوبهم: عقولهم هو المعنى الشرعي لأنهم يُعْطَوْنَ المؤلفة قلوبه من مال الزكاة ليستقر الإسلام عندهم أي ليرسخ الإيمان عندهم وليصبح الإيمان تصديقا جازما مطابقا للواقع عن دليل وهذا من نتاج العقل.

٥٤. وقال الله سبحانه وتعالى

يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ سورة التوبة

« نزلت هذه في شأن المنافقين تخبرهم بمخازيهم ومساويهم ومثالبهم، ولهذا سميت الفاضحة والمثيرة والمبعثرة، كما تقدم أول السورة. وقال الحسن: كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة لأنها حفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته »{[2]}.

فيكون معنى قلوبهم: عقولهم هو المعنى الشرعي لأن سياق الآية تكشف ما هو مستقرٌ في داخلهم من أفكار ومفاهيم مخزنة لديهم وهذا هو عقيدة لديهم وهو النفاق والعقيدة هي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل وهذا محله العقل.

---

[1] – تفسير القرطبي

[1] – تفسير القرطبي

٥٥. وقال الله سبحانه وتعالى

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ سورة التوبة

« مفعولان أي أعقبهم الله تعالى نفاقا في قلوبهم. وقيل: أي أعقبهم البخل نفاقا؛ ولهذا قال: "بخلوا به". "نفاقا" النفاق إذا كان في القلب فهو الكفر. فأما إذا كان في الأعمال فهو معصية. قال النبي ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) خرجه البخاري . أي يلقون بخلهم، أي جزاء بخلهم؛ كما يقال: أنت تلقي غدا عملك. وقيل: "إلى يوم يلقونه" أي يلقون الله. وفي هذا دليل على أنه مات منافقا. وكذبهم نقضهم العهد وتركهم الوفاء بما التزموه من ذلك. »{[١]}

والنفاق هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر ، فالله سبحانه وتعالى ثبت النفاق عندهم إلى يوم القيامة وهذا التثبيت للنفاق والكذب بكون جعلهم يصرون على هذا النفاق والتكذيب وهذا من نتاج العقل. فيكون المقصود في الآية هو المعنى الشرعي أي عقولهم.

---

[٢] – تفسير القرطبي

٥٦. وقال الله سبحانه وتعالى

لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ سورة التوبة

« يعني مسجد ضرار. أي شكا في قلوبهم ونفاقا؛ قاله ابن عباس وقتادة والضحاك. وقال النابغة:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة		وليس وراء الله للمرء مذهب

وقال الكلبي: حسرة وندامة؛ لأنهم ندموا على بنيانه. وقال السدي وحبيب والمبرد: "ريبة" أي حزازة وغيظا. قال ابن عباس: أي تنصدع قلوبهم فيموتوا؛ كقوله: "لقطعنا منه الوتين" [الحاقة: ٤٦] لأن الحياة تنقطع بانقطاع الوتين؛ وقاله قتادة والضحاك ومجاهد. وقال سفيان: إلا أن يتوبوا. عكرمة: إلا أن تقطع قلوبهم في قبورهم، وكان أصحاب عبد الله بن مسعود يقرؤونها: "ريبة في قلوبهم ولو تقطعت قلوبهم". وقرأ الحسن ويعقوب وأبو حاتم "إلى أن تقطع" على الغاية، أي لا يزالون في شك منه إلى أن يموتوا فيستيقنوا ويتبينوا. واختلف القراء في قوله "تقطع" فالجمهور "تقطع" بضم التاء وفتح القاف وشد الطاء على الفعل المجهول. وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب كذلك إلا أنهم فتحوا التاء. وروي عن يعقوب وأبي عبد الرحمن "تقطع" على الفعل المجهول مخفف القاف. وروي عن شبل وابن كثير "تقطع" خفيفة القاف "قلوبهم" نصبا، أي أنت تفعل ذلك بهم. وقد ذكرنا قراءة أصحاب عبد الله. »{[١]}

[١] – تفسير القرطبي

قول ابن عباس وغيره : فيستيقنوا ويتبينوا . هذا لا يكون إلا عن فكر فيكون فالمقصود قلوبهم : عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٥٧. وقال الله سبحانه وتعالى

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ سورة التوبة

« والمرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم ، وذلك إما أن يكون شكاً ونفاقاً ، وإما جحوداً ونفاقاً. »{[1]}

والمرض هو النفاق والنفاق إظهار خلاف ما يبطن وهو خلاف ما ستقر عنده، والشك هو التردد في الرأي والجحود هو الإنكار وهذان متعلقان بالفكر. فالمقصود قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٥٨. وقال الله سبحانه وتعالى

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ سورة التوبة

« "ما" صلة، والمراد المنافقون؛ أي إذا حضروا الرسول وهو يتلو قرآنا أنزل فيه فضيحتهم أو فضيحة أحد منهم جعل ينظر بعضهم إلى بعض نظر الرعب على جهة التقرير؛ يقول: هل يراكم من أحد إذا تكلمتم بهذا فينقله إلى محمد؛ وذلك جهل منهم بنبوته عليه السلام، وأن الله يطلعه على

---

[1] – تفسير القرطبي

ما يشاء من غيبه. وقيل إن "نظر" في هذه الآية بمعنى أنبأ. {وحكى الطبري عن بعضهم أنه قال: "نظر" في هذه الآية موضع قال. أي انصرفوا عن طريق الاهتداء. وذلك أنهم حينما بين لهم كشف أسرارهم والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر ، فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة لإيمانهم}؛ فهم إذ يصممون على الكفر ويرتبكون فيه كأنهم انصرفوا عن تلك الحال التي كانت مظنة النظر الصحيح والاهتداء، ولم يسمعوا قراءة النبي ﷺ سماع من يتدبره وينظر في آياته؛ "إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون" [الأنفال: ٢٢]. "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" [محمد: ٢٤]. »{[١]}

{وحكى الطبري عن بعضهم أنه قال: "نظر" في هذه الآية موضع قال. أي انصرفوا عن طريق الاهتداء. وذلك أنهم حينما بين لهم كشف أسرارهم والإعلام بمغيبات أمورهم يقع لهم لا محالة تعجب وتوقف ونظر، فلو اهتدوا لكان ذلك الوقت مظنة لإيمانهم}؛ وهذا القول من القرطبي مما يدلل دلالة واضحة أن المقصود قلوبهم: عقولهم. وصرف القلب هو عبارة عن أن لا يوفق الله سبحانه وتعالى العبد للهداية بعدم شرح صدره للإيمان لئلا يتقبله وعدم الفقه هذا متعلق بالعقل ، فيكون قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير القرطبي .

٥٩. وقال الله سبحانه وتعالى

إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ سورة الشعراء

« قال أبو عثمان السيَّاري: هو القلب الخالي من البدعة المطمئن إلى السنة. »{[1]}

أي سليمٌ من الشك والريب وثابتٌ على ذلك والشك والريبة هي نتيجة وجود المعلومات المتناقضة لديهم وهذا من نتاج العقل. فالمعنى الشرعي هو المقصود أي بقلب بمعنى عقل.

٦٠. وقال الله سبحانه وتعالى

إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ سورة الصافات

« أي مُخَلَّصٌ من الشرك و الشك. قال عوف: سألت محمد بن سيرين ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمةٌ، وأن الله يبعث من في القبور. »{[2]}

فيكون بقلب: بعقل وهو المعنى الشرعي. لأن العقيدة لا بد أن تكون ثابتة ومستقرة عن فكر ونظر لذلك طلب الله سبحانه وتعالى التفكر في الكون من سماء وأرض وفلك وبحار وناس وشجر وحجر ونفس الإنسان والمخلوقات، ليصل بهذا التفكير إلى الإيمان الراسخ عن بينة وبرهان فيكون هذا الإيمان راسخا عنده أكثر من الجبال الراسخات، وهذا

[1] – تفسير القرطبي

[1] – تفسير القرطبي

من نتاج العقل. عند المسلم وهذا الإيمان من نتاج العقل وهذا هو المعنى الشرعي للقلب هو العقل.

٦١. وقال الله سبحانه وتعالى

مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾

سورة ق

« مقبل على الطاعة. وقيل: مخلص. وقال أبو بكر الوراق: علامة المنيب أن يكون عارفا لحرمته وواليا له، متواضعا لجلاله تاركا لهوى نفسه. قلت: ويحتمل أن يكون القلب المنيب القلب السليم؛ كما قال تعالى: "إلا من أتى الله بقلب سليم" [الشعراء : ٨٩] على ما تقدم؛ والله أعلم. »{[١]}

فيكون بقلب: بعقل وهو المعنى الشرعي. لأن العقيدة لا بد أن تكون ثابتة ومستقرة عند المسلم ولا تكون ثابتة إلا بالفكر وهذا الإيمان من نتاج العقل {انظر الآية السابقة}.

[٢] – تفسير القرطبي

٦٢. وقال الله سبحانه وتعالى

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ سورة النحل

« قال أهل التفسير نزلت في عمار بن ياسر، قال ابن عباس رضي الله عنهما أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيباً وبلال وخباباً وسالماً فعذبوهم وربطت سمية بين بعيرين وَوُجِي قُبُلُها بحربة، وقيل لها أنك أسلمت من أجل الرجال، فقتلت وقتل زوجها ياسر. وأما عَمّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مُكْرَهاً، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ((كيف تجد قلبك))؟ قال: مطمئن بالإيمان. فقال رسول الله ﷺ ((فإن عادوا فَعُدْ)) »{[1]}.

لا تكون الطمأنينة إلا بعد عملية تفكير فينتج عنها التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل فينتج عن ذلك الإيمان وهو العقيدة فتستقر العقيدة وهذا لا يكون إلا من العقل، لأنه فكر ونتيجة هذا التفكير أصدر الحكم وهو أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون والإنسان والحياه. فالمقصود هنا قلبه: عقله. وهو المعنى الشرعي.

---

[1] – تفسير القرطبي .

٦٣. وقال الله سبحانه وتعالى

إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ سورة النحل

« لما بين استحالة الإشراك بالله تعالى بين أن المعبود واحد لا رب غيره ولا معبود سواه. أي لا تقبل الوعظ ولا ينفع فيها الذكر، وهذا رد على القدرية. متكبرون متعظمون عن قبول الحق »{[1]}.

فلقلوبهم هنا بالمعنى الشرعي أي عقولهم. لأن الله سبحانه وتعالى يقول في الآية التي بعدها {لاَ جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ، لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} أي أنه يعلم ما هو دفينٌ في داخلهم من أفكار ومفاهيم من انكار فالإنكار وهو فكر من أعمال العقل وهو المعنى الشرعي.

٦٤. وقال الله سبحانه وتعالى

يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

سورة الأحزاب

« أي لا تلن القول. أمرهن الله أن يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا، ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين، كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه. فنهاهن عن مثل هذا. "فيطمع" بالنصب على جواب النهي.

---

[1] – تفسير القرطبي .

"مرض" {أي شك ونفاق}، عن قتادة والسدي. وقيل: تشوف الفجور، وهو الفسق والغزل، قال عكرمة. وهذا أصوب، وليس للنفاق مدخل في هذه الآية.

قال ابن عباس: أمرهن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والمرأة تندب إذا خاطبت الأجانب وكذا المحرمات عليها بالمصاهرة إلى الغلظة في القول، من غير رفع صوت، فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام. وعلى الجملة فالقول المعروف: هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس »{[1]}.

قلبه: عقله وهو المعنى الشرعي لأن قوله سبحانه وتعالى {فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} والمرض هنا يعني ما يكون مخالفا لأوامر الله سبحانه وتعالى، لأن نساء الرسول ﷺ هم أمهات للمؤمنين. ولا يجوز لمسلم أن تكون نظرته إليهن بغير ذلك، من أنهن أمهات والأم محرمة تحريم على التأبيد. والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان مستقرا في داخل بعض المسلمين، لذلك نهى الله سبحانه وتعالى نساء النبي رضي الله عنهن أن يصدر منهن شيء قد يُشعر بذلك وهذا من الأفعال المبنية على الحكم على الوقائع وهو من نتاج العقل وهو المعنى الشرعي.

---

[1] – تفسير القرطبي .

٦٥. وقال الله سبحانه وتعالى

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ سورة الجاثية

« {وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ} أي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ، وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى »{[١]}.

حتى لا يسمع الوعظ فعدم السماع وعدم الفقه ليدلل على المعنى الشرعي بأنه العقل فعدم سماع الوعظ وعدم الفقه هو من نتاج العقل.

٦٦. وقال الله سبحانه وتعالى

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ سورة الكهف

« روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا} قال نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه من تجرد الفقراء عنه

[١] – تفسير القرطبي

وتقريب صناديد أهل مكة فأنزل الله تعالى { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا } يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد »{[1]}.

("فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق – سبحانه – مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} {فالقلب موضع الفكر} راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة{٢} والطبع على القلب هو تثبيته على أمر وهذا الأمر هو العقيدة وهي فكر أي حكم على الواقع، فيستقر هذا الأمر في داخل الإنسان، والعقيدة هي الإيمان أي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل ومحلها العقل. فيكون المقصود هنا هو المعنى الشرعي لكلمت القلب وهو العقل.

٦٧. وقال الله سبحانه وتعالى

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ سورة التغابن

« قال ابن عباس رضي الله عنهم: هو أن يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه »{[3]}.

---

[1] – تفسير القرطبي

٢ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

[2] – تفسير القرطبي

فاليقين – والعلم والإيمان بمعنى واحد وهو التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل هو العقيدة، فاليقين والعلم محله العقل، فيكون المقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

٦٨. وقال الله سبحانه وتعالى

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ سورة القصص

« ونحوه قوله تعالى: "وأفئدتهم هواء" [إبراهيم: ٤٣] أي جوف لا عقول لها كما تقدم في سورة [إبراهيم] {وذلك أن القلوب مراكز العقول}؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: "فتكون لهم قلوب يعقلون بها" [الحج: ٤٦]"

قال الكسائي: ناسياً ذاهلاً. وقال ابن القاسم عن مالك: ذهاب العقل، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهش. وقال قتادة الإيمان »{[1]}.

أنظر قولهم في تفسير آية ٤٦ من سورة الحج (وذلك أن القلوب مراكز العقول) والربط على قلبها أي عدم التحدث عن ابنها وهذا الكلام ينتج عن فكر وهو العقل، فيكون المعنى الشرعي هو الذي قصد به في هذه الآية وهو القلب بمعنى العقل.

[1] – تفسير القرطبي

٦٩. وقال الله سبحانه وتعالى

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ سورة يونس

« أي من بعد نوح. كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وغيرهم. أي بالمعجزات. التقدير: بما كذب به قوم نوح من قبل. وقيل: "بما كذبوا به من قبل" أي من قبل يوم الذر، فإنه كان فيهم من كذب بقلبه وإن قال الجميع: بلى. قال النحاس: ومن أحسن ما قيل في هذا أنه لقوم بأعيانهم؛ مثل: "أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون". [البقرة: ٦] أي نختم. أي المجاوزين الحد في الكفر والتكذيب فلا يؤمنون »{[1]}.

("فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا، كما هو المعنى في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} {فالقلب موضع الفكر}راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة{٢}. فالكذب والاعتداء هو نتيجة الأحكام على الوقائع، أي الأفكار وهذا من نتاج العقل، فالمقصود بقلوبهم هنا عقولهم وهو المعنى الشرعي.

---

[1]- تفسير القرطبي

٢ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

٧٠. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٢﴾ سورة الحجر

« الضلال والكفر والاستهزاء والشرك. وعن الحسن وقتادة وغيرهما أي كما سلكناه في قلوب من تقدم من شيع الأولين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك حتى لا يؤمنوا بك، كما لم يؤمن من قبلهم برسلهم روى جريج عن مجاهد قال: {نسلك التكذيب}. والسَّلْك: إدخال الشيء في الشيء كإدخال الخيط في المخيط »{[1]}.

فهنا المقصود المعنى الشرعي أي التكذيب لا يكون إلا بالفكر وهو الذي يحصل عند الإنسان فيثبت في داخله ويستقر به وهو نتيجة عملية التفكير. فمعنى قلوب: عقول وهو المعنى الشرعي.

٧١. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ سورة الحج

---

[1] – تفسير القرطبي

« يعني كفار مكة فيشاهدون هذه القرى يتعظوا، ويحذروا عقاب الله أن ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم.{فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} فأضاف العقل إلى القلب »{[١]}.

فالمعنى في هذا الموضع قلوب: عقول. لوجود القرينة وهي قوله تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} والسير في الأرض يوجب النظر فيحكم العقل على هذه الأشياء بأنها مخلوقة لخالق وهو الله سبحانه وتعالى. وأما قوله تعالى {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي} فالمراد بها هو المعنى الشرعي وهو العقول لأن عمى القلوب عبارة عن الطبع عليها فلا تهتدي للحق وهذا متعلق بالإيمان والإيمان يكون بالتصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل وهو من نتاج العقل وهو المعنى الشرعي.

٧٢. وقال الله سبحانه وتعالى

كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ سورة الروم

« أي كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فكذلك "يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون" أدلة التوحيد »{[٢]}.

فأداة التوحيد هي العقل ليستدل بها الإنسان على الله سبحانه وتعالى والطبع والختم بمعنى واحد ("فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما هو في هذه

---

[١] – تفسير القرطبي

[٢] – تفسير القرطبي

الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} {فالقلب موضع الفكر} راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة{١}. فالطبع على القلب بعدم العلم وهذا العمل من نتاج العقل، فالمقصود بقلوبهم هنا عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٧٣. وقال الله سبحانه وتعالى

وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ
وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ سورة الزمر

« وإذا ذكر الله وحده" نصب على المصدر عند الخليل وسيبويه، وعلى الحال عند يونس. "اشمأزت" قال المبرد: انقبضت. وهو قول ابن عباس ومجاهد. وقال قتادة: نفرت واستكبرت وكفرت وتعصبت. وقال المؤرخ أنكرت. وأصل الاشمئزاز النفور والازورار. قال عمرو بن كلثوم:

إذا عض الثقاف بها اشمأزت		وولتهم عشوزنة زبونا

وقال أبو زيد: اشمأز الرجل ذعر من الفزع وهو المذعور. وكان المشركون إذا قيل لهم "لا إله إلا الله" نفروا وكفروا. يعني الأوثان حين ألقى الشيطان في أمنية النبي ﷺ عند قراءته سورة [النجم] تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم ترتجى. قاله جماعة المفسرين. أي يظهر في وجوههم البشر والسرور »{٢}.

---

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

٢ – تفسير القرطبي

ولا يكون الاشمئزاز إلا من المفاهيم عن هذا الشيء وثابت عند الشخص لذلك بنى عليه الحكم الذي أصدره وهذا المفاهيم عن الشيء مستقر في داخله وهو من نتاج العقل فالمعنى الشرعي هو المقصود هنا أي النتيجة الثابتة لديه والمستقرة عنده فيكون معنى قلوب: عقول وهو المعنى الشرعي.

٧٤. وقال الله سبحانه وتعالى

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ سورة محمد

« أي يتفهمونه فيعلمون ما أعد الله للذين لم يتولوا عن الإسلام. أي بل على قلوب أقفال أقفلها الله عز وجل عليهم فهم لا يعقلون. وهذا يرد على القدرية والإمامية مذهبهم. وفي حديث مرفوع أن النبي ﷺ قال: [إن عليها أقفالا كأقفال الحديد حتى يكون الله يفتحها].وأصل القفل اليبس والصلابة. ويقال لما يبس من الشجر: القفل. والقفيل مثله. والقفيل أيضا نبت. والقفيل: الصوت. قال الراجز:

لما أتاك يابسا قرشبا		قمت إليه بالقفيل ضربا
كيف قريت شيخك الأزبا		

القرشب (بكسر القاف) المسن، عن الأصمعي. وأقفله الصوم أي أيبسه، قاله القشيري والجوهري. فالأقفال ها هنا إشارة إلى ارتجاج القلب وخلوه عن الإيمان. أي لا يدخل قلوبهم الإيمان ولا يخرج منها الكفر، لأن الله تعالى طبع على قلوبهم وقال: "على قلوب" لأنه لو قال على قلوبهم لم

يدخل قلب غيرهم في هذه الجملة. والمراد أم على قلوب هؤلاء وقلوب من كانوا بهذه الصفة أقفالها »{[١]}.

فالتدبر وهو النظر والتفكير في نفسه ومن حوله من مخلوقات، والقفل على القلب عبارة عن تصلبها على الكفر عندهم فأصبحوا لا يدركون ولا يهتدون لأنهم ألزموا أنفسهم الكفر فهو المستقر عندهم فأغلقوا عليهم عقولهم فلا يهتدون لأنهم لا يتدبرون وهذا التدبر من أعمال العقل، لذا يكون المعنى الشرعي للقلب في هذه الآية هو العقل.

٧٥. وقال الله سبحانه وتعالى

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ سورة الفتح

« "السكينة": السكون والطمأنينة. قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن هي الطمأنينة إلا التي في "البقرة". قال ابن عباس: بعث النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه فيها زادهم الصلاة، فلما صدقوه زادهم الزكاة، فلما صدقوه زادهم الصيام، فلما صدقوه زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم، فذلك قوله: "ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم" أي تصديقا بشرائع الإيمان مع تصديقهم بالإيمان. وقال الربيع بن أنس: خشية مع خشيتهم. وقال الضحاك: يقينا مع يقينهم. قال ابن عباس:

[١] – تفسير القرطبي

يريد الملائكة والجن والشياطين والإنس عليماً بأحوال خلقه فيما يريده ».{[1]}

فعلى ذلك يكون المعنى الشرعي في هذا الموضع أي قلوب: عقول هو المعنى المقصود هنا لأن كلمة السكينة الطمأنينة ولا تكون الطمأنينة إلا مما استقر وثبت عند الإنسان في الداخل وهو الإيمان وهذا من نتاج العقل فقلوب أي عقول وهو المعنى الشرعي.

٧٦. وقال الله سبحانه وتعالى

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ

(٢٧) سورة الحديد

« أي اتبعنا على آثار الذرية. وقيل: على أثار نوح وإبراهيم وموسى وإلياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم فهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه وهو الكتاب المنزل عليه. وتقدم اشتقاقه في أول سورة "آل عمران". أي مودة فكان يواد بعضهم بعضا. وقيل: هذا إشارة إلى أنهم أمروا في الإنجيل بالصلح وترك إيذاء الناس وألان الله قلوبهم لذلك، بخلاف اليهود الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه. والرأفة اللين، والرحمة

---

[1] – تفسير القرطبي

الشفقة. وقيل: الرأفة تخفيف الكل، والرحمة تحمل الثقل. وقيل: الرأفة أشد الرحمة. وتم الكلام. ثم قال: أي من قبل أنفسهم. والأحسن أن تكون الرهبانية منصوبة بإضمار فعل، قال أبو علي: وابتدعوها رهبانية ابتدعوها. وقال الزجاج: أي ابتدعوها رهبانية، كما تقول رأيت زيدا وعمرا كلمت. وقيل: إنه معطوف على الرأفة والرحمة، والمعنى على هذا أن الله تعالى أعطاهم إياها فغيروا وابتدعوا فيها. قال الماوردي: وفيها قراءتان، إحداهما بفتح الراء وهي الخوف من الرهب. الثانية بضم الراء وهي منسوبة إلى الرهبان كالرضوانية من الرضوان، وذلك لأنهم حملوا أنفسهم على المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع »{[1]}.

أي جعل فيها ميلاً إلى الرأفة والرحمة فهي من مظاهر الغرائز عن الإنسان ومظاهر الغرائز هي ثابتة ومستقرة في داخل كل إنسان المسلم وغير المسلم لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وخلق فيه الغرائز وجعل لها مظاهر وهي بحاجة لإشباع لذلك يجب على الإنسان أن يفكر في الشيء هل يشبع أم لا يشبع، فالمعنى الشرعي هو المقصود في هذه الآية أي قلوب : عقول وهو المعنى الشرعي.

---

[1] – تفسير القرطبي

٧٧. وقال الله سبحانه وتعالى

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ سورة الرعد

« "الذين" في موضع نصب، لأنه مفعول؛ أي يهدي الله الذين أمنوا. وقيل بدل من قول: "من أناب" فهو في محل نصب أيضا. "وتطمئن قلوبهم بذكر الله" أي تسكن وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن؛ قال: أي وهم تطمئن قلوبهم على الدوام بذكر الله بألسنتهم؛ قال قتادة: وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: بالقرآن. وقال سفيان بن عيينة: بأمره. مقاتل: بوعده. ابن عباس: بالحلف باسمه، أو تطمئن بذكر فضله وإنعامه؛ كما تَوجل بذكر عدله وانتقامه وقضائه. وقيل: "يذكر الله" أي يذكرون الله ويتأملون آياته فيعرفون كمال قدرته عن بصيرة. أي قلوب المؤمنين. قال ابن عباس: هذا في الحلف؛ فإذا حلف خصمه بالله سكن قلبه. وقيل: "بذكر الله" أي بطاعة الله. وقيل: بثواب الله. وقيل: بوعد الله. وقال مجاهد: هم أصحاب النبي ﷺ »{[١]}.

أي عند ذكر الله من قراءة القرآن أو قراءة الحديث أو التفسير أو الدعاء أو غير ذلك فإن ذلك يوجد عند المسلم الروحانية فيحدث الطمأنينة لديه فيزداد إيماناً عنده من جراء هذا الذكر لأنه يجعله يمعن النظر والتفكير بالله سبحانه وتعالى فتزداد التقوى لديه وتقوى صلته بالله

[١] – تفسير القرطبي

سبحانه وتعالى، لذا فمعنى القلب: العقل في هذه الآية وهو المعنى الشرعي.

٧٨. وقال الله سبحانه وتعالى

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾

سورة الحج

« أضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى في القلب ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في صحيح الحديث (التقوى هاهنا) وأشار إلى صدره. {[1]}»

فالتزام المسلم بأوامر الله سبحانه وتعالى والابتعاد عمّا نهى لا تكون نابعة إلا من الأفكار التي أصبحت مفاهيم لذلك تثبت هذه المفاهيم لديه ويُّسبر سلوكه حسب هذه المفاهيم فتوجد التقوى عند المسلم وهي اتباع ما أمر الله سبحانه وتعالى واجتناب عما نهى فالفكر الذي يصدره على الوقائع من كونها حلال وحرام ومندوب ومكروه ومباح لا تكون إلا بعد عملية تفكير فعلى هذا يكون قلوب: عقول. وهو المعنى الشرعي.

٧٩. وقال الله سبحانه وتعالى

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾

سورة النور

[1] – تفسير القرطبي

« يعني من هوله وحذر الهلاك. والتقلب التحول، والمراد قلوب الكفار وأبصارهم. فتقلب القلوب انتزاعها من أماكنها إلى الحناجر، فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج. وأما تقلب الأبصار فالزرق بعد الكحل والعمى بعد البصر. وقيل: تتقلب القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك، والأبصار تنظر من أي ناحية يعطون كتبهم، وإلى أي ناحية يؤخذ بهم. وقيل: إن قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك، وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين؛ وذلك مثل قول تعالى: "فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد" [ق:٢٢] فما كان يراه في الدنيا غيا يراه رشدا؛ إلا أن ذلك لا ينفعهم في الآخرة. وقيل: تقلب على جمر جهنم كقوله تعالى: "يوم تقلب وجوههم في النار" [الأحزاب: ٦٦]، "ونقلب أفئدتهم وأبصارهم" [الأنعام: ١١٠]. في قول من جعل المعنى تقلبها على لهب النار. وقيل: تقلب بأن تلفحها النار مرة وتنضجها مرة. وقيل إن تقلب القلوب وجيبها، وتقلب الأبصار النظر بها إلى نواحي الأهوال. »{[١]}

أي يخافون من هذا المشهد والموقف العظيم من الله سبحانه وتعالى فيلتزمون ما أمر الله ويجتنبون ما نهى لتيقنهم وعلمهم بهذا اليوم وكأنهم معاينون لذلك اليوم وكأنهم يرونه أمام ناظرهم وهو يوم القيامة فهذا ما هو راسخٌ لديهم رسوخ الجبال الراسيات، وهذا لا يكون إلا من النظر والتفكير وهذا من نتاج العقل، فالمقصود في هذه الآية قلوب: عقول. وهو المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير القرطبي

٨٠. وقال الله سبحانه وتعالى

إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ سورة التحريم

« أي زاغت ومالت عن الحق. وهو أنهما أحبتا ما كره النبي صلي الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل، وكان عليه السلام يحب العسل والنساء . قال ابن زيد: مالت قلوبهما بأن سرهما أن يحتبس عن أم ولده، فسرهما ما كرهه رسول الله صلي الله عليه وسلم. وقيل: فقد مالت قلوبكما إلى التوابة »{[1]}

فالحب والكره في القول الأول متعلق بالمفاهيم وفي قول ابن زيد : التوبة متعلقة في العقل فيكون المقصود هو المعنى الشرعي أي قلوبكما : عقولكما وهو المعنى الشرعي.

٨١. وقال الله سبحانه وتعالى

ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ سورة الأحزاب

« لو نسبه إنسان إلى أبيه من التبني فإن كان على جهة الخطأ، وهو أن يسبق لسانه إلى ذلك من غير قصد فلا إثم ولا مؤاخذة؛ لقوله تعالى "وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم" وكذلك لو

---

[1] – تفسير القرطبي

دعوت رجلا إلى غير أبيه وأنت ترى أنه أبوه فليس عليك بأس؛ قاله قتادة. ولا يجري هذا المجرى ما غلب عليه اسم التبني كالحال في المقداد ابن عمرو فإنه كان غلب عليه نسب التبني، فلا يكاد يعرف إلا بالمقداد ابن الأسود؛ فإن الأسود بن عبد يغوث كان قد تبناه في الجاهلية وعرف به. فلما نزلت الآية قال المقداد: أنا ابن عمرو؛ ومع ذلك فبقي الإطلاق عليه. ولم يسمع فيمن مضى من عصى مطلق ذلك عليه وإن كان متعمدا. وكذلك سالم مولى أبي حذيفة، كان يدعى لأبي حذيفة. وغير هؤلاء ممن تبني وانتسب لغير أبيه وشهر بذلك وغلب عليه. وذلك بخلاف الحال في زيد بن حارثة؛ فإنه لا يجوز أن يقال فيه زيد بن محمد، فإن قاله أحد متعمدا عصى لقوله تعالى: "ولكن ما تعمدت قلوبكم" أي فعليكم الجناح. والله أعلم.

وقد قيل: إن قول الله تبارك وتعالى: "وليس عليكم جناح فيما أخطأتم" مجمل؛ أي وليس عليكم جناح في شيء أخطأتم، وكانت فتيا عطاء وكثير من العلماء. على هذا إذا حلف رجل ألا يفارق غريمه حتى يستوفي منه حقه، فأخذ منه ما يرى أنه جيد من دنانير فوجدها زيوفا أنه لا شيء عليه. وكذلك عنده إذا حلف ألا يسلم على فلان فسلم عليه وهو لا يعرفه أنه لا يحنث؛ لأنه لم يتعمد ذلك. و "ما" في موضع خفض ردا على "ما" التي مع "أخطأتم". ويجوز أن تكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ؛ والتقدير: ولكن الذي تؤاخذون به ما تعمدت قلوبكم. قال قتادة وغيره: من نسب رجلا إلى غير أبيه، وهو يرى أنه أبوه، خطأ فذلك

من الذي رفع الله فيه الجناح. وقيل: هو أن يقول له في المخاطبة: يا بنّي؛ على غير تبن »{[١]}.

وتعمد القلوب أي الإصرار على القول والعمل المنهي عنه، وهذا من اعمال العقل ونتاجه. ألا ترى أن هذا القول في التبني متعلق في العقل فهو الذي يصدر الفكر أي الحكم على فلان ابن فلان، فيكون في هذه الآية قصد قلوبكم: عقولكم فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

٨٢. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١﴾ سورة الأحزاب

« خبر عام، والإشارة إلى، ما في قلب رسول الله ﷺ من محبة شخص دون شخص. وكذلك يدخل في المعنى أيضا المؤمنون. وفي البخاري عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت،: أي الناس أحب إليك؟ فقال: (عائشة) فقلت: من الرجال؟ قال: (أبوها) قلت: ثم من؟ قال: (عمر بن الخطاب...) فعد رجالا. وقد تقدم القول في القلب بما فيه كفاية في أول "البقرة"، وفي أول هذه السورة. يروى أن لقمان الحكيم كان عبدا نجارا قال له سيده: اذبح شاة وائتني بأطيبها بضعتين، فأتاه باللسان والقلب. ثم أمره بذبح شاة أخرى فقال له:

---

[١] – تفسير القرطبي

ألق أخبثها بضعتين، فألقى اللسان والقلب. فقال: أمرتك أن تأتيني بأطيبها بضعتين فأتيتني باللسان والقلب، وأمرتك أن تلقي بأخبثها بضعتين فألقيت اللسان والقلب؟ فقال: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا »{[1]}.

أن تحب شخصا أو أن تكره شخصا هذا الأمر متعلق بالمفاهيم عن ذلك الشخص. فالمفاهيم عن شخص تحبه هي التي تحدد سلوكك نحوه. فالفكر المتصور له واقع في الذهن يصبح مفهوماً. وهذا من نتاج العقل فالمفاهيم عن الحب والكره من نتاج الحكم على الشخص، وهو الذي يحدد سلوكك نحوه، وهذا من نتاج العقل. فالمقصود في هذه الآية قلوبكم: عقولكم. هو المعنى الشرعي.

٨٣. وقال الله سبحانه وتعالى

بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ سورة الفتح

« وذلك أنهم قالوا: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس لا يرجعون. أي النفاق. وهذا التزيين من الشيطان، أو يخلق الله ذلك في قلوبهم. أن الله لا ينصر رسوله. أي هلكا، قاله مجاهد. وقال قتادة: فاسدين لا يصلحون لشيء

[1] – تفسير القرطبي

من الخير. قال الجوهري: البور: الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه.
قال عبد الله بن الزبعري السهمي:

يا رسول المليك إن لساني		راتق ما فتقت إذ أنا بور

وامرأة بور أيضا، حكاه أبو عبيد. وقوم بور هلكى. قال تعالى: "وكنتم قوما بورا" وهو جمع بائر، مثل حائل وحول. وقد بار فلان أي هلك. وأباره الله أي أهلكه. وقيل: "بورا" أشرارا، قاله ابن بحر. وقال حسان بن ثابت:

لا ينفع الطول من ن وك الرجال وقد		يهدي الإله سبيل المعشر البور

أي الهالك »{[1]}.

والتزين من الشيطان بأن يحبب للإنسان النفاق والكفر بأن يجعله يفكر بالنفاق والكفر ويحببهم بالكفر والنفاق. والنفاق هو إظهار الإيمان وإبطان للكفر ولا يكون إلا بعد عملية تفكير، والفكر من نتاج العقل فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي قلوبكم: عقولكم.

٨٤. وقال الله سبحانه وتعالى

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ سورة الحجرات

[1] – تفسير القرطبي

« وزينه" بتوفيقه. "في قلوبكم" أي حسنه إليكم حتى اخترتموه. وفي هذا رد على القدرية والإمامية وغيرهم، حسب ما تقدم في غير موضع. فهو سبحانه المتفرد بخلق ذوات الخلق وخلق أفعالهم وصفاتهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم، لا شريك له. قال ابن عباس: يريد به الكذب خاصة. وقاله ابن زيد. وقيل: كل ما خرج عن الطاعة، مشتق من فسقت الرطبة خرجت من قشرها. والفأرة من جحرها. وقد مضى في "البقرة" القول فيه مستوفي. والعصيان جمع المعاصي. ثم انتقل من الخطاب إلى الخبر فقال: "أولئك" يعني هم الذين وفقهم الله فحبب إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر أي قبحه عندهم كقول تعالى: "وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون" [الروم: ٣٩]. قال النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند		أقوت وطال عليها سالف الأمد

والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه، من الرشاد وهي الصخرة. قال أبو الوازع: كل صخرة رشادة. وأنشد:

وغير مقلد وموشمات		صلين الضوء من صم الرشاد

»{[1]}

فتحبيب الإيمان وتزينه من الله سبحانه وتعالى أي أن الله وفقهم وسهل لهم الإيمان ويكون ذلك بحسن الاستماع وحسن التفكير وثبيتهم على الإيمان، ولا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي قلوبكم: عقولكم وهو المعنى الشرعي.

---

[1] - تفسير القرطبي

٨٥. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ **سورة الحجرات**

« نزلت في أعرب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر. وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتينا بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. وقال ابن عباس: نزلت في أعراب أرادوا أن يتسموا باسم الهجرة قبل أن يهاجروا، فأعلم الله أن لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين. وقال السدي : نزلت في الأعراب المذكورين في سورة الفتح: أعراب مزينة وجهينة وأسلم وغفار والهذيل وأشجع، قالوا آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى المدينة تخلفوا، فنزلت. وبالجملة فالآية خاصة لبعض الأعراب، لأن منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر كما وصف الله تعالى. ومعنى "ولكن قولوا أسلمنا" أي استسلمنا خوف القتل والسبي، وهذه صفة المنافقين، لأنهم أسلموا في ظاهر إيمانهم ولم تؤمن قلوبهم،

{وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب}. وأما الإسلام فقبول ما أتى به النبي ﷺ في الظاهر، وذلك يحقن الدم »{[١]}.

والإيمان وعدم الإيمان لا يكون إلا بعد عملية تفكير ألا ترى قوله في تفسير الآية {وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب} والتصديق محله العقل، فالتصديق والتكذيب لا يكونان إلا بعد عملية تفكير. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

٨٦. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾

سورة الأحزاب

« يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، أي ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية. وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته »{[٢]}.

---

[١] – تفسير القرطبي

[١] – تفسير القرطبي

وهذه الخواطر: هي ما يتخيله أي يتصوره الإنسان في ذهنه أي عقله ويأخذ يفكر به، لا تكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود لقلوبكم: لعقولكم في هذه الآية وهو المعنى الشرعي.

٨٧. وقال الله سبحانه وتعالى

وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴿٥﴾ سورة فصلت

« الأكنة جمع كنان وهو الغطاء. وقد مضى في [البقرة]. قال مجاهد: الكنان للقلب كالجنة للنبل. أي صمم؛ فكلامك لا يدخل أسماعنا، وقلوبنا مستورة من فهمه. أي خلاف في الدين، لأنهم يعبدون الأصنام وهو يعبد الله عز وجل. قال معناه الفراء وغيره. وقيل: ستر مانع عن الإجابة. وقيل: إن أبا جهل استغشى على رأسه ثوبا وقال: يا محمد بيننا وبينك حجاب. استهزاء منه. حكاه النقاش وذكره القشيري. فالحجاب هنا الثوب. أي اعمل في هلاكنا فإنا عاملون في هلاكك؛ قاله الكلبي. وقال مقاتل: اعمل لإلهك الذي أرسلك، فإنا نعمل لآلهتنا التي نعبدها. وقيل: أعمل بما يقتضيه دينك، فإنا عاملون بما يقتضيه ديننا. ويحتمل خامسا: فاعمل لآخرتك فإنا نعمل لدنيانا؛ ذكره الماوردي »{[1]}.

أي أن عقولهم مغطاة فلا تعي ما تسمع ولا يكون ذلك إلا بعد عملية تفكير، فيفكر بما سمعه والدليل على ذلك قولهم {مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ} وهذا القول بعد عملية تفكير وقوله في الآية {أكنة} هي

[2] – تفسير القرطبي

الغطاء وهذا مانع من الفهم والحجاب هو الستر وهذا مانع أيضاً والوقر هو الثقب أي أنهم لا يحفظون ما يسمعون نتيجة الثقب فلا تتجمع المعلومات عنده وهو مانع أيضاً يضاف إلى الموانع الأخرى، ومجموع هذه الموانع التي يدعونها تجعلهم لا يفهمون ما يسمعون، وهذه العوامل هي من عوامل عملية التفكير. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

٨٨. وقال الله سبحانه وتعالى

وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ سورة الحشر

« ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم" أي حقدا وحسدا" ربنا إنك رءوف رحيم »{[١]}.

معنى الغل: الحقد والحسد ولا يكون الحقد والحسد إلا بعد عملية تفكير، فطلبوا من الله سبحانه وتعالى أن لا يجعل في عقولهم غل أو حقد للمؤمنين. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

---

[١] – فسير القرطبي

٨٩. وقال الله سبحانه وتعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ سورة يونس

« قال ابن عباس: أي امنعهم الإيمان. وقيل: قسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان؛ والمعنى واحد. "فلا يؤمنوا" قيل: هو عطف على قوله: "ليضلوا" أي آتيتهم النعم ليضلوا ولا يؤمنوا؛ قاله الزجاج والمبرد. وعلى هذا لا يكون فيه من معنى الدعاء شيء »{[1]}.

فالشد على القلب منعهم من الفهم وعدم تقبلهم الإسلام وهذا من نتاج العقل {فَلَا يُؤْمِنُوا} فالإيمان وعدم الإيمان لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٩٠. وقال الله سبحانه وتعالى

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ سورة الرعد

---

[1] – تفسير القرطبي

« وتطمئن قلوبهم بذكر الله" أي تسكن وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن؛ قال: أي وهم تطمئن قلوبهم على الدوام بذكر الله بألسنتهم؛ قال قتادة: وقال مجاهد وقتادة وغيرهما: بالقرآن. وقال سفيان بن عيينة: بأمره. مقاتل: بوعده. ابن عباس: بالحلف باسمه، أو تطمئن بذكر فضله وإنعامه؛ كما تَوجل بذكر عدله وانتقامه وقضائه. وقيل: "بذكر الله" أي يذكرون الله ويتأملون آياته فيعرفون كمال قدرته عن بصيرة »{[1]}.

{وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ} فذكر الله باللسان فهو حكم على واقع، فلا يكون إلا بعد عملية تفكير فيصبح مفهوم وهو موافق للفطرة. فيملأ العقل قناعة والقلب طمأنينة فيحدث الراحة في النفس لما توصل له من عقيدة {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} أي عند قراءة القرآن تسكن النفس نتيجة التفكير بما سيناله من الله سبحانه وتعالى من نعيم الجنة. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

٩١. وقال الله سبحانه وتعالى

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ سورة الإسراء

« أي فعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم. وليس المعنى أنهم لا يسمعون ولا يفقهون، ولكن لما كانوا لا ينتفعون بما يسمعون، ولا ينقادون إلى الحق كانوا بمنزلة من لا يسمع ولا يفهم. والأكنة الأغطية جمع كنان مثل الأسنة والسنان، والأعنة والعنان. كننت الشيء في كنه إذا صنته فيه.

---

[1] – تفسير القرطبي

وأكننت الشيء أخفيته. والكنانة معروفة. والكنة (بفتح الكاف والنون) امرأة أبيك؛ ويقال: امرأة الابن أو الأخ؛ لأنها في كنه. و"أكنة" جمع كنان، وهو ما ستر الشيء. أي يفهموه وهو في موضع نصب؛ المعنى كراهية أن يفهموه، أو لئلا يفهموه. "أن يفقهوه" أي لئلا يفقهوه، أو كراهية أن يفقهوه، أي أن يفهموا ما فيه من الأوامر والنواهي والحكم والمعاني »{[1]}.

{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ} فالفقه أي المعرفة لا يكون إلا بعد عملية تفكير فعدم الفهم مرتبط بالعقل وهي المعلومات التي تفسر هذا الواقع. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

٩٢. وقال الله سبحانه وتعالى

وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ سورة الكهف

« عبارة عن شدة عزم وقوة صبر، أعطاها الله لهم حتى قالوا بين يدي الكفار: "ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا". ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن يشبه الربط؛ ومنه يقال: فلان رابط الجأش،

[1] – تفسير القرطبي .

٢ – تفسير القرطبي

إذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحرب وغيرها. ومنه الربط على قلب أم موسى. وقوله تعالى: "وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام" [الأنفال: ١١] وقد تقدم »{٢}.

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا} أي أن الله سبحانه وتعالى قد حفظ عقولهم وجعلهم لا ينسون أي أن الله سبحانه وتعالى خلقهم على ذلك من عدم النسيان. ولذلك قال تعالى {وربطنا على قلوبهم} فعقولهم لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٩٣. وقال الله سبحانه وتعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾

سورة الكهف

« بسبب كفرهم؛ أي نحن منعنا الإيمان من أن يدخل قلوبهم وأسماعهم. والأكنة الأغطية جمع كنان مثل الأسنة والسنان، والأعنة والعنان. كننت الشيء في كنه إذا صنته فيه. وأكننت الشيء أخفيته. والكنانة معروفة. والكنة (بفتح الكاف والنون) امرأة أبيك؛ ويقال: امرأة الابن أو الأخ؛ لأنها في كنه. و"أكنة" جمع كنان، وهو ما ستر الشيء »{[1]}.

---

[1] – تفسير القرطبي

{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ} الفقه أي عدم الفهم ولا تكون المعرفة والعلم بالله سبحانه وتعالى. وهذا متعلق بالإيمان لا يكون إلا بعد عملية تفكير وهو من نتاج العقل فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

٩٤. وقال الله سبحانه وتعالى

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ سورة الأنبياء

« أي ساهية قلوبهم، معرضة عن ذكر الله، متشاغله عن التأمل والتفهم؛ من قول العرب: لهيت عن ذكر الشيء إذا تركته وسلوت عنه ألهى لهيا ولهيانا. و "لاهية" نعت تقدم الاسم، ومن حق النعت أن يتبع المنعوت في جميع الإعراب، فإذا تقدم النعت الاسم انتصب كقوله: "خاشعة أبصارهم" [القلم: ٤٣] و "ودانية عليهم ظلالها" [الإنسان: ١٤] و "لاهية قلوبهم" قال الشاعر:

لعزة موحشا طلل		يلوح كأنه خلل

أراد: طلل موحش. وأجاز الكسائي والفراء "لاهية قلوبهم" بالرفع بمعنى قلوبهم لاهية. وأجاز غيرهما الرفع على أن يكون خبرا بعد خبر وعلى إضمار مبتدأ. أي تناجوا فيما بينهم بالتكذيب، وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير؛ مجازه: والذين ظلموا أسروا النجوى أبو عبيدة: "أسروا" هنا من الأضداد؛ فيحتمل أن يكونوا أخفوا كلامهم، ويحتمل أن يكونوا أظهروه

وأعلنوه. وقال الكسائي: ويجوز أن يكون المعنى؛ إلا استمعوه لاهية قلوبهم »{[1]}.

{لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى} التلهي يكون بانشغال العقل في موضوع آخر غير المطلوب والنجوى الحديث بين اثنين فأكثر. فيكون {لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} أي لاهية عقولهم وهذا التلهي يمنع العقل من الفهم. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

٩٥. وقال الله سبحانه وتعالى

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ سورة الحج

« فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: "وجلت قلوبهم" أي خافت وحذرت مخالفته. فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وإقامة الصلاة وإدامتها

الثانية: هذه الآية نظير قوله تعالى: "إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون" [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله" [الزمر: ٢٣] »{[2]}.

---

[1] – تفسير القرطبي

[1] – تفسير القرطبي

{وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} خافت عقولهم فالخوف والحذر يكونان نتيجة عملية تفكير وبناءً على المعلومات الموجودة عند المسلم بأن الله سبحانه وتعالى سوف يعاقب من يخالفه وينتهك محارمه يوم القيامة. ولا يكون هذا إلا بعد عملية تفكير وهذا من خصائص العقل. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

٩٦. وقال الله سبحانه وتعالى

لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ

(٥٣) سورة الحج

« {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} أي شرك ونفاق. {وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ} فلا تلين لأمر الله تعالى »[٢].

{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ} النفاق والشرك والقسوة كلها لا تكون إلا بعد عملية تفكير، والنفاق والشك متعلقان بالإيمان والكفر يحتاجان للتصديق أو التكذيب. وهذا محله العقل. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

---

٢ – تفسير القرطبي

٩٧. وقال الله سبحانه وتعالى

وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ سورة الحج

« أي من المؤمنين. وقيل: أهل الكتاب. أي أن الذي أحكم من آيات القرآن فتخشع وتسكن. وقيل: تخلص. قرأ أبو حيوة "وإن الله لهاد الذين آمنوا" بالتنوين. أي يثبتهم على الهداية »{[1]}.

أي نتيجة التفكير في القرآن الكريم وآياته تصلوا أن هذا القرآن من عند الله سبحانه وتعالى ولذلك تخبت قلوبكم {فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} فلا يخشع ويسكن القلب أي العقل حتى يصبح الفكر مفهوم فالذين أوتوا العلم يجرون عملية التفكير الصحيحة ويصلون للنتائج الصائبة فينتج عن ذلك أن تخبت قلوبهم أي تخشع. ولا يكون ذلك إلا بعد عملية تفكير، فالمقصود قلوبهم: عقولهم في هذه الآية وهو المعنى الشرعي.

٩٨. وقال الله سبحانه وتعالى

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ سورة المؤمنون

[1] – تفسير القرطبي

« قال الحسن: يؤتون الإخلاص ويخافون ألا يقبل منهم. وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة" قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات) »{[1]}.

{ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } أي خائفة بأن لا يقبل الله سبحانه وتعالى عملهم، فلا يكون الخوف إلا بعد عملية تفكير فيحدث عندهم الخوف من الله عز وجل. فالمقصود قلوبهم : عقولهم في هذه الآية وهو المعنى الشرعي.

٩٩. وقال الله سبحانه وتعالى

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ سورة المؤمنون

« قال مجاهد: أي في غطاء وغفلة وعماية عن القرآن. ويقال: غمره الماء إذا غطاه. ونهر غمر يغطي من دخله. ورجل غمر يغمره آراء الناس. وقيل: "غمرة" لأنها تغطي الوجه. ومنه دخل في غمار الناس وخمارهم، أي فيما يغطيه من الجمع. وقيل: "بل قلوبهم في غمرة" أي في

---

[1] – تفسير القرطبي

حيرة وعمى؛ أي مما وصف من أعمال البر في الآيات المتقدمة؛ قال قتادة. أو من الكتاب الذي ينطق بالحق »{[1]}.

والحيرة من عدم الثبات على أمر واحد فيحدث عندهم التذبذب والغمرة هي الغطاء أي عقولهم مغطاه وفي عماية عن الحق وهذا نتيجة تعمدهم التعامي عن الحق وإصرارهم على الباطل. عليها فلا تكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود قلوبهم: عقولهم هذه الآية هو المعنى الشرعي.

١٠٠. وقال الله سبحانه وتعالى

أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ سورة النور

« شك وريب. هذه الآية دليل على وجوب إجابة الداعي إلى الحاكم لأن الله سبحانه ذم من دعي إلى رسوله ليحكم بينه وبين خصمه بأقبح الذم فقال: "أفي قلوبهم مرض" الآية. قال ابن خويز منداد: واجب على كل من دعي إلى مجلس الحاكم أن يجيب، ما لم يعلم أن الحاكم فاسق أو عداوة بين المدعي والمدعى عليه. وأسند الزهراوي عن الحسن بن أبي الحسن أن رسول الله ﷺ قال: (من دعاه خصمه إلى حاكم من حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم ولا حق له). ذكره الماوردي أيضا »{[2]}.

---

[1] – تفسير القرطبي

[2] – تفسير القرطبي .

{أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} وهو والنفاق أي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود قلوبهم: عقولهم وهذه الآية هو المعنى الشرعي.

١٠١. وقال الله سبحانه وتعالى

وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ سورة الأحزاب

« أي شك ونفاق. أي باطلا من القول. وذلك أن طعمة بن أبيرق ومعتب بن قشير وجماعة نحو من سبعين رجلا قالوا يوم الخندق: كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز؟ وإنما قالوا ذلك لما فشا في أصحاب النبّي ﷺ من قوله عند ضرب الصخرة، على ما تقدم في حديث النسائي؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية »{[1]}.

{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} وهو والنفاق وهو والنفاق أي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

١٠٢. وقال الله سبحانه وتعالى

وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

سورة الأحزاب

---

[1] – تفسير القرطبي

« يعني الذين عاونوا الأحزاب: قريشا وغطفان وهم بنو قريظة وقد مضى خبرهم أي حصونهم واحدها صيصة. قال الشاعر:

فأصبحت الثيران صرعى وأصبحت	نساء تميم يبتدرن الصياصيا

ومنه قيل لشوكة الحائك التي بها يسوي السداة واللحمة: صيصة. قال، دريد بن الممدد:

فجئت إليه والرماح تنوشه	كوقع الصياصي في النسيج الممدد

ومنه: صيصة الديك التي في رجله. وصياصي البقر قرونها، لأنها تمتنع بها. وربما كانت، تركب في، الرماح مكان الأسنة، ويقال: جذ الله صئصئه، أي أصله. وهم الرجال. وهم النساء والذرية، على ما تقدم »{[1]}.

{وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ} وهو والخوف فيفكر في الأشياء التي قد تصيبه من سوء فينتج عن ذلك الخوف وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير عند الشخص. فالمقصود في هذه الآية قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

١٠٣. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ سورة الأحزاب

[1] – تفسير القرطبي

« قال: أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد؛ كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن أبي رزين قال: "المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة" قال: هم شيء واحد، يعني أنهم قد جمعوا هذه الأشياء. والواو مقحمة، كما قال:

إلى الملك القرم وابن الهمام	وليث الكتيبة في المزدحم

أراد إلى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة، وقد مضى في "البقرة". وقيل: كان منهم قوم يرجفون، وقوم يتبعون النساء للريبة وقوم يشككون المسلمين. قال عكرمة وشهر بن حوشب: "الذين في قلوبهم مرض" يعني الذين هي قلوبهم الزنى. وقال طاووس: نزلت هذه الآية في أمر النساء. وقال سلمة بن كهيل: نزلت في أصحاب الفواحش، والمعنى متقارب. {وقيل: المنافقون والذين في قلوبهم مرض شيء واحد، عبر عنهم بلفظين؛ } دليله آية المنافقين في أول سورة "البقرة". والمرجفون في المدينة قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسوؤهم من عدوهم، فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ: إنهم قد قتلوا أو هزموا، وإن العدو قد أتاكم، قال قتادة وغيره. وقيل كانوا يقولون: أصحاب الصفة قوم عزاب، فهم الذين يتعرضون للنساء. وقيل: هم قوم من المسلمين ينطقون بالأخبار الكاذبة حبا للفتنة. وقد كان في أصحاب الإفك قوم مسلمون ولكنهم خاضوا حبا للفتنة. وقال أبن عباس: الإرجاف التماس الفتنة، والإرجاف: إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به. وقيل: تحريك القلوب، يقال: رجفت الأرض -أي تحركت وتزلزلت- ترجف رجفا. والرجفان: الاضطراب الشديد. والرجاف: البحر، سمي به لاضطرابه. قال الشاعر:

المطعمون اللحم كل عشية	حتى تغيب الشمس في الرجاف

والإرجاف: واحد أراجيف الأخبار. وقد أرجفوا في الشيء، أي خاضوا فيه.

قال الشاعر:

فإنا وإن عيرتمونا بقتله	وأرجف بالإسلام باغ وحاسد

وقال آخر: أبس الأراجيف يا بن اللؤم توعدني وفي الأراجيف خلت اللؤم والخور فالإرجاف حرام، لأن فيه أذية. فدلت الآية على تحريم الإيذاء بالإرجاف »{[1]}.

{فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} وهو والنفاق أي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

١٠٤. وقال الله سبحانه وتعالى

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ

(٢٣) سورة سباء

« قال ابن عباس: خلي عن قلوبهم الفزع. قطرب: أخرج ما فيها من الخوف. مجاهد: كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة؛ أي إن الشفاعة لا تكون من أحد هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام؛ إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة وهم على

---

[1] – تفسير القرطبي

غاية الفزع من الله؛ كما قال: "وهم من خشيته مشفقون" [الأنبياء: ٢٨] » }{[1]".

{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ} وهو والخوف نتيجة التفكير في عاقبة ما قد يحدث لهم من سيئات أعمالهم في الدنيا فيطرب من ذلك الجسم بأكمله فيحدث الخوف. فإذا أزيل هذا الفكر واستبدل بفكر آخر ليعطي الإنسان الراحة، فيعود عمل الغدد في الجسم إلى طبيعته فيزيل الخوف ويستبدل بالطمأنينة. وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

١٠٥. وقال الله سبحانه وتعالى

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ سورة الزمر

« شرح فتح ووسع. قال ابن عباس: وسع صدره للإسلام حتى ثبت فيه. وقال السدي: وسع صدره بالإسلام للفرح به والطمأنينة إليه؛ فعلى هذا لا يجوز أن يكون هذا الشرح إلا بعد الإسلام؛ وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام. والمراد بمن شرح الله صدره ها هنا فيما ذكر المفسرون علي وحمزة رضي الله عنهما. وحكى النقاش أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال مقاتل: عمار بن ياسر. وعنه أيضا والكلبي رسول الله ﷺ. والآية عامة فيمن شرح الله صدوره بخلق الإيمان فيه. "وروى مرة عن ابن مسعود قال: قلنا يا رسول الله قوله تعالى: "أفمن

---

[1] – تفسير القرطبي

شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه" كيف انشرح صدره؟ قال: (إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح) قلنا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟. قال: (الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله) وخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث ابن عمر: أن رجلا قال يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: (أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع) قالوا: فما آية ذلك يا نبي الله؟ قال: (الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت) فذكر ﷺ خصالا ثلاثة،" ولا شك أن من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الإيمان، فإن الإنابة إنما هي أعمال البر؛ لأن دار الخلود إنما وضعت جزاء لأعمال البر، ألا ترى كيف ذكره الله في مواضع في تنزيله ثم قال بعقب ذلك: "جزاء بما كانوا يعملون" [الواقعة: ٢٤] فالجنة جزاء الأعمال؛ فإذا انكمش العبد في أعمال البر فهو إنابته إلى دار الخلود، وإذا خمد حرصه عن الدنيا، ولها عن طلبها، وأقبل على ما يغنيه منها فاكتفى به وقنع، فقد تجافي عن دار الغرور. وإذا أحكم أموره بالتقوى فكان ناظرا في كل أمر، واقفا متأدبا متثبتا حذرا يتورع عما يريبه إلى ما لا يريبه، فقد استعد للموت. فهذه علامتهم في الظاهر. وإنما صار هكذا لرؤية الموت، ورؤية صرف الآخرة عن الدنيا، ورؤية الدنيا أنها دار الغرور، وإنما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي ولج القلب. أي على هدى من ربه. قيل: المراد أبو لهب وولده؛ ومعنى: "من ذكر الله" أن قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره. وقيل: إن "من" بمعنى عن، والمعنى قست عن قبول ذكر الله. وهذا اختيار

الطبري. وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله تعالى اطلبوا الحوائج من السمحاء فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي). وقال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم. قال المبرد: يقال قسا القلب إذا صلب، وكذلك عتا وعسا مقاربة لها. وقلب قاس أي صلب لا يرق ولا يلين"{[١]}.

"وروى مرة عن ابن مسعود قال: قلنا يا رسول الله قوله تعالى: "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه" كيف انشرح صدره؟ قال: (إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح) قلنا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟. قال: (الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله) وخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث ابن عمر: أن رجلا قال يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: (أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع) قالوا: فما آية ذلك يا نبي الله؟ قال: (الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت) فذكر ﷺ خصالا ثلاثة،"

{فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} »

أي على بينة من الله سبحانه وتعالى من تبيان العقيدة والحلال والحرام والفروض وسائر الأحكام الشرعية (وهو الإسلام كاملاً) هذا هو النور المقصود في الآية" {فويل للقاسية قلوبهم} فالقسوة هي التمسك بالباطل والتصلب عليها والتمسك بغير الحق أي غير الإسلام هو الكفر

[١] – تفسير القرطبي

وهذه القسوة لا تكون إلا بعد عملية تفكير ومكانه العقل. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي أي قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

١٠٦. وقال الله سبحانه وتعالى

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ سورة محمد

« أي المؤمنون المخلصون. اشتياقا للوحي وحرصا على الجهاد وثوابه. ومعنى "لولا" هلا. لا نسخ فيها. قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين. وفي قراءة عبد الله "فإذا أنزلت سورة محدثة" أي محدثة النزول. أي فرض فيها الجهاد. وقرئ "فإذا أنزلت سورة وذكر فيها القتال" على البناء للفاعل ونصب القتال. أي شك ونفاق. أي نظر ممغوصين مغتاظين بتحديد وتحديق، كمن يشخص بصره عند الموت، وذلك لجبنهم عن القتال جزعا وهلعا، ولميلهم في السر إلى الكفار »{[١]}.

{مرض القلوب هو النفاق} وهو والنفاق وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير القرطبي

١٠٧. وقال الله سبحانه وتعالى

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ

(٢٩) سورة محمد

« نفاق وشك، يعني المنافقين. الأضغان ما يضمر من المكروه. واختلف في معناه، فقال السدي: غشهم. وقال ابن عباس: حسدهم. وقال قطرب: عداوتهم، وأنشد قول الشاعر:

قل لابن هند ما أردت بمنطق	ساء الصديق وشيد الأضغانا

وقيل: أحقادهم. واحدها ضغن. قال:

وذي ضغن كففت النفس عنه

وقد تقدم. وقال عمرو بن كلثوم:

وإن الضغن بعد الضغن يفشو	عليك ويخرج الداء الدفينا

قال الجوهري: الضغن والضغينة: الحقد. وقد ضغن عليه (بالكسر) ضغنا. وتضاغن القوم واضطغنوا: أبطنوا على الأحقاد. واضطغنت الصبي إذا أخذته تحت حضنك.

وأنشد الأحمر:

كأنه مضطغن صبيا

أي حامله في حجره. وقال ابن مقبل:

إذا اضطغنت سلاحي عند مغرضها	ومرفق كرئاس السيف إذ شسفا

وفرس ضاغن: لا يعطي ما عنده من الجري إلا بالضرب. والمعنى: أم حسبوا أن لن يظهر الله عداوتهم وحقدهم لأهل الإسلام »{[1]}.

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ} ظن هؤلاء أن الله لن يظهر ما عندهم من العداوة والحقد والنفاق وهذه الأشياء هي التي يخفيها المنافقون عن المسلمين وأن الله سوف يظهر ما يخفون في عقولهم عن المسلمين وهذا مكانه العقل. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي. قلوبهم: عقولهم.

١٠٨. وقال الله سبحانه وتعالى

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ سورة الفتح

« فضحهم الله تعالى بقوله: "يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم" وهذا هو النفاق المحض »{[2]}.

فالكذب عند المنافقين يخفونه عن رسول الله ﷺ فقوله تعالى {يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم} يدلل على أن القول من نتاج عملية تفكير وهو الكذب ففكر فما يقولون لرسول الله ﷺ . والنفاق هو

---

[1] – تفسير القرطبي

[1] – تفسير القرطبي

إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهذا الكذب لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي. قلوبهم: عقولهم.

١٠٩. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ سورة الفتح

« من الصدق والوفاء، قاله الفراء. وقال ابن جريج وقتادة: من الرضا بأمر البيعة على ألا يفروا. وقال مقاتل: من كراهة البيعة على أن يقاتلوا معه على الموت.

وقيل: "فعلم ما في قلوبهم" من الكآبة بصد المشركين إياهم وتخلف رؤيا النبي ﷺ عنهم، إذا رأى أنه يدخل الكعبة، حتى قال رسول الله ﷺ: [إنما ذلك رؤيا منام]. وقال الصديق: لم يكن فيها الدخول في هذا العام »{[١]}.

{:"فعلم ما في قلوبهم" من الكآبة} والربط بين هذه الطاقة الحيوية وبين المفاهيم – أي ربط الدوافع بالمفاهيم توجد الميول فالكآبة هي الانطواء على النفس وحب العزلة وهي ناتجة عن شعور أي إحساس متولد من الفكر ولا تكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير القرطبي

١١٠. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ سورة الفتح

« العامل في "إذ" قوله تعالى: "لعذبنا" أي لعذبناهم إذ جعلوا هذا. أو فعل مضمر تقديره واذكروا. "الحمية" فعيلة وهي الأنفة. يقال: حميت عن كذا حمية (بالتشديد) ومحمية إذا أنفت منه وداخلك عار وأنفة أن تفعله. ومنه قول المتلمس:

ألا إنني منهم وعرضي عرضهم	كذي الأنف يحمي أنفه أن يكشما

أي يمنع. قال الزهري: حميتهم أنفتهم من الإقرار للنبي ﷺ بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم، ومنعهم من دخول مكة. وكان الذي امتنع من كتابة بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ومحمد رسول الله: سهيل بن عمرو، على ما تقدم. وقال ابن بحر: حميتهم عصبيتهم لآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، والأنفة من أن يعبدوا غيرها. وقيل: "حمية الجاهلية" إنهم قالوا: قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا، واللات والعزى لا يدخلها أبدا. أي الطمأنينة والوقار. وقيل: ثبتهم على الرضا والتسليم، ولم يدخل قلوبهم ما أدخل قلوب أولئك من الحمية. قيل: لا إله إلا الله. روي مرفوعا من حديث أبي ابن كعب عن النبي ﷺ. وهو

قول علي وابن عمر وابن عباس، وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة. «
{[1]}

{"الحمية" فعيلة وهي الأنفة. قال الزهري: حميتهم أنفتهم من الإقرار للنبي ﷺ بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم، ومنعهم من دخول مكة.} وحمية الجاهلية في هذه الآية الإصرار على ما هم عليه من الكفر وهو عقيدة عندهم ومحل العقيدة هو العقل والعقيدة لا تكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

١١١. وقال الله سبحانه وتعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

(٣) سورة الحجرات

« قال الفراء: أي أخلصها للتقوى. وقال الأخفش: أي اختصها للتقوى. وقال ابن عباس: "امتحن الله قلوبهم للتقوى" طهرهم من كل قبيح، وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى. وقال عمر رضي الله عنه: أذهب عن قلوبهم الشهوات. والامتحان افتعال من محنت الأديم محنا حتى أوسعته. فمعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعها وشرحها للتقوى. وعلى الأقوال المتقدمة: امتحن قلوبهم فأخلصها، كقولك: امتحنت الفضة أي اختبرتها حتى خلصت »{[1]}.

---

[1] – تفسير القرطبي

[2] – تفسير القرطبي

{وقال ابن عباس: "امتحن الله قلوبهم للتقوى" طهرهم من كل قبيح، وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى}. والخوف لا يكون إلا بعد عملية تفكير، فيفكر بما قد يصيبه من سوء العذاب إن هو خالف أمر الله سبحانه وتعالى فيحدث ذلك الفكر عنده الخوف من الله عز وجل. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي.

١١٢. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾

سورة الحديد

« ألم يأن "أي يقرب و يحين، قال الشاعر:

ألم يأن لي يا قلب أن أترك الجهلا	وأن يحدث الشيب المبين لنا عقلا

وماضيه أنى بالقصر يأني. ويقال: آن لك – بالمد – أن تفعل كذا يئين أينا أي حان، مثل أنى لك وهو مقلوب منه. وأنشد ابن السكيت:

ألما يئن لي تجلى عمايتي	وأقصر عن ليلى بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللغتين. وقرأ الحسن "ألما يأن" وأصلها "ألم" زيدت "ما" فهي نفي لقول القائل: قد كان كذا، و "لم" نفي لقوله: كان كذا. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: ما كنا بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية "ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله" إلا أربع سنين. قال الخليل: العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة، تقول عاتبته معاتبة "أن

تخشع" أي تذل وتلين "قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق" روي أن المزاح والضحك كثر في أصحاب النبي ﷺ لما ترفهوا بالمدينة، فنزلت الآية، ولما نزلت هذه الآية قال ﷺ: (إن الله يستبطئكم بالخشوع) فقالوا عند ذلك: خشعنا. وقال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن. وقيل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة. وذلك أنهم سألوا سلمان أن يحدثهم بعجائب التوراة فنزلت: "الر تلك آيات الكتاب المبين" [يوسف: ١] إلى قول: "نحن نقص عليك أحسن القصص" [يوسف: ٣] الآية، فأخبرهم أن هذا القصص أحسن من غيره وأنفع لهم، فكفوا عن سلمان، ثم سألوه مثل الأول فنزلت: "ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق" فعلى هذا التأويل يكون الذين آمنوا في العلانية باللسان. قال السدي وغيره: "ألم يأن للذين آمنوا" بالظاهر وأسروا الكفر "أن تخشع قلوبهم لذكر الله". وقيل: نزلت في المؤمنين. قال سعد: قيل يا رسول الله لو قصصت علينا فنزل: "نحن نقص عليك" فقالوا بعد زمان: لو حدثتنا فنزل: "الله نزل أحسن الحديث" [الزمر: ٢٣] فقالوا بعد مدة: لو ذكرتنا فأنزل الله تعالى: "ألم يأن للذين آمنو أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق" ونحوه عن ابن مسعود قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين، فجعل ينظر بعضنا إلى بعض ويقول: ما أحدثنا؟ قال الحسن: استبطأهم وهم أحب خلقه إليه. وقيل: هذا الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لأنه قال عقيب هذا: "والذين آمنوا بالله ورسله" [الحديد: ١٩] أي ألم يأن للذين آمنوا

بالتوراة والإنجيل أن تلين قلوبهم للقرآن، وألا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وعيسى، إذ طال عليهم الأمد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم. أي وألا يكونوا فهو منصوب عطفا على "أن تخشع". وقيل: مجزوم على النهي، مجازه ولا يكونن، ودليل هذا التأويل رواية رويس عن يعقوب "لا تكونوا" بالتاء، وهي قراءة عيسى وابن اسحق. يقول: لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى، أعطوا التوراة والإنجيل فطالت الأزمان بهم. قال ابن مسعود: إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم، فاخترعوا كتابا من عند أنفسهم استحلته أنفسهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، ثم قالوا: اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل، فإن تابعوكم فاتركوهم وإلا فاقتلوهم. ثم اصطلحوا على أن يرسلوه إلى عالم من علمائهم، وقالوا: إن هو تابعنا لم يخالفنا أحد، وإن أبى قَتلناهُ فلا يختلف علينا بعده أحد، فأرسلوا إليه، فكتب كتاب الله في ورقة وجعلها في قرن وعلقه في عنقه ثم لبس عليه ثيابه، فأتاهم فعرضوا عليه كتابهم، وقالوا: أتؤمن بهذا؟ فضرب بيده على صدره، وقال: آمنت بهذا يعني المعلق على صدره. فافترقت بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة، وخير مللهم أصحاب ذي القرن. قال عبد الله: ومن يعش منكم فسيرى منكرا، وبحسب أحدكم إذا رأى المنكر لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره. وقال مقاتل بن حيان: يعني مؤمني أهل الكتاب طال عليهم الأمد واستبطؤوا بعث النبي ﷺ "فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون" يعني الذين ابتدعوا الرهبانية أصحاب الصوامع. وقيل: من لا يعلم ما يتدين به من الفقه

ويخالف من يعلم. وقيل: هم من لا يؤمن في علم الله تعالى. ثبتت طائفة منهم على دين عيسى حتى بعث النبي ﷺ فأمنوا به، وطائفة منهم رجعوا عن دين عيسى وهم الذين فسقهم الله. وقال محمد بن كعب: كانت الصحابة بمكة مجدبين، فلما هاجروا أصابوا الريف والنعمة، ففتروا عما كانوا فيه، فقست قلوبهم، فوعظهم الله فأفاقوا. وذكر ابن المبارك: أخبرنا مالك بن أنس، قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال لقومه: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون. ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب وانظروا فيها – أو قال في ذنوبكم – كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية. وهذه الآية "ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله" كانت سبب توبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما الله تعالى. ذكر أبو المطرف عبد الرحمن بن مروان القلاني قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق، قال حدثنا علي بن يعقوب الزيات، قال حدثنا إبراهيم بن هشام، قال حدثنا زكريا بن أبي أبان، قال حدثنا الليث بن الحرث قال حدثنا الحسن بن داهر، قال سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده قال: كنت يوما مع إخواني في بستان لنا، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلنا وشربنا حتى الليل فنمنا، وكنت مولعا بضرب العود والطنبور، فقمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راشين السحر، وأراد سنان يغني، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان – يعني العود الذي بيده – ويقول: "ألم يأن للذين آمنوا أن

تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق" قلت: بلى والله! وكسرت العود، وصرفت من كان عندي، فكان هذا أول زهدي وتشميري. وبلغنا عن الشعر الذي أراد ابن المبارك أن يضرب به العود:

ألم يأن لي منك أن ترحما	وتعص العواذل واللوما
وترثي لصب بكم مغرم	أقام على هجركم مأتما
يبيت إذا جنه ليله	يراعي الكواكب والأنجما
وماذا على الظبي لو أنه	أحل من الوصل ما حرما

وأما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته أنه عشق جارية فواعدته ليلا، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئا يقرأ: "ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله" فرجع القهقرى وهو يقول: بلى والله قد آن فآواه الليل إلى خربة وفيها جماعه من السابلة، وبعضهم يقول لبعض: إن فضيلا يقطع الطريق. فقال الفضيل: أواه أراني بالليل أسعى في معاصي الله، قوم من المسلمين يخافونني! اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام »{[١]}.

قوله تعالى {أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} أن تخشع" أي تذل وتلين "قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق" أي الإسلام. والخشوع هو الروحانية. والروحانية هي أثر لإدراك الصلة بالله تعالى. وقوله تعالى {فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} والمعنى قست عن قبول ذكر الله وهو الإسلام. والقسوة التمسك بالكفر والإصرار عليه وعدم قبول غيره

[١] - تفسير القرطبي

فالخشوع والقسوة لا يكونان إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي قلوبهم: عقولهم.

١١٣. وقال الله سبحانه وتعالى

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ سورة المجادلة

« وقيل: "كتب" أي جمع، ومنه الكتيبة، أي لم يكونوا ممن يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض. وقراءة العامة بفتح الكاف من "كتب" ونصب النون من "الإيمان" بمعنى كتب الله وهو الأجود، لقوله تعالى: "وأيدهم بروح منه" وقرأ أبو العالية وزر بن حبيش ، والمفضل عن عاصم "كتب" على ما لم يسم فاعله "الإيمان" برفع النون. وقرأ وزر بن حبيش "وعشيراتهم" بألف وكسر التاء على الجمع، ورواها الأعمش عن أبي بكر عن عاصم. وقيل: "كتب في قلوبهم" أي على قلوبهم، كما في قلوبهم "في جذوع النخل" [طه: ٧١]" وخص القلوب بالذكر لأنها موضع الإيمان »{[1]}.

---

[1] – تفسير القرطبي

{وخص القلوب بالذكر لأنها موضع الإيمان } والإيمان هو التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل ومحله العقل ولا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي. قلوبهم: عقولهم.

١١٤. وقال الله سبحانه وتعالى

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ سورة الحشر

« بقتل سيدهم كعب بن الأشرف؛ وكان الذي قتله هو محمد بن مسلمة وأبو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش - وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة - وعباد بن بشر بن وقش، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر. وخبره مشهور في السيرة. وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر) فكيف لا ينصر به مسيرة ميل من المدينة إلى محلة بني النضير. وهذه خصيصاً لمحمد ﷺ دون غيره »{[1]}.

قوله تعالى {وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ} وهو الخوف لا يكون الخوف إلا بعد عملية تفكير فيحدث نتيجة التفكير بما قد يصيبه من شر

[1] - تفسير القرطبي

فيحدث الخوف نتيجة ذلك فالمقصود في هذه الآية قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

١١٥. وقال الله سبحانه وتعالى

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ سورة الصف

« أي أمالها عن الهدى. وقيل: "فلما زاغوا" عن الطاعة "أزاغ الله قلوبهم" عن الهداية. وقيل: "فلما زاغوا" عن الإيمان "أزاغ الله قلوبهم" عن الثواب. وقيل: أي لما تركوا ما أمروا به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب، خلق الله الضلالة في قلوبهم عقوبة لهم على فعلهم »{[١]}.

الزيغ: هو الميل والبعد عن الحق أي الميل عن الإسلام وهذا الميل لا يكون إلا بعد عملية تفكير فيحكم العقل أنه لا يريد أن يسلم فيثبت على الكفر هذا هو الزيغ وهذا محله العقل فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي قلوبهم: عقولهم.

١١٦. وقال الله سبحانه وتعالى

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ سورة المنافقون

---

[١] – تفسير القرطبي

« هذا إعلام من الله تعالى بأن المنافق كافر. أي أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب. وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدوا أي ختم عليها بالكفر فهم لا يفقهون الإيمان ولا الخير. وقرأ زيد بن علي "فطبع الله على قلوبهم »{[1]}.

{فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} ("فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" [المنافقون:٣]). {الختم يكون محسوسا كما بينا، ومعنى كما في هذه الآية. فالختم على القلوب: عدم الوعي عن الحق – سبحانه – مفهوم مخاطباته والفكر في آياته} {فالقلب موضع الفكر} راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة {٢} لا يفقهون أي لا يعلمون فلا يكون الفقه إلا بعد عملية تفكير وهذا بحاجة للمعلومات السابقة ومن ثم إجراء عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي. قلوبهم: عقولهم.

---

[1] – تفسير القرطبي

٢ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

١١٧. **وقال الله سبحانه وتعالى**

وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ

(٣١) **سورة المدثر**

« أي في صدورهم شك ونفاق من منافقي أهل المدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة. وقيل: المعنى؛ أي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة. "والكافرون" أي اليهود والنصارى، وقال الحسين بن الفضل: السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق؛ فالمرض في هذه الآية الخلاف و "الكافرون" أي مشركو العرب. وعلى القول الأول أكثر المفسرين. ويجوز أن يراد بالمرض: الشك والارتياب؛ لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين، وبعضهم، قاطعين بالكذب وقوله تعالى إخبارا عنهم: "ماذا أراد الله" أي ما أراد "بهذا" العدد الذي ذكره حديثا، أي ما هذا من الحديث »{[١]}.

---

[١] – تفسير القرطبي

{فالمرض في هذه الآية النفاق نتج عنه الخلاف} والخلاف أو النفاق لا يكون إلا بعد عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

١١٨. وقال الله سبحانه وتعالى

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ سورة المطففين

« "كلا": ردع وزجر، أي ليس هو أساطير الأولين. وقال الحسن: معناها حقا "ران على قلوبهم". وقيل: في الترمذي: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب، صقل قلبه، فإن عاد زِيد فيها، حتى تعلو على قلبه)، وهو(الران) الذي ذكر الله في كتابه: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". قال: هذا حديث حسن صحيح. وكذا قال المفسرون: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب. قال مجاهد: هو الرجل يذنب الذنب، فيحيط الذنب بقلبه، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه، حتى تغشي الذنوب قلبه. قال مجاهد: هي مثل الآية التي في سورة البقرة: "بلى من كسب سيئة" [البقرة: ٨١] الآية. ونحوه عن الفراء؛ قال: يقول كثرت المعاصي منهم والذنوب، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها. وروي عن مجاهد أيضا قال: القلب مثل الكهف ورفع كفه، فإذا أذنب العبد الذنب انقبض، وضم إصبعه، فإذا أذب الذنب انقبض، وضم أخرى، حتى ضم أصابعه كلها، حتى يطبع على قلبه. قال: وكانوا يرون أن ذلك هو الرين، ثم قرأ: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون". ومثله عن حذيفة

رضي الله عنه سواء. وقال بكر بن عبد الله: إن العبد إذا أذنب صار في قلبه كوخزة الإبرة، ثم صار إذا أذنب ثانيا صار كذلك، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل، أو كالغربال، حتى لا يعي خيرا، ولا يثبت فيه صلاح. وقد بينا في "البقرة" القول في هذا المعنى بالأخبار الثابتة عن رسول الله ﷺ، فلا معنى لإعادتها. وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس شيئا الله أعلم بصحته؛ قال: هو الران الذي يكون على الفخذين والساق والقدم، وهو الذي يلبس في الحرب. قال: وقال آخرون: الران: الخاطر الذي يخطر بقلب الرجل. وهذا مما لا يضمن عهدة صحته. فالله أعلم. فأما عامة أهل التفسير فعلى ما قد مضى ذكره قبل هذا. "وكذلك أهل اللغة عليه؛ يقال: ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا أي غلب. قال أبو عبيدة في قوله: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" أي غلب؛ وقال أبو عبيد: كل ما غلبك [وعلاك] فقد ران بك"، ورانك، وران عليك؛ وقال الشاعر:

وكم ران من ذنب على قلب فاجر	فتاب من الذنب الذي ران وانجلى

ورانت الخمر على عقله: أي غلبته، وران عليه النعاس: إذا غطاه؛ ومنه قول عمر في الأسيفع - أسيفع جهينة -: فأصبح قد رين به. أي غلبته الديون، وكان يدان؛ ومنه قول أبي زبيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سكرا، فقال:

ثم لما رآه رانت به الخمـ	ـر وأن لا ترينه باتقاء

فقول: رانت به الخمر، أي غلبت على عقله وقلبه. وقال الأموي: قد أرى أن القوم فهم مرينون: إذا هلكت مواشيهم وهزلت. وهذا من الأمر الذي أتاهم مما يغلبهم، فلا يستطيعون احتماله. قال أبو زيد يقال: قد رين بالرجل رينا: إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه، ولا قبل له وقال أبو معاذ النحوي: الرين: أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب، وهذا أشد من الرين، والإقفال أشد من الطبع. الزجاج: الرين: هو كالصدأ يغشي القلب كالغيم الرقيق، ومثله الغين، يقال: غين على قلبه: غطي. والغين: شجر ملتف، الواحدة غيناء، أي خضراء، كثيرة الورق، ملتفة الأغصان. وقد تقدم قول الفراء أنه إحاطة الذنب بالقلوب. وذكر الثعلبي عن ابن عباس: "ران على قلوبهم": أي غطى عليها. وهذا هو الصحيح عنه إن شاء الله. وقرأ حمزة والكسائي والأعمش وأبو بكر والمفضل "ران" بالإمالة؛ لأن فاء الفعل الراء، وعينه الألف منقلبة من ياء، فحسنت الإمالة لذلك. ومن فتح فعلى الأصل؛ لأن باب فاء الفعل في (فعل) الفتح، مثل كال وباع ونحوه. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم ووقف حفص "بل" ثم يبتدئ "ران" وقفا يبين اللام، لا للسكت »{[1]}.

{"وكذلك أهل اللغة عليه؛ يقال: ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا أي غلب. قال أبو عبيدة في قوله: "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" أي غلب؛ وقال أبو عبيد: كل ما غلبك [وعلاك] فقد ران بك"} أي غلب وظهر عليهم الكفر بدليل الآيات التي قبلها والآيات التي بعدها: قال تعالى {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ

[1] – تفسير القرطبي

(١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)}

فالكفر والتكذيب لا يكون إلا بعد عملية تفكير وهذا الكفر والتكذيب من نتاج العقل فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي أي قلوبهم: عقولهم.

١١٩. وقال الله سبحانه وتعالى

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) سورة المؤمنون

« قال الحسن: يؤتون الإخلاص ويخافون ألا يقبل منهم. وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة" قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات) »{[1]}.

{والوجل: الخوف. وفي مستقبله أربع لغات: وجل يوجل وياجل وييجل، حكاه سيبويه.} فالوجل هو الخوف فيفكر الإنسان في الأشياء التي قد تصيبه من سوء. فينتج عن ذلك الخوف وهذا لا يكون إلا بعد

[1] – تفسير القرطبي

عملية تفكير فالمقصود في هذه الآية قلوبهم: عقولهم وهو المعنى الشرعي.

١٢٠. وقال الله سبحانه وتعالى

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ سورة الزمر

« أي عند آية الرحمة. {وقيل: إلى العمل بكتاب الله والتصديق به. وقيل: "إلى ذكر الله" يعنى الإسلام}. ومعنى لين القلب رقته وطمأنينته وسكونه. وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت: كان أصحاب النبي ﷺ، إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. قيل لها: فإن أناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »{[١]}.

{قوله تعالى "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله"}[الزمر: ٢٣].

أي تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله. وهو والإيمان والخوف لا يكونان إلا بعد عملية تفكير يتلو القرآن

---

[١] – تفسير القرطبي

الكريم ويتفكر في آياته فيزداد إيماناً ويخشع لذكر الله فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي. قلوبهم: عقولهم.

١٢١. وقال الله سبحانه وتعالى

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ سورة الحشر

« يعني عداوة بعضهم لبعض. وقال مجاهد: "بأسهم بينهم شديد" أي بالكلام والوعيد لنفعلن كذا. وقال السدي: المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد. وقيل: "بأسهم بينهم شديد" أي إذا لم يلقوا عدوا نسبوا أنفسهم إلى الشدة والبأس، ولكن إذا لقوا العدو انهزموا. "تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى" يعني اليهود والمنافقين؛ قال مجاهد. وعنه أيضا يعني المنافقين. الثوري: هم المشركون وأهل الكتاب. وفال قتادة: أي مجتمعين على أمر ورأي. متفرقة. فأهل الباطل مختلفة آراؤهم، مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. وعن مجاهد أيضا: أراد أن دين المنافقين مخالف لدين اليهود؛ وهذا ليقوي أنفس المؤمنين عليهم. وقال الشاعر :

إلى الله أشكو نية شقت العصا	هي اليوم شتى وهي أمس جمع

وفي قراءة ابن مسعود "وقلوبهم أشت" يعني أشد تشتيتا؛ أي أشد اختلافا. أي ذلك التشتيت والكفر بأنهم لا عقل لهم يعقلون به أمر الله »{[1]}.

{أي ذلك التشتيت والكفر بأنهم لا عقل لهم يعقلون به أمر الله}. وهذا من التفسير عند القرطبي وهذا ليدلل دلالة واضحة على أن المقصود بقوله قلوبهم. فالمقصود في هذه الآية المعنى الشرعي. قلوبهم: عقولهم.

---

[1] – تفسير القرطبي

الآيات التي وردت فيها كلمة صدورهم

لقد وردت كلمة الصدر ومختلف ألفاظها في القرآن الكريم ٤٣ مرة حسب هذا الجدول

الرقم	اللفظة	التكرار	الرقم	اللفظة	التكرار
١	صُدُورَ	٤	٢	الصُّدُرُ	١٧
٣	صُدُورِكُمْ	٣	٤	صُدُورُهُمْ	١٠
٥	صَدْرَهُ	٢	٦	صَدْرِكَ	٤
٧	صَدْرِي	٢	٨	صَدْراً	١

١. قال الله سبحانه وتعالى:

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ سورة الأنعام

« أي يوسعه له، ويوفقه ويزين عنده ثوابه. ويقال: شرح شق، وأصله التوسعة. وشرح الله صدره وسعه بالبيان لذلك. وشرحت الأمر: بنته وأوضحته. وكانت قريش تشرح النساء شرحا، وهو مما تقدم: من التوسعة والبسط، وهو وطء المرأة مستلقية على قفاها. "فالشرح: الكشف؛ تقول: شرحت الغامض"؛ ومنه تشريح اللحم. قال الراجز:

كم قد أكلت كبدا وإنفحه		ثم ادخرت إليه مشرحه

والقطعة منه شريحة. وكل سمين من اللحم ممتد فهو شريحة. يَغوِيهِ. ونظير هذه الآية من السنة قوله عليه السلام: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) أخرجه الصحيحان. ولا يكون ذلك إلا بشرح الصدر وتنويره. والدين العبادات؛ كما قال: "إن الدين عند الله الإسلام" [آل عمران: ١٩]. "ودليل خطابه أن من لم يرد الله به خيرا ضيق صدره، وأبعد فهمه فلم يفقهه ". والله أعلم. وروي أن عبدالله بن مسعود قال: يا رسول الله، وهل ينشرح الصدر؟ فقال: (نعم يدخل القلب نور) فقال: وهل لذلك من علامة؟ فقال ﷺ: (التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزول الموت). وقرأ ابن كثير "ضيقا" بالتخفيف؛ مثل هين ولين لغتان. ونافع وأبو بكر "حرجا" بالكسر، ومعناه الضيق. كرر المعنى، وحسن ذلك لاختلاف اللفظ. والباقون بالفتح. جمع حرجة؛ وهو شدة الضيق أيضا، والحَرَجَةُ: الغَيْضَةُ لضيقها؛ والجمع حرج وحرجات. ومنه فلان يتحرج أي يضيق على نفسه في تركه هواه للمعاصي؛ قال الهروي. وقال ابن عباس: الحرج موضع الشجر الملتف؛ فكأن قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي التف شجره. وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا المعنى؛ ذكره مكي والثعلبي وغيرهما. وكل ضيق حرج. قال الجوهري: مكان حرج وحرج أي ضيق كثير الشجر لا تصل إليه الراعية. وقرئ "يجعل صدره ضيقا حرجا" و "حرجا". وهو بمنزلة الوحد والوحد والفرد والفرد والدنف والدنف؛ في معنى واحد، وحكاه غيره عن الفراء. وقد حرج صدره يحرج حرجا. والحرج الإثم. والحرج أيضا: الناقة الضامرة. ويقال:

الطويلة على وجه الأرض؛ عن أبي زيد، فهو لفظ مشترك. والحرج: خشب يشد بعضه إلى بعض يحمل فيه الموتى؛ عن الأصمعي. وهو قول امرئ القيس:

فإما تريني في رحالة جابر		على حرج كالقر تخفق أكفاني

وربما وضع فوق نعش النساء؛ قال عنترة يصف ظليما:

يتبعن قلة رأسه وكأنه		حرج على نعش لهن مخيم

وقال الزجاج: الحرج: أضيق الضيق. فإذا قيل. فلان حرج الصدر، فالمعنى ذو حرج في صدره. فإذا قيل: حرج فهو فاعل. قال النحاس: حرج اسم الفاعل، وحرج مصدر وصف به؛ كما يقال: رجل عدل ورضا. قرأه ابن كثير بإسكان الصاد مخففا، من الصعود هو الطلوع. شبه الله الكافر في نفوره من الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه؛ كما أن صعود السماء لا يطاق. وكذلك يصاعد وأصله يتصاعد، أدغمت التاء في الصاد، وهي قراءة أبي، بكر والنخعي؛ إلا أن فيه معنى فعل شيء بعد شيء، وذلك أثقل على فاعله. وقرأ الباقون بالتشديد من غير ألف، وهو كالذي قبله. معناه يتكلف ما لا يطيق شيئا بعد شيء؛ كقولك: يتجرع ويتفوق. وروي عن عبدالله بن مسعود أنه قرأ "كأنما يتصعد". قال النحاس: ومعنى هذه القراءة وقراءة من قرأ يصعد ويصاعد واحد. والمعنى فيهما أن الكافر من ضيق صدره كأنه يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك؛ فكأنه يستدعي ذلك. وقيل: المعنى كاد قلبه يصعد إلى السماء نَبْواً عن الإسلام. عليهم؛ كجعله ضيق الصدر في أجسادهم. وأصل الرجس في اللغة النتن. قال ابن زيد: هو العذاب. وقال ابن

عباس: الرجس هو الشيطان؛ أي يسلطه عليهم. وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه. وكذلك الرجس عند أهل اللغة هو النتن. فمعنى الآية والله أعلم: ويجعل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة »{[1]}.

قال في تفسير القرطبي. "فالشرح: الكشف؛ تقول: شرحت الغامض"؛ ونظير هذه الآية من السنة قوله عليه السلام: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) أخرجه الصحيحان. ولا يكون ذلك إلا بشرح الصدر وتنويره. والدين العبادات؛ كما قال: "إن الدين عند الله الإسلام" [آل عمران: ١٩]. "ودليل خطابه أن من لم يرد الله به خيرا ضيق صدره، وأبعد فهمه فلم يفقهه".

وقال في لسان العرب: صدر: الصَّدْر: أَعلى مقدَّم كل شيء وأَوَّله، حتى إِنهم ليقولون: صَدْر النهار والليل، و صَدْر الشتاء والصيف وما أَشبه ذلك. ولا يكون كشف الغامض والفقه في الدين إلا من العقل".

فشرح صدره أي سهل ويسر له الفهم والفقه ووفقه فيه ليتقبله برضى وقناعة وطمأنينة. وهذا الذي ما يخفيه في عقله وكلمة صدره هي كناية عن عقله. والشرع استعمل كلمة الصدر وقصد بها العقل (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر) {أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين}{[1]} أيضاً راجع تفسير آية (٧) من سورة البقرة{[2]}.

---

[1] – تفسير القرطبي

[2] – راجع معنى الصدر من الكتاب المبحث اللغوي.

[3]– – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

وأيضا الصدر عند الإنسان هو القفص الصدري يحفظ أعضائه مثل الرئتين والقلب من الحوادث وهو مكان آمن لحفظ هذه الأعضاء الحيوية.

ولذلك استعمل الشرع كلمة الصدر كناية عن العقل ليدلل على حرص الإنسان من عدم وصول المفاهيم عن الأشياء المخبئة فيه والعقل مكان حديث النفس و يخفي ويحفظ فيه الإنسان المعلومات من أسرار وعقيدة وغير ذلك من أحكام على الوقائع ولا يطلع على ما يخفي في عقله إلا الله سبحانه وتعالى. فيكون معنى صدره: عقله وهو المعنى الشرعي.

٢. قال الله سبحانه وتعالى :

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ سورة الزمر

« شرح فتح ووسع. "قال ابن عباس: وسع صدره للإسلام حتى ثبت فيه". وقال السدي: وسع صدره بالإسلام للفرح به والطمأنينة إليه؛ فعلى هذا لا يجوز أن يكون هذا الشرح إلا بعد الإسلام؛ وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام.

والمراد بمن شرح الله صدره ها هنا فيما ذكر المفسرون علي وحمزة رضي الله عنهما. وحكى النقاش أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال مقاتل: عمار بن ياسر. وعنه أيضا والكلبي رسول الله ﷺ. والآية عامة فيمن شرح الله صدوره بخلق الإيمان فيه." وروى مرة عن ابن مسعود

قال: قلنا يا رسول الله قوله تعالى: "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه" كيف انشرح صدره؟ قال: (إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح) قلنا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟. قال: (الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله) وخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول "من حديث ابن عمر: أن رجلا قال يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: (أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع) قالوا: فما آية ذلك يا نبي الله؟ قال: (الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت) فذكر ﷺ خصالا ثلاثة، ولا شك أن من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الإيمان، فإن الإنابة إنما هي أعمال البر؛ لأن دار الخلود إنما وضعت جزاء لأعمال البر"، ألا ترى كيف ذكره الله في مواضع في تنزيله ثم قال بعقب ذلك: "جزاء بما كانوا يعملون" [الواقعة: ٢٤] فالجنة جزاء الأعمال؛ فإذا انكمش العبد في أعمال البر فهو إنابته إلى دار الخلود، وإذا خمد حرصه عن الدنيا، ولها عن طلبها، وأقبل على ما يغنيه منها فاكتفى به وقنع، فقد تجافي عن دار الغرور. وإذا أحكم أموره بالتقوى فكان ناظرا في كل أمر، واقفا متأدبا متثبتا حذرا يتورع عما يريبه إلى ما لا يريبه، فقد استعد للموت. فهذه علامتهم في الظاهر. وإنما صار هكذا لرؤية الموت، ورؤية صرف الآخرة عن الدنيا، ورؤية الدنيا أنها دار الغرور، وإنما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي ولج القلب. أي على هدى من ربه. قيل: المراد أبو لهب وولده؛ ومعنى: "من ذكر الله" أن قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره. وقيل: إن "من" بمعنى عن، والمعنى

قست عن قبول ذكر الله. وهذا اختيار الطبري. وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله تعالى اطلبوا الحوائج من السمحاء فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي). وقال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم. قال المبرد: يقال قسا القلب إذا صلب، وكذلك عتا وعسا مقاربة لها. وقلب قاس أي صلب لا يرق ولا يلين {[1]}.

« قال ابن عباس: وسع صدره للإسلام حتى ثبت فيه". "وروى مرة عن ابن مسعود قال: قلنا يا رسول الله قوله تعالى: "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه" كيف انشرح صدره؟ قال: (إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح) قلنا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟. قال: (الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله) وخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول". (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر) »{[2]}

فالتثبيت على الإسلام والنور الذي يدخل القلب هو العلم والعقيدة وهذا من اختصاص العقل فالعقل هو الذي يعتقد ويفقه الأحكام الشرعية ويعتبر من القصص. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمت القلب هو العقل. فشرح صدره أي سهل ويسر له الفهم والفقه ووفقه فيه ليتقبله برضى

[1] – تفسير القرطبي .

[2] – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

وقناعة وطمأنينة. وهذا الذي ما يخفيه في عقله وكلمة صدره هي كناية عن عقله. فيكون معنى صدره: عقله وهو المعنى الشرعي.

٣. قال الله سبحانه وتعالى :

هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ سورة آل عمران

« يعني المنافقين؛ دليله قوله "وإذا لقوكم قالوا آمنا" ؛ قاله أبو العالية ومقاتل. والمحبة هنا بمعنى المصافاة، أي أنتم أيها المسلمون تصافونهم ولا يصافونكم لنفاقهم. وقيل: المعنى تريدون لهم الإسلام وهم يريدون لكم الكفر". وقيل: المراد اليهود؛ قاله الأكثر. والكتاب اسم جنس؛ قال ابن عباس: يعني بالكتب. واليهود يؤمنون بالبعض؛ كما قال تعالى: "وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه" [البقرة: ٩١]. أي بـ محمد ﷺ، وأنه رسول الله ﷺ. فيما بينهم يعني أطراف الأصابع والحنق عليكم؛ فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى هؤلاء ظهروا وكثروا. والعض عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه؛ ومنه قول أبي طالب:

يعضون غيظا خلفنا بالأنامل

وقال آخر:

إذا رأوني – أطال الله غيظهم	عضوا من الغيظ أطراف الأباهيم

يقال: عض يعض عضا وعضيضا. والعض (بضم العين): علف دواب أهل الأمصار مثل الكسب والنوى المرضوخ؛ يقال منه: أعض القوم، إذا أكلت إبلهم العض. وبعير عضاضي، أي سمين كأنه منسوب إليه. والعض (بالكسر): الداهي من الرجال والبليغ المكر. وعض الأنامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه، أو نزل به ما لا يقدر على تغييره. وهذا العض هو بالأسنان كعض اليد على فائت قريب الفوات. وكقرع السن النادمة، إلى غير ذلك من عد الحصى والخط في الأرض للمهموم. ويكتب هذا العض بالضاد الساقطة، وعظ الزمان بالظاء الساقطة؛ كما قال:

وعظ زمان يا ابن مروان لم يدع		من المال إلا مسحتا أو مجلف

وواحد الأنامل أنملة (بضم الميم) ويقال بفتحها، والضم أشهر. وكان أبو الجوزاء إذا تلا هذه الآية قال: هم الأباضية. قال ابن عطية: وهذه الصفة قد تترتب في كثير من أهل البدع إلى يوم القيامة. إن قيل: كيف لم يموتوا والله تعالى إذا قال لشيء: كن فيكون. قيل عنه جوابان: أحدهما: "قال فيه الطبري وكثير من المفسرين: هو دعاء عليهم. أي قل يا محمد أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا. فعلى هذا يتجه أن يدعو عليهم بهذا مواجهة وغير مواجهة بخلاف اللعنة. الثاني: إن المعنى أخبرهم أنهم لا يدركون ما يؤملون، فإن الموت دون ذلك. فعلى هذا المعنى زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع والإغاظة". ويجري هذا المعنى مع قول مسافر بن أبي عمرو:

ويتمنى في أرومتنا		ونفقا عين من حسدا

وينظر إلى هذا المعنى قوله تعالى: "من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع" [الحج: ١٥] "{[١]}.

"يعني المنافقين؛ دليله قوله "وإذا لقوكم قالوا آمنا" ؛ قاله أبو العالية ومقاتل. والمحبة هنا بمعنى المصافاة، أي أنتم أيها المسلمون تصافونهم ولا يصافونكم لنفاقهم. وقيل: المعنى تريدون لهم الإسلام وهم يريدون لكم الكفر". قيل عنه جوابان: أحدهما: "قال فيه الطبري وكثير من المفسرين: هو دعاء عليهم. أي قل يا محمد أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا. فعلى هذا يتجه أن يدعو عليهم بهذا مواجهة وغير مواجهة بخلاف اللعنة. الثاني: إن المعنى أخبرهم أنهم لا يدركون ما يؤملون، فإن الموت دون ذلك. فعلى هذا المعنى زال معنى الدعاء وبقي معنى التقريع والإغاظة ».

فالمحبة لا تكون إلا من المفاهيم الموجودة عند المسلمين فالمعنى أخبرهم أنهم لا يدركون ما يؤملون، وهذا أيضاً لا يوجد إلا من الأفكار التي يحملونها. أي أن الله سبحانه وتعالى عليم بما في عقولكم من هذه المفاهيم والأفكار، من غيظ من المسلمين وهذا ما تحدثون به أنفسكم وتخفونه عن المسلمين. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل {أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين}" (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر){[٢]}. فيكون معنى: العقول وهو المعنى الشرعي و هي كناية عن العقول وهذا ما يخفيه الإنسان من الأحكام على والوقائع في عقله فاستعمل الشرع كلمة الصدر بدل العقل لأن الصدر

---

[١] – تفسير القرطبي .

[٢] – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

يخفي ما بداخله من قلب ورئتين فيستره ويخفيه عن الغير وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدر.

٤. قال الله سبحانه وتعالى :

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

سورة آل عمران

« الأمنة والأمن سواء. وقيل: الأمنة إنما تكون مع أسباب الخوف، والأمن مع عدمه. وهي منصوبة بـ"أنزل"، و"نعاسا" بدل منها. وقيل: نصب على المفعول له؛ كأنه قال: أنزل عليكم للأمنة نعاسا. وقرأ ابن محيصن "أمنة" بسكون الميم. تفضل الله تعالى على المؤمنين بعد هذه الغموم في يوم أحد بالنعاس حتى نام أكثرهم؛ وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام. روى البخاري عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه. قرئ بالياء والتاء. الياء للنعاس،. والتاء للأمنة والطائفة تطلق على الواحد والجماعة. يعني المنافقين: معتب بن قشير وأصحابه، وكانوا خرجوا طمعا في الغنيمة وخوف المؤمنين فلم يغشهم

النعاس وجعلوا يتأسفون على الحضور، ويقولون الأقاويل. ومعنى "قد أهمتهم أنفسهم" حملتهم على الهم، والهم ما هممت به؛ يقال: أهمني الشيء أي كان من همي. وأمر مهم: شديد. وأهمني الأمر: أقلقني: وهمني: أذابني. والواو في قوله "وطائفة" واو الحال بمعنى إذ، أي إذ طائفة يظنون أن أمر محمد ﷺ باطل، وأنه لا ينصر. أي ظن أهل الجاهلية، فحذف. لفظه استفهام ومعناه الجحد، أي ما لنا شيء من الأمر، أي من أمر الخروج، وإنما خرجنا كرها؛ يدل عليه قوله تعالى إخبارا عنهم: "لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا". قال الزبير: أرسل علينا النوم ذلك اليوم، وإني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا. وقيل: المعنى يقول ليس لنا من الظفر الذي وعدنا به محمد شيء. والله أعلم. قرأ أبو عمرو ويعقوب "كله" بالرفع على الابتداء، وخبره "لله"، والجملة خبر "إن". وهو كقوله: "ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة" [الزمر: ٦٠]. والباقون بالنصب؛ كما تقول: إن الأمر أجمع لله. فهو توكيد، وهو بمعنى أجمع في الإحاطة والعموم، وأجمع لا يكون إلا توكيدا. وقيل: نعت للأمر. وقال الأخفش: بدل؛ أي النصر بيد الله ينصر من يشاء ويخذل من يشاء. وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله "يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية" يعني التكذيب بالقدر. وذلك أنهم تكلموا فيه، فقال الله تعالى: "قل إن الأمر كله لله" يعني القدر خيره وشره من الله. "أي من الشرك والكفر والتكذيب. يظهرون لك. أي ما قتل عشائرنا. فقيل: إن المنافقين قالوا لو كان لنا عقل ما خرجنا إلى قتال أهل مكة، ولما قتل رؤساؤنا".

فرد الله عليهم فقال أي لخرج. أي فرض. يعني في اللوح المحفوظ. أي مصارعهم. وقيل: "كتب عليهم القتل" أي فرض عليهم القتال، فعبر عنه بالقتل؛ لأنه قد يؤول إليه. وقرأ أبو حيوة "لبرز" بضم الباء وشد الراء؛ بمعنى يجعل يخرج." وقيل: لو تخلفتم أيها المنافقون لبرزتم إلى موطن آخر غيره تصرعون فيه حتى يبتلي الله ما في عقولكم ويظهره للمؤمنين ". والواو في قوله مقحمة كقوله: "وليكون من الموقنين" [الأنعام: ٧٥] أي ليكون، وحذف الفعل الذي مع لام كي. والتقدير "وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم" فرض الله عليكم القتال والحرب ولم ينصركم يوم أحد ليختبر صبركم وليمحص عنكم سيئاتكم إن تبتم وأخلصتم. وقيل: معنى "ليبتلي" ليعاملكم معاملة المختبر. وقيل: ليقع منكم مشاهدة ما علمه غيبا. وقيل: هو على حذف مضاف، والتقدير ليبتلي أولياء الله تعالى. وقد تقّدم معنى التمحيص. أي ما فيها من خير وشر. وقيل: ذات هي؛ لأن ذات الشيء نفسه »{[1]}.

"أي من الشرك والكفر والتكذيب. يظهرون لك. أي ما قتل عشائرنا. فقيل: إن المنافقين قالوا لو كان لنا عقل ما خرجنا إلى قتال أهل مكة، ولما قتل رؤساؤنا". "وقيل: لو تخلفتم أيها المنافقون لبرزتم إلى موطن آخر غيره تصرعون فيه حتى يبتلي الله ما في عقولكم ويظهره للمؤمنين". فالكفر والشرك والتكذيب، وإظهار ما في صدورهم للمؤمنين. أي إظهار ما في عقولهم من كفر وشرك وتكذيب، وإظهار ما لديهم من

---

[1] – تفسير القرطبي .

أفكار ومفاهيم. وهذا لا يكون إلا من الأفكار والمفاهيم الموجودة عندهم عن المسلمين. فاستعمل الشرع كلمة الصدر وقصد بها العقل {أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين}" (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)[1]{} والصدر يخفي القلب والرئتين وغيرهما من أجهزة لذلك استعمل الشرع كلمة الصدر كناية لما يخفي ويستر. فيكون معنى: العقول وهو المعنى الشرعي وهي كناية عن العقول وهذا ما يخفيه الإنسان من الأحكام على والوقائع. فأطلق كلمة وقصد بها العقول.

٥. قال الله سبحانه وتعالى :

وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ سورة المائدة

« قيل: هو الميثاق الذي في قوله عز وجل: "وإذ أخذ ربك من بني آدم" [الأعراف: ١٧٢]؛ قال مجاهد وغيره. ونحن وإن لم نذكره فقد أخبرنا الصادق به، فيجوز أن نؤمر بالوفاء به. وقيل: هو خطاب لليهود بحفظ ما أخذ عليهم في التوراة؛ والذي عليه الجمهور من المفسرين كابن عباس والسدي هو العهد والميثاق الذي جرى لهم مع النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره إذ قالوا: سمعنا وأطعنا، كما جرى ليلة العقبة وتحت الشجرة، وأضافه تعالى إلى نفسه كما قال: "إنما يبايعون الله" [الفتح: ١٠] فبايعوا رسول الله ﷺ عند العقبة على أن يمنعوه مما

---

[1]- راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يرحل إليهم هو وأصحابه، وكان أول من بايعه البراء بن معرور، وكان له في تلك الليلة المقام المحمود في التوثق لرسول الله ﷺ، والشد لعقد أمره، وهو القائل: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر. الخبر المشهور في سيرة ابن إسحق. ويأتي ذكر بيعة الرضوان في موضعها. وقد اتصل هذا بقوله تعالى: "أوفوا بالعقود" [المائدة: ١] فوفوا بما قالوا؛ جزاهم الله تعالى عنهم وعن الإسلام خيرا، ورضي الله عنهم وأرضاهم. أي في مخالفته أنه عالم بكل شيء »{[١]}.

إن الله سبحانه وتعالى عليم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل، وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع، أو بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة، فالله سبحانه وتعالى يعلمه، ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد مع نفسه وهو من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[٢]}. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والصدور هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

---

[١] – تفسير القرطبي .

٢ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

٦. قال الله سبحانه وتعالى :

إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾

سورة الأنفال

« قال مجاهد: رآهم النبي ﷺ في منامه قليلا، فقص ذلك على أصحابه، فثبتهم الله بذلك. وقيل: عني بالمنام محل النوم وهو العين، أي في موضع منامك، فحذف، عن الحسن. قال الزجاج: وهذا مذهب حسن، ولكن الأولى أسوغ في العربية، لأنه قد جاء "وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم" فدل بهذا على أن هذه رؤية الالتقاء، وأن تلك رؤية النوم. ومعنى لجبنتم عن الحرب. اختلفتم. أي سلمكم من المخالفة. ابن عباس: من الفشل. ويحتمل منهما. وقيل: سلم أي أتم أمر المسلمين بالظفر »{[١]}.

إن الله سبحانه وتعالى عليم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل، وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع، أو بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة، فالله سبحانه وتعالى يعلمه، ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[١]}.

---

[١]– تفسير القرطبي .

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

٧. قال الله سبحانه وتعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ سورة يونس

« يعني قريشا أي وعظ. يعني القرآن، فيه مواعظ وحكم. أي من الشك والنفاق والخلاف، والشقاق. أي ورشدا لمن اتبعه. أي نعمة. خصهم لأنهم المنتفعون بالإيمان؛ والكل صفات القرآن، والعطف لتأكيد المدح. قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام		وليث الكتيبة في المزدحم

{[١]}»

إن الله سبحانه وتعالى خاطب قريش فقال لهم أي جاءتكم موعظة وحكم وهدى وهذا يصحح ما عندكم من أفكار من شرك ونفاق وخلاف. فهو الشفاء لكم من هذه الأفكار وهو الإسلام، ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب

[٢] – تفسير القرطبي .

قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[١]}. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمت الصدور.

٨. قال الله سبحانه وتعالى :

أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ سورة هود

« أخبر عن معاداة المشركين للنبي ﷺ والمؤمنين، ويظنون أنه تخفي على الله أحوالهم. "يثنون صدورهم" أي يطوونها على عداوة المسلمين ففيه هذا الحذف، قال ابن عباس: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة، ويظهرون خلافه. نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلا حلو الكلام حلو المنطق، يلقى رسول الله ﷺ بما يجب، وينطوي له بقلبه على ما يسوء. وقال مجاهد: "يثنون صدورهم" شكا وامتراء. وقال الحسن: يثنونها على ما فيها من الكفر. وقيل: نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مر بالنبي ﷺ ثنى صدره وظهره، وطأطأ رأسه وغطى وجهه، لكيلا يراه النبي ﷺ فيدعوه إلى الإيمان؛ حكي معناه عن عبدالله بن شداد فالهاء في "منه" تعود على النبي ﷺ. وقيل: قال المنافقون إذا غلقنا أبوابنا، واستغشينا ثيابنا، وثنينا صدورنا على عداوة محمد فمن يعلم بنا؟ فنزلت الآية. وقيل: إن قوما من المسلمين كانوا يتنسكون بستر أبدانهم ولا

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

يكشفونها تحت السماء، فبين الله تعالى أن التنسك ما اشتملت عليه قلوبهم من معتقد، وأظهروه من قول وعمل. وروى ابن جرير عن محمد ابن عباد بن جعفر قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "ألا أنهم تثنوي صدورهم ليستخفوا منه" قال: كانوا لا يجامعون النساء، ولا يأتون الغائط وهم يفضون إلى السماء، فنزلت هذه الآية. وروى غير محمد بن عباد عن ابن عباس: "ألا إنهم تثنوي صدورهم" بغير نون بعد الواو، في وزن تنطوي؛ ومعنى "تثنوي" والقراءتين الأخريين متقارب؛ لأنها لا تثنوي حتى يثنوها. وقيل: كان بعضهم ينحني على بعض يساره فى الطعن على المسلمين، وبلغ من جهلهم أن توهموا أن ذلك يخفي على الله تعالى: "ليستخفوا" أي ليتواروا عنه؛ أي عن محمد أو عن الله. أي يغطون رءوسهم بثيابهم. قال قتادة: أخفى ما يكون العبد إذا حنى ظهره، واستغشى ثوبه، وأضمر في نفسه همه »{[1]}.

إن الله سبحانه وتعالى عليم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل، وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع من بغض وشحناء وعداوة، أو بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة ، فالله سبحانه وتعالى يعلمه، ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أو مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر) »{[1]}.

---

[1] – تفسير القرطبي .

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

٩. قال الله سبحانه وتعالى :

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ سورة الحج

« يعني كفار مكة فيشاهدوا هذه القرى فيتعظوا، ويحذروا عقاب الله أن ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم. أضاف العقل إلى القلب لأنه محله كما أن السمع محله الأذن. {وقد قيل: إن العقل محله الدماغ}؛ وروي عن أبي حنيفة؛ وما أراها عنه صحيحة. قال الفراء: الهاء عماد، ويجوز أن يقال فإنه، وهي قراءة عبد الله بن مسعود، والمعنى واحد، التذكير على الخبر، والتأنيث على الأبصار أو القصة؛ أي فإن الأبصار لا تعمى، أو فإن القصة. "لا تعمى الأبصار" أي أبصار العيون ثابتة لهم. أي عن درك الحق والاعتبار. وقال قتادة: البصر الناظر جعل بلغة ومنفعة، والبصر النافع في القلب. وقال مجاهد: لكل عين أربع أعين؛ يعني لكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته؛ فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه فلم يضره عماه شيئا، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئا. وقال قتادة وابن جبير: نزلت

هذه الآية في ابن أم مكتوم الأعمى. قال ابن عباس ومقاتل: (لما نزل "ومن كان في هذه أعمى" [الإسراء: ٧٢] قال ابن أم مكتوم: يا رسول الله، فأنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلت "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور". أي من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام فهو في الآخرة في النار) »{[١]}.

أخبر سبحانه وتعالى أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهذا من تفسير القرطبي فقال في تفسيره "أضاف العقل إلى القلب لأنه محله كما أن السمع محله الأذن. وقد قيل: إن العقل محله الدماغ؛ وروي عن أبي حنيفة؛ " فإذا أضاف العقل إلى القلب وقال إن القلب هو العقل فيكون المعنى في هذه الآية أن العقل يتعامى عن الحق فعبر عنه العقل وقال عنه أنه في الداخل لأنه مخفي عن الأنظار من حديث النفس، وقلنا إن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل . فيكون معنى صدور: أي ما خفي في داخل الإنسان من أفكار ومفاهيم (فكنى بالصدر عن الداخل وما هو مخفي عند الإنسان من أفكار ومفاهيم.) تحدث به مع أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس {أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين}" (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر) {١}

---

[١] – تفسير القرطبي

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور: العقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول.

١٠. قال الله سبحانه وتعالى :

وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ سورة لقمان

« أي نجازيهم بما عملوا. علم أنه لو ردكم إلى الدنيا لم تعملوا صالحا، كما قال "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه" [الأنعام: ٢٨]. و"عالم" إذا كان بغير تنوين صلح أن يكون للماضي والمستقبل، وإذا كان منونا لم يجز أن يكون للماضي »{[١]}.

إن الله سبحانه وتعالى عليم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل، وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع، أو بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة ، فالله سبحانه وتعالى يعلمه ، ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدث به مع أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[٢]}. وقلنا إن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

---

[٢] – تفسير القرطبي .

٣ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

١١. قال الله سبحانه وتعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

سورة فاطر

« تقدم معناه في غير موضع. والمعنى: علم أنه لو ردكم إلى الدنيا لم تعملوا صالحا، كما قال "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه" [الأنعام: ٢٨]. و"عالم" إذا كان بغير تنوين صلح أن يكون للماضي والمستقبل، وإذا كان منونا لم يجز أن يكون للماضي »{[١]}.

إن الله سبحانه وتعالى عليم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل ، وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع ، أو بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة ، فالله سبحانه وتعالى يعلمه ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدث به مع أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[٢]}. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

---

[٢] – تفسير القرطبي .

٣ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

١٢. قال الله سبحانه وتعالى :

إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ سورة الزمر

« إن تكفروا فإن الله غني عنكم" شرط وجوابه. "ولا يرضى لعباده الكفر" أي إن يكفروا أي لا يحب ذلك منهم. وقال ابن عباس والسدي: معناه لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله فيهم: "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" [الإسراء: ٦٥]. وكقوله: "عينا يشرب بها عباد الله" [الإنسان: ٦] أي المؤمنون. أي يرضى الشكر لكم؛ لأن "تشكروا" يدل عليه. وقد مضى القول في الشكر في [البقرة] وغيرها. ويرضى بمعنى يثيب ويثني، فالرضا على هذا إما ثوابه فيكون. "{[١]}

إن الله سبحانه وتعالى عليم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل ، وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع ، أو بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة ، فالله سبحانه وتعالى يعلمه ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[٢]}. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا

---

[١] – تفسير القرطبي .

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

قال الله سبحانه وتعالى :

يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ سورة غافر

« قال المؤرخ: فيه تقديم وتأخير أي يعلم الأعين الخائنة وقال ابن عباس: هو الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها. وعنه: هو الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، وقد علم الله عز وجل منه أنه يود لو نظر إلى عورتها. وقال مجاهد هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه. وقال قتادة: هي الهمزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله تعالى. وقال الضحاك: هي قول الإنسان ما رأيت وقد رأى أو رأيت وما رأى. وقال السدي: إنها الرمز بالعين." وقال سفيان: هي النظرة بعد النظرة. وقال الفراء: "خائنة الأعين" النظرة الثانية "وما تخفي "النظرة الأولى. وقال ابن عباس: "وما تخفي" أي هل يزني بها لو خلا بها أو لا. وقيل: "وما تخفي "تكنه وتضمره." ولما جيء بعبد الله ابن أبي سرح إلى رسول الله ﷺ، بعد ما اطمأن أهل مكة وطلب له الأمان عثمان رضي الله عنه، صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم قال: "نعم" فلما انصرف قال رسول الله ﷺ لمن حوله: (ما صمت إلا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه) فقال رجل من

الأنصار فهلا أومأت إلي يا رسول الله، فقال: (إن النبي لا تكون له خائنة أعين) ».{[1]}

وأما قوله تعالى { وما تخفي } أي تكنه وتستره وتخفيه ، وهذا من أعمال العقل فهو الذي يخفي الأفكار ويظهرها لذلك فإن الله سبحانه وتعالى عليم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل ، تحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس {أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين}" (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر) {٢}. وقلنا بأن القلب هو العقل. وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع، أو بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة ، فالله سبحانه وتعالى يعلمه ، ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد مع نفسه وهو من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[3]}. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

---

[1] – تفسير لقرطبي .

٢ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

١٣. قال الله سبحانه وتعالى :

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

سورة الشورى

« الميم صلة، والتقدير أيقولون افترى. واتصل الكلام بما قبل؛ لأن الله تعالى لما قال: "وقل ءامنت بما أنزل الله من كتاب" [الشورى: ١٥]، وقال: "الله الذي أنزل الكتاب بالحق" [الشورى: ١٧] قال إتماما للبيان: "أم يقولون افترى على الله كذبا" يعني كفار قريش قالوا: إن محمدا اختلق الكذب على الله. شرط وجوابه قال قتادة: يطبع على قلبك فينسيك القرآن؛ فأخبرهم الله أنه لو افترى عليه لفعل بـ محمد ما أخبرهم به في هذه الآية. وقال مجاهد ومقاتل: "إن يشأ الله" يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم. وقيل: المعنى إن يشأ يزل تمييزك. وقيل: المعنى لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لطبع على قلبك؛ قال ابن عيسى. وقيل: فإن يشأ الله يختم على قلوب الكفار وعلى ألسنتهم وعاجلهم بالعقاب. فالخطاب له والمراد الكفار؛ ذكره القشيري. ثم ابتدأ فقال: قال ابن الأنباري: "يختم على قلبك" تام. وقال الكسائي: فيه تقديم وتأخير؛ مجازه: والله يمحو الباطل؛ فحذف منه الواو في المصحف، وهو في موضع رفع. كما حذفت من قوله: "سندع الزبانية"، [العلق: ١٨]، "ويدع الإنسان" [الإسراء: ١١] ولأنه عطف على قوله: "يختم على قلبك". وقال الزجاج: قول: "أم يقولون افترى على الله كذبا" تمام؛ وقوله: "ويمح الله الباطل" احتجاج على من أنكر ما أتى به النبي صلى

الله عليه وسلم؛ أي لو كان ما أتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في المفترين. أي الإسلام فيثبته أي بما أنزل من القرآن. "إنه عليم بذات" عام، أي بما في قلوب العباد". وقيل خاص. والمعنى أنك لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لعلمه وطبع على قلبك »{[1]}.

إن الله سبحانه وتعالى عليم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل "إنه عليم بذات" عام، أي بما في قلوب العباد". وقيل خاص. والمعنى أنك لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لعلمه وطبع على قلبك. وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع، أو بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة، فالله سبحانه وتعالى يعلمه، ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن تحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس {أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} "(القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر){٢}. أنظر قول القرطبي في تفسير الآية "إنه عليم بذات " عام، أي بما في قلوب العباد". وقيل خاص. والمعنى أنك لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لعلمه وطبع على قلبك" وهذا القول من القرطبي ليدلل على أن معنى الصدر هنا القلب على قول القرطبي . ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد

---

[1] – تفسير لقرطبي .

٢ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

والصدر)"{[1]}. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

١٤. قال الله سبحانه وتعالى :

يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ سورة الحديد

« قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والذي في معنى قوله "تولج الليل في النهار" الآية، أي تدخل ما نقص من أحدهما في الآخر، حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة وهو أطول ما يكون، والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون. وهو قول الكلبي، وروي عن ابن مسعود. وتحتمل ألفاظ الآية أن يدخل فيها تعاقب الليل والنهار، كأن زوال أحدهما ولوج في الآخر. "أي لا تخفى عليه الضمائر"، ومن كان بهذه الصفة فلا يجوز أن يعبد من سواه »{[2]}.

إن الله سبحانه وتعالى عليم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل ، وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع ، أ و بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة ، فالله سبحانه وتعالى يعلمه " ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد أو

---

٣ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

[1] – تفسير لقرطبي .

مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[١]}. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

١٥. قال الله سبحانه وتعالى :

يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ سورة التغابن

« فهو عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء مما في صدوركم. »{[٢]}

إن الله سبحانه وتعالى يعلم ما تضمرونه في عقولكم وتخفونه عن الناس ويعلم بما لديكم من أحكام على الوقائع من قبل ، وهذا بمجرد إصداركم الحكم على الوقائع، أو بمجرد عرض الواقع في الذهن وحكمكم عليه لأول مرة، فالله سبحانه وتعالى يعلمه ، ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[٣]}.

---

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

٢ – تفسير لقرطبي .

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

١٦. قال الله سبحانه وتعالى :

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾

سورة الملك

« اللفظ لفظ الأمر والمراد به الخبر؛ يعني إن أخفيتم كلامكم في أمر محمد ﷺ أو جهرتم به "فإنه عليم بذات "يعني بما في القلوب من الخير والشر". ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلي الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام؛ فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد؛ فنزلت: "وأسروا قولكم أو أجهروا به". يعني: أسروا قولكم في أمر محمد صلي الله عليه وسلم. وقيل في سائر الأقوال. أو أجهروا به؛ أعلنوه. ذات ما فيها؛ كما يسمى ولد المرأة وهو جنين "ذا بطنها". ثم قال: يعني ألا يعلم السر من خلق السر. يقول أنا خلقت السر في القلب أفلا أكون عالما بما في قلوب العباد »{[١]}.

اللفظ لفظ الأمر والمراد به الخبر؛ يعني إن أخفيتم كلامكم في أمر محمد ﷺ أو جهرتم به "فإنه عليم بذات " يعني بما في القلوب من الخير والشر". إن الله سبحانه وتعالى يعلمه ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث

---

[١] – تفسير لقرطبي .

النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[1]}. وقلنا إن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

١٧. قال الله سبحانه وتعالى

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ سورة العاديات

« أي ميز ما فيها من خير وشر؛ كذا قال المفسرون: وقال ابن عباس: أبرز. وقرأ عبيد بن عمير وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم "وحصل" بفتح الحاء وتخفيف الصاد وفتحها؛ أي ظهر »{[2]}.

مكان تخزين المعلومات أي المفاهيم عن الأشياء والأفعال هو العقل وهذا من خصائصه، فالعقل هو الذي يحكم بالخير والشر. {وَحُصِّلَ مَا فِي الصدور} أي جمع ما في الصدور أي العقول. ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن يتحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس "{أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين} (القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر)"{[3]}.

---

٢ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

٣ – تفسير لقرطبي .

١ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة: العقول. وهذا ما تخفونه في عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة الصدور وقصد بها العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

١٨. قال الله سبحانه وتعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ سورة آل عمران

« السادسة: قوله تعالى: "وما تخفي صدورهم أكبر" إخبار وإعلام بأنهم يبطنون من البغضاء أكثر مما يظهرون بأفواههم. وقرأ عبد الله بن مسعود: "قد بدأ البغضاء" بتذكير الفعل؛ لما كانت البغضاء بمعنى البغض ».{[٢]}.

أخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم يخفون في صدورهم من البغضاء أكثر مما يظهرون من حب. والبغضاء والحب توجد من الأفكار والمفاهيم الموجودة عند الشخص. والحب والبغضاء هي أحكام على وقائع وهي من العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم. وهذا ما تخفونه في عقولكم من بغضاء وكره للمسلمين. وكلمة صدورهم هي كناية عن عقولهم. فأطلق كلمة صدورهم وقصد بها عقولهم وهو المعنى الشرعي.

---

[٢]– تفسير لقرطبي .

١٩. قال الله سبحانه وتعالى :

إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سورة النساء

« أي ضاقت. وقال لبيد:

أسهلت وانتصبت كجذع منيفة		جرداء يحصر دونها جرامها

أي تضيق صدورهم من طول هذه النخلة؛ ومنه الحصر في القول وهو ضيق الكلام على المتكلم. والحصر الكتوم للسر؛ قال جرير:

ولقد تسقطني الوشاة فصادفوا		حصرا بسرك يا أميم ضنينا

ومعنى "حصرت "قد حصرت فأضمرت قد؛ قال الفراء: وهو حال من المضمر المرفوع في "جاءوكم "كما تقول: جاء فلان ذهب عقله، أي قد ذهب عقله. وقيل: هو خبر بعد خبر قاله الزجاج. أي جاءوكم ثم أخبر فقال: "حصرت صدورهم "فعلى هذا يكون "حصرت "بدلا من "جاءوكم "كما قيل: "حصرت "في موضع خفض على النعت لقوم. وفي حرف أبي "إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق حصرت صدورهم "ليس فيه "أو جاءوكم". وقيل: تقديره أو جاءوكم رجالا أو قوما حصرت صدورهم؛ فهي صفة موصوف منصوب على الحال. وقرأ الحسن "أو جاءوكم حصرت صدورهم "نص على الحال، ويجوز رفعه على الابتداء والخبر.

وحكى "أو جاءوكم حصرت صدورهم"، ويجوز الرفع. وقال محمد بن يزيد: "حصرت صدورهم "هو دعاء عليهم؛ كما تقول: لعن الله الكافر؛ وقال المبرد. وضعفه بعض المفسرين وقال: هذا يقتضي ألا يقاتلوا قومهم؛ وذلك فاسد؛ لأنهم كفار وقومهم كفار. وأجيب بأن معناه صحيح، فيكون عدم القتال في حق المسلمين تعجيزا لهم، وفي حق قومهم تحقيرا لهم. وقيل: "أو "بمعنى الواو؛ كأنه يقول: إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق وجاءوكم ضيقة صدورهم عن قتالكم والقتال معكم فكرهوا قتال الفريقين. ويحتمل أن يكونوا معاهدين على ذلك فهو نوع من العهد، أو قالوا نسلم ولا نقاتل؛ فيحتمل أن يقبل ذلك منهم في أول الإسلام حتى يفتح الله قلوبهم للتقوى ويشرحها للإسلام. والأول أظهر. والله أعلم. "أو يقاتلوا "في موضع نصب؛ أي عن أن يقاتلوكم »{[1]}.

أي ضاقت ومعنى "حصرت " قد حصرت فأضمرت، والإضمار هو إخفاء بعض المعلومات أو المفاهيم عن الغير أخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم ضاقت وحصرت عقولهم بالتميز بأن يقاتلوكم أو أن يقاتلوا قومهم لذلك هم في حيرة من أمرهم. وهذا يكون من الحكم على الوقع. لهذا يكون معنى صدورهم : عقولهم. وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم. وهذا ما ضاقت به عقولهم. وكلمة صدورهم هي كناية عن عقولهم. فأطلق كلمة صدورهم وقصد بها عقولهم ، ويعلم ما سوف

[1] – تفسير لقرطبي .

تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن تحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم.

٢٠. قال الله سبحانه وتعالى :

وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ سورة الأعراف

« ذكر الله عز وجل فيما ينعم به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم. والنزع: الاستخراج. والغل: الحقد الكامن في الصدر. والجمع غلال. "أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا". قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الغل على باب الجنة كمبارك الإبل قد نزعه الله من قلوب المؤمنين). وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم: "ونزعنا ما في صدورهم من غل". وقيل: نزع الغل في الجنة ألا يحسد بعضهم بعضا في تفاضل منازلهم. وقد قيل: إن ذلك يكون عن شراب الجنة، ولهذا قال: "وسقاهم ربهم شرابا طهورا" [الإنسان: ٢١] أي يطهر الأوضار من؛ على ما يأتي بيانه في سورة "الإنسان" و"الزمر" إن شاء الله تعالى »{[١]}.

[١] – تفسير لقرطبي .

إن الله سبحانه وتعالى نزع ما في قلوبهم من حقد وغل. "أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا". والغل هو الحقد والحسد وهذا من أعمال العقل وهو مضمر لديهم لم يحدثوا به أحد، فالله سبحانه وتعالى ينزعه من عقول المؤمنين في الجنة. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم. وهذا ما نزع من عقولهم عقولكم والكلمة هي كناية عن عقول. فأطلق كلمة صدورهم وقصد بها عقولهم.

٢١. قال الله سبحانه وتعالى :

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ سورة هود

« أي فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه. وقيل: إنهم لما قالوا: "لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك" "هم أن يدع سب آلهتهم فنزلت هذه الآية؛ فالكلام معناه الاستفهام؛ أي هل أنت تارك ما فيه سب آلهتهم كما سألوك"؟ وتأكد عليه الأمر في الإبلاغ؛ كقوله: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك" [المائدة: ٦٧]. وقيل: معنى الكلام النفي مع استبعاد؛ أي لا يكون منك ذلك، بل تبلغهم كل ما أنزل إليك؛ وذلك أن مشركي مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا لاتبعناك، فهم النبي ﷺ أن يدع سب آلهتهم؛ فنزلت. عطف على "تارك" و "صدرك" مرفوع به،

والهاء في "به" تعود على "ما" أو على بعض، أو على التبليغ، أو التكذيب". وقال: "ضائق" ولم يقل ضيق ليشاكل "تارك" الذي قبله؛ ولأن الضائق عارض، والضيق ألزم منه. في موضع نصب؛ أي كراهية أن يقولوا"، أو لئلا يقولوا كقوله: "يبين الله لكم أن تضلوا" [النساء: ١٧٦] أي لئلا تضلوا. أو لأن يقولوا. أي هلا يصدقه؛ قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي؛ فقال الله تعالى: يا محمد إنما عليك أن تنذرهم، لا بأن تأتيهم بما يقترحونه من الآيات. أي حافظ وشهيد »{[١]}.

{أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب. والمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل قال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) سورة الحجر انظر تفسير. آية ٩٧ سورة الحجر} إن الله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه ما جال في خاطرك من ترك سب آلهتهم وهذا من تفسير الآية انظر التفسير في قولهم" "هم أن يدع سب آلهتهم فنزلت هذه الآية؛ فالكلام معناه الاستفهام؛ أي هل أنت تارك ما فيه سب آلهتهم كما سألوك"؟ وهذا مجرد خاطر من تحديث النفس ولا أحد يطلع عليه غير صاحبه والله سبحانه وتعالى. وأما قوله {وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} وهو من الضيق الذي يصيب الإنسان لتعرضه لشيء يكون فيه بحيرة من أمره فيكون في حال تفكير ولذلك قال في تفسير القرطبي". وقال: "ضائق" ولم يقل ضيق ليشاكل "تارك" الذي قبله؛ ولأن الضائق عارض، والضيق ألزم منه. في موضع نصب؛ أي كراهية أن يقولوا"، فيكون معنى صدرك هنا

---

[١] – تفسير لقرطبي .

عقلك وهو المعنى الشرعي لكلمة صدرك وكلمة صدرك هي كناية عن عقلك. فأطلق كلمة صدرك وقصد بها عقلك، ويعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن تحدثوا به أحد أو مع نفسه وهذا من حديث النفس وهو المعنى الشرعي لكلمة صدرك.

٢٢. قال الله سبحانه وتعالى :

وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾

سورة الحجر

« قال ابن عباس: أول ما يدخل أهل الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجههم، وتجري عليهم نضرة النعيم؛ ونحوه عن علي رضي الله عنه. وقال علي بن الحسين: نزلت في أبي بكر وعمر وعلي والصحابة، يعني ما كان بينهم في الجاهلية من الغل. والقول الأول أظهر، يدل عليه سياق الآية. وقال علي رضي الله عنه: (أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من هؤلاء). والغل: الحقد والعداوة؛ يقال منه: غل يغل. ويقال من الغلول وهو السرقة من المغنم: غل يغل: ويقال من الخيانة: أغل يغل. كما قال:

جزى الله عنا حمزة بنة نوفل		جزاء مغل بالأمانة كاذب

وقد مضى هذا في آل عمران. "إخوانا على سرر متقابلين" أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواصلا وتحاببا؛ عن مجاهد وغيره. وقيل: الأسرة تدور كيفما شاءوا، فلا يرى أحد قفا أحد. وقيل: "متقابلين" قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهن بالود. وسرر جمع سرير. مثل جديد وجدد.

وقيل: هو من السرور؛ فكأنه مكان رفيع ممهد للسرور. والأول أظهر. قال ابن عباس: (على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر)، السرير ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة. "وإخوانا" نصب على الحال من "المتقين" أو من المضمر في "ادخلوها"، أو من المضمر في "آمنين"، أو يكون حالا مقدرة من الهاء والميم في "صدورهم »{[1]}.

إن الله سبحانه وتعالى نزع ما في قلوبهم من حقد وغل. "أي أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا والغل هو الحقد والحسد وهذا من أعمال العقل وهو مضمر لديهم لم يحدثوا به أحد، فالله سبحانه وتعالى ينزعه من عقول المؤمنين في الجنة. وقلنا أن المعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل. وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم. وهذا ما نزع من عقولهم وكلمة صدورهم هي كناية عن عقولهم. فأطلق الكلمة وقصد بها عقولهم. وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم. وهذا ما نزع من عقولهم وكلمة صدورهم كناية عن عقولهم. فأطلق كلمة وقصد بها العقول{[2]}.

٢٣. قال الله سبحانه وتعالى:

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ سورة النمل

« أي تخفي صدورهم وقرأ ابن محيصن وحميد: "ما تكن" من كننت الشيء إذا سترته هنا. وفي [القصص] تقديره: ما تكن صدورهم عليه؛

---

[1] – تفسير لقرطبي .

[2] – راجع من الكتاب تفسير آية ٤٣ سورة الأعراف

وكأن الضمير الذي في كالجسم السائر. ومن قرأ: "تكن" فهو المعروف؛ يقال: أكننت الشيء إذا أخفيته في نفسك. "وما يعلنون" يظهرون من الأمور »{[1]}.

إن الله سبحانه وتعالى يعلم ما أخفيتم وسترتم في أنفسكم من أحكام على الوقائع ومفاهيم والأحكام هي من نتاج عملية التفكير فيكون معنى صدورهم: عقولهم. وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم. وهذا ما تخفونه في عقولكم وكلمة صدورهم كناية عن عقولهم. فأطلق كلمة صدورهم وقصد بها عقولهم.

٢٤. قال الله سبحانه وتعالى:

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ سورة القصص

« يظاهرون وقرأ ابن محيصن وحميد: "تكن" بفتح التاء وضم الكاف وقد تقدم هذا في [النمل] تمدح سبحانه بأنه عالم الغيب والشهادة لا يخفي عليه شيء قوله تعالى: "وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم" أي تخفي صدورهم "وما يعلنون" يظهرون من الأمور. وقرأ ابن محيصن وحميد: "ما تكن" من كننت الشيء إذا سترته هنا. وفي "القصص" تقديره: ما تكن صدورهم عليه؛ وكأن الضمير الذي فى كالجسم السائر. ومن قرأ: "تكن" فهو المعروف؛ يقال: أكننت الشيء إذا أخفيته في نفسك »{[2]}.

---

[2] – تفسير لقرطبي .

[1] – تفسير لقرطبي .

إن الله سبحانه وتعالى يعلم ما أخفيتم وسترتم في أنفسكم من أحكام على الوقائع ومفاهيم، والأحكام هي من نتاج عملية التفكير فيكون معنى صدورهم: عقولهم. وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم. وهذا ما تخفونه وتسترونه في عقولكم وكلمة صدورهم كناية عن عقولهم. فأطلق كلمة صدورهم وقصد بها عقولهم.

٢٥. قال الله سبحانه وتعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

سورة غافر

« يخاصمون أي حجة قال الزجاج: المعنى ما في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغي إرادتهم فيه. قدره على الحذف. وقال غيره: المعنى ما هم ببالغي الكبر على غير حذف؛ لأن هؤلاء قوم رأوا أنهم أن اتبعوا النبي ﷺ قل ارتفاعهم، ونقصت أحوالهم، وأنهم يرتفعون إذا لم يكونوا تبعا، فأعلم الله عز وجل أنهم لا يبلغون الارتفاع الذي أملوه بالتكذيب. والمراد المشركون. وقيل: اليهود؛ فالآية مدنية على هذا كما تقدم أول السور. والمعنى: إن تعظموا عن اتباع محمد ﷺ وقالوا إن الدجال سيخرج عن قريب فيرد الملك إلينا، وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله فذلك كبر لا يبلغونه فنزلت الآية فيهم. قال أبو العالية وغيره. وقد تقدم في [آل عمران] أنه يخرج ويطأ البلاد كلها إلا مكة والمدينة. وقد ذكرنا خبره مستوفى في كتاب التذكرة. وهو يهودي واسمه صاف ويكنى أبا يوسف. وقيل: كل من كفر بالنبي ﷺ. وهذا حسن؛ لأنه يعم. وقال مجاهد: معناه

في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها والمعنى واحد. وقيل: المراد بالكبر الأمر الكبير أي يطلبون النبوة أو أمرا كبيرا يصلون به إليك من القتل ونحوه، ولا يبلغون ذلك. أو يتمنون موتك قبل أن يتم دينك ولا يبلغونه»{[1]}.

إن الله سبحانه وتعالى وصفهم بأن في صدورهم تكبر وهذا التكبر لن يصلوه. والتكبر ناتج عن المفاهيم لديهم من خوفهم على مكانتهم بين قومهم. فيكون صدورهم أي: عقولهم. وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم، ومكان إخفاء المعلومات والمفاهيم والأفكار هو العقل وهذا من أعمال العقل. وهذا ما تخفونه في عقولكم وكلمة صدورهم كناية عن عقولهم. فأطلق كلمة صدورهم وقصد بها عقولهم.

٢٦. قال الله سبحانه وتعالى :

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

سورة الحشر

« يعني لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من مال الفيء وغيره؛ كذلك قال الناس. وفيه تقدير حذف مضافين؛ المعنى مس حاجة من فقد ما أوتوا. وكل ما يجد الإنسان في صدره مما يحتاج إلى إزالته فهو حاجة. وكان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غنم عليه الصلاة

[1] – تفسير لقرطبي .

والسلام أموال بني النضير، دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم. ثم قال: (إن أحببتم قسمت ما أفاء الله علي من بني النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم). فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: بل نقسمه بين المهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار). وأعطى رسول الله ﷺ المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئا إلا الثلاثة الذين ذكرناهم. ويحتمل أن يريد به "ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا" إذا كان قليلا بل يقنعون به ويرضون عنه. وقد كانوا على هذه الحالة حين حياة النبي ﷺ دنيا، ثم كانوا عليه بعد موته ﷺ بحكم الدنيا. وقد أنذرهم النبي ﷺ وقال: (سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) »{[1]}.

إن الله سبحانه وتعالى أخبر أن الأنصار رضي الله عنهم لا يوجد لديهم حسد للمهاجرين رضي الله عنهم لما خص به الرسول ﷺ المهاجرين دون الأنصار من فيء بني النضير، وعدم الحسد هو مفهوم ناتج عن فكر. وهنا بين الله سبحانه وتعالى أن الأنصار لا يخفون في صدورهم أي عقولهم أي حقد أو حسد بل يؤاثرونهم على أنفسهم وهذا ناتج عن المفاهيم لديهم عن المهاجرين وحبهم وهذا أيضاً من نتاج العقل فيكون صدورهم أي: عقولهم. وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم:

---

[1] – تفسير لقرطبي .

عقولهم. وهذا ما تخفونه في عقولكم وكلمة صدورهم كناية عن عقولهم. فأطلق كلمة صدورهم وقصد بها عقولهم.

٢٧. قال الله سبحانه وتعالى :

لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾

سورة الحشر

« {لَأَنْتُمْ} يا معشر المسلمين {أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ} أي خوفا وخشية يعني صدور بني النضير. وقيل: في صدور المنافقين. ويحتمل أن يرجع إلى الفريقين؛ أي يخافون منكم أكثر مما يخافون من ربهم ذلك الخوف. {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} أي لا يفقهون قدر عظمة الله وقدرته »{[1]}.

إن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنهم يخافون ويخشون المسلمين أكثر من خشيتهم الله. فالخوف والخشية لا يكونان إلا بعد عملية تفكير ويصبح هذا الفكر مفهوماً. وهما ناتجين عن الفكر فخوفهم من المسلمين أشد من خوفهم من الله سبحانه وتعالى وهذا ما يخفونه في صدورهم أي عقولهم. فيكون صدورهم أي: عقولهم. وهذا وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم. ما تخفونه في عقولكم وكلمة صدورهم كناية عن عقولهم. فأطلق كلمة صدورهم وقصد بها عقولهم.

---

[1] – تفسير لقرطبي .

٢٨. قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة آل عمران

« فهو العالم بخفيات وما اشتملت عليه، وبما في السموات والأرض وما احتوت عليه، علام الغيوب لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا يغيب عنه شيء، سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة »{[1]}.

إن الله سبحانه وتعالى أخبرهم بأنهم إن يخفوا أو يبدوا شيء في صدورهم أي عقولهم من مفاهيم وأحكام يعلمه وهذا لا يكون إلا من عملية تفكير فبعدها يكون الإخفاء أو الإظهار. فيكون معنى صدوركم أي: عقولكم. أي لا تكن في حرج أي ضيق وهذا الضيق لا يكون إلا بعد عملية تفكير فينتج عنه مفهوم فيسبب الحرج وهو الضيق وهذا هو الشعور والشعور هو الميول مربوطة بالمفاهيم عن الشيء، أي إحساس ناتج عن مفهوم أي فكر وهذا هو المعنى الشرعي لكلمة صدوركم: عقولكم. ما تخفونه في عقولكم وكلمة صدوركم كناية عن عقولكم. فأطلق كلمة صدوركم وقصد بها عقولكم، وهذا ما يخفونه في صدورهم أي عقولهم. فيكون صدورهم أي: عقولهم. وهذا وهو المعنى الشرعي لكلمة صدورهم: عقولهم.

---

[1] – تفسير لقرطبي .

٢٩. قال الله سبحانه وتعالى:

كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ **سورة الأعراف**

« "و"كتاب" خبره. كأنه قال: "المص" حروف كتاب أنزل إليك" وقال الكسائي: أي هذا كتاب. "حرج" أي ضيق؛ أي لا يضيق صدرك بالإبلاغ؛ لأنه روي عنه عليه السلام أنه قال: (إني أخاف أن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة) الحديث. خرجه مسلم. قال الكَيّا: فظاهره النهي، ومعناه نفي الحرج عنه؛ أي لا يضيق صدرك ألا يؤمنوا به، فإنما عليك البلاغ، وليس عليك سوى الإنذار به من شيء من إيمانهم أو كفرهم، ومثله قوله تعالى: "فلعلك باخع نفسك" [الكهف: ٦] الآية. وقال: "لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين" [الشعراء: ٣]. ومذهب مجاهد وقتادة أن الحرج هنا الشك، وليس هذا شك الكفر إنما هو شك الضيق. وكذلك قوله تعالى: "ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون" [الحجر: ٩٧]. وقيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته. وفيه بعد. والهاء في "منه" للقرآن. وقيل: للإنذار؛ أي أنزل إليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه. فالكلام فيه تقديم وتأخير. وقيل للتكذيب الذي يعطيه قوة الكلام. أي فلا يكن في صدرك ضيق من تكذيب المكذبين له »{[1]}.

{أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب. والمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل قال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧)

---

[1] – تفسير لقرطبي .

سورة الحجر أنظر تفسير. آية ٩٧ سورة الحجر}{[٢]} أي لا تكن في حرج أي ضيق من تكذيبهم وهذا الضيق لا يكون إلا بعد عملية تفكير فينتج عنه مفهوم فيسبب الحرج وهو الضيق وهذا هو الشعور والشعور هو الميول مربوطة بالمفاهيم عن الشيء، أي إحساس ناتج عن مفهوم أي فكر فعلى هذا يكون صدرك: عقلك وهو المعنى الشرعي الكلمة الصدر.

٣٠. قال الله سبحانه وتعالى:

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ سورة التوبة

« "قاتلوهم" أمر. "يعذبهم الله" جوابه. وهو جزم بمعنى المجازاة: "والتقدير: إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين". بنو خزاعة، على ما ذكرنا عن مجاهد. فإن قريشا أعانت بني بكر عليهم، وكانت خزاعة حلفاء النبي ﷺ. فأنشد رجل من بني بكر هجاء رسول الله ﷺ، فقال له بعض خزاعة: لئن أعدته لأكسرن فمك، فأعاده فكسر فاه وثار بينهم قتال، فقتلوا من الخزاعيين أقواما، فخرج عمرو بن سالم الخزاعي في نفر إلى النبي ﷺ وأخبره به، فدخل منزل ميمونة وقال: (اسكبوا إلي ماء) فجعل يغتسل وهو يقول: (لا نصرت إن لم أنصر بني كعب). ثم أمر رسول الله ﷺ بالتجهز والخروج إلى مكة فكان الفتح »{[١]}.

---

[٢] – راجع من الكتاب تفسير آية ٩٧ سورة الحجر

[١] – تفسير لقرطبي .

{أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب. والمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل قال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) سورة الحجر أنظر تفسير. آية ٩٧ سورة الحجر}"{[١]} والتقدير: إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين". فالشفاء لما في النصر.

فيكون نتيجة قتلهم وتعذيبهم الكفار بأيدي المؤمنين فالنصر يحدث نشوة عند المنتصر وهذه النشوة هي إحساس وهذا هو الشعور والشعور هو الميول مربوطة بالمفاهيم عن الشيء، أي إحساس ناتج عن مفهوم أي فكر فعلى هذا يكون صدور عقول وهو المعنى الشرعي الكلمة الصدر.

٣١. قال الله سبحانه وتعالى :

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ سورة الحجر

« أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب . أي بما تسمعه من تكذيبك ورد قولك، وتنال. وينالـه أصحابك من أعدائك »{[٢]}.

أنظر قولهم في التفسير {أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب} والمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل فالله سبحانه وتعالى يعلم ما سوف تحكمونه من أحكام على الوقائع من قبل أن تحدثوا به أحد من حديث النفس { أي عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين}"

---

[٢] – راجع من الكتاب تفسير آية ٩٧ سورة الحجر

[١] – تفسير لقرطبي .

(القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر){١} أي لا تكن في حرج أي ضيق من تكذيبهم وهذا الضيق لا يكون إلا بعد عملية تفكير فينتج عنه مفهوم فيسبب الحرج وهو الضيق وهذا هو الشعور والشعور هو الميول مربوطة بالمفاهيم عن الشيء، أي إحساس ناتج عن مفهوم أي فكر فعلى هذا يكون صدرك عقلك وهو المعنى الشرعي الكلمة الصدر.

٣٢. قال الله سبحانه وتعالى:

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ سورة النحل

« قال أهل التفسير نزلت في عمار ابن ياسر، قال ابن عباس رضي الله عنهما أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيباً وبلال وخباباً وسالماً فعذبوهم وربطت سمية بين بعيرين وَوُجِئ قُبُلُها بحربة، وقيل لها أنك أسلمت من أجل الرجال، فقتلت وقتل زوجها ياسر. وأما عَمّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مُكْرَهاً، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ((كيف تجد قلبك))؟ قال: مطمئن بالإيمان. فقال رسول الله ﷺ ((فإن عادوا فَعُدْ)) أي وسعه لقبول الكفر، ولا يقدر أحد على ذلك إلا الله ؛ و (صدرا) نصب على المفعول. وهو عذاب جهنم »{[1]}.

---

٢ – راجع من الكتاب تفسير آية ٧ سورة البقرة صفحة ٦٢

[1] – تفسير لقرطبي .

إن الله سبحانه وتعالى بين حكم الحالة الملجئة وهي المفضية إلا الموت أو قطع عضو أو بتسبب بمرض مزمن هذه هي حالة الإكراه – أو ما تسمى بعرف الفقهاء الحالة الملجئة – فهذه هي الحالة التي يرخص الشرع بها للمسلم أن ينطق بالكفر باللسان أمام الأعداء دون الاعتقاد فيجب أن يتكون العقيدة سليمة والعقيدة هي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل أي الإيمان وهذا ما يخفيه المسلم المكره عن العدو. لذلك قال تعالى {إلا من أكره} وانشراح الصدر بالكفر والرضا به والاطمئنان له هذا ما توعد الله فاعله بالعقاب من غضب وعذاب عظيم لأن هذا كفر ومحل العقيدة هو العقل أي من قبل بالكفر ورضي به متعلق بالاعتقاد وهذا من التصديق بالكفر ومحل التصديق هو العقل، وقلنا أن الصدر هو القلب {أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب. والمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل قال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) سورة الحجر أنظر تفسير. آية ٩٧ سورة الحجر}{[1]} فيكون صدراً عقلاً وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدر.

٣٣. قال الله سبحانه وتعالى :

أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ سورة الإسراء

[1] – راجع من الكتاب تفسير آية ٩٧ سورة الحجر

« قال مجاهد: يعني السموات والأرض والجبال لعظمها في النفوس. وهو معنى قول قتادة. يقول: كونوا ما شئتم، فإن الله يميتكم ثم يبعثكم. "وقال ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن جبير ومجاهد أيضا وعكرمة وأبو صالح والضحاك: يعني الموت"؛ لأنه ليس شيء أكبر في نفس ابن آدم منه؛ قال أمية بن أبي الصلت:

وللموت خلق في النفوس فظيع

يقول: إنكم لو خلقتم من حجارة أو حديد أو كنتم الموت لأميتنكم ولأبعثنكم؛ لأن القدرة التي بها أنشأتكم بها نعيدكم. وهو معنى قوله: "فسيقولون من يعيدنا". وفي الحديث أنه (يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار). وقيل: أراد به البعث؛ لأنه كان أكبر في صدورهم؛ قاله الكلبي. "فطركم" خلقكم وأنشأكم. أي يحركون رءوسهم استهزاء؛ يقال: نغض رأسه ينغض وينغض نغضا ونغوضا؛ أي تحرك. وأنغض رأسه أي حركه، كالمتعجب من الشيء؛ ومنه قوله تعالى: "فسينغضون إليك رءوسهم". قال الراجز:

أنغض نحوي رأسه وأقنعا

ويقال أيضا: نغض فلان رأسه أي حركه؛ يتعدى ولا يتعدى، حكاه الأخفش. ويقال: نغضت سنه؛ أي حركت وانقلعت. قال الراجز:

ونغضت من هرم أسنانها

وقال آخر:

لما رأتني انغضت لي الرأسا

وقال آخر:

لا ماء في المقراة إن لم تنهض		بمسد فوق المحال النغض

المحال والمحالة: البكرة العظيمة التي يستقي بها الإبل. أي البعث والإعادة وهذا الوقت. أي هو قريب؛ لأن عسى واجب؛ نظيره "وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا" [الأحزاب: ٦٣] و "لعل الساعة قريب" [الشورى: ١٧]. وكل، ما هو آت فهو قريب »{[١]}.

{أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب والمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل قال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) سورة الحجر أنظر تفسير. آية ٩٧ سورة الحجر}{[٢]} وما يكبر في الصدر لا يكون إلا بعد عملية تفكير أنظر قولهم في التفسير "وقال ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن جبير ومجاهد أيضا وعكرمة وأبو صالح والضحاك: يعني الموت"؛ وهل الموت صغير في الأعين أي في النفوس فهم يخفون في عقولهم مفاهيم عظم الموت أو مفاهيم عظم خلق السموات والأرض والجبال فهذه مخلوقات ولديهم مفاهيم عن هذه الأشياء أنها صعبة. فالله سبحانه وتعالى أخبرهم بأن ما يخفونه في صدوره أي عقولهم أعظم من الموت أو خلق السماوات والأرض والجبال وهذه هي المفاهيم التي لديهم. فمحل المفاهيم هو العقل وهو الذي يخفي فيه. فيكون معنى صدوركم عقولكم وهو المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير لقرطبي .

٢– راجع من الكتاب تفسير آية ٩٧ سورة الحجر

٣٤. قال الله سبحانه وتعالى :

قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ سورة طه

« طلب الإعانة لتبليغ الرسالة. ويقال إن الله أعلمه بأنه ربط على قلب فرعون وأنه لا يؤمن؛ فقال موسى: يا رب فكيف تأمرني أن آتيه وقد ربطت على قلبه؛ فأتاه ملك من خزان الريح فقال يا موسى انطلق إلى ما أمرك الله به. فقال موسى عند ذلك: "رب أشرح لي صدري" أي وسعه ونوره بالإيمان والنبوة »{[1]}.

فشرح صدر موسى عليه الصلاة والسلام أي أن موسى عليه الصلاة والسلام طلب من لله سبحانه وتعالى أن يسهل وينور ويوفق له الإيمان وهذا محله العقل {أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب. والمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل قال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) سورة الحجر أنظر تفسير. آية ٩٧ سورة الحجر }{[1]} وانشراح الصدر يكون بتيسير الإيمان والتوفيق وهذا لا يكون إلا بعد عملية تفكير أنظر قولهم في التفسير "فقال موسى عند ذلك: "رب أشرح لي صدري" أي وسعه ونوره بالإيمان والنبوة فالتسهيل والتيسير والتوفيق هي سبل الهداية من الله عز وجل. فمكان الإيمان العقل وهو نتيجة التفكير فيكون معنى صدري عقلي وهو المعنى الشرعي.

---

[1] – تفسير لقرطبي .

[2] – راجع من الكتاب تفسير آية ٩٧ سورة الحجر

٣٥. قال الله سبحانه وتعالى :

وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴿١٣﴾ سورة الشعراء

« لتكذيبهم إياي. وقراءة العامة "ويضيق" "ولا ينطلق" بالرفع على الاستئناف. وقرأ يعقوب وعيسى بن عمرو أبو حيوة: "ويضيق - ولا ينطلق" بالنصب فيهما ردا على قوله: "أن يكذبون" قال الكسائي: القراءة بالرفع؛ يعني في "يضيق صدري ولا ينطلق لسانى" من وجهين: أحدهما الابتداء والآخر بمعنى وإني يضيق صدري ولا ينطلق لساني يعني نسقا على "إني أخاف" قال الفراء: ويقرأ بالنصب. حكي ذلك عن الأعرج وطلحة وعيسى بن عمر وكلاهما له وجه. قال النحاس: الوجه لرفع؛ لأن النصب عطف على "يكذبون" وهذا بعيد يدل على ذلك قوله عز وجل: "واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي" [طه: ٢٧-٢٨] فهذا يدل على أن هذه كذا. في المحاجة على ما أحب؛ وكان في لسانه عقدة على ما تقدم في "طه". أرسل إليه جبريل بالوحي، واجعله رسولا معي ليؤازرني ويظاهرني ويعاونني. ولم يذكر هنا ليعينني؛ لأن المعنى كان معلوما، وقد صرح به في سورة "طه": "واجعل لي وزيرا" [طه: ٢٩] وفي القصص: "أرسله معي ردءا يصدقني" [القصص: ٣٤] وكأن موسى أذن له في هذا السؤال، ولم يكن ذلك استعفاء من الرسالة بل طلب من يعينه. ففي هذا دليل على أن من لا يستقل بأمر، ويخاف من نفسه تقصيرا، أن يأخذ من يستعين به عليه، ولا يلحقه في ذلك لوم »{[1]}.

[1] – تفسير لقرطبي .

إن موسى عليه السلام خشي أن يضيق عقله عند سماع فرعون وهو ويكذب رسالته التي أرسله الله بها فيغضب موسى عند سماع فرعون يكذب الرسالة وكان موسى عليه السلام سريع الغضب لله عز وجل لذلك قد فيتصرف موسى عند سماعه تكذيب فرعون تصرف لا يكون حسب ما طلبه الله سبحانه وتعالى منه وقد لا يحسن الإتيان بالدلائل والبرهان الدقيقة لإثبات الرسالة، لذلك طلب من الله عز وجل أن يرسل معه أخيه هارون عليه الصلاة والسلام. وضيق الصدر لموسى عليه السلام ناتج عن المفاهيم عن فرعون. وعنه وأيضاً فإن موسى عليه الصلاة والسلام يعلم أنه سريع الغضب وكل هذا من نتاج العقل. {أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب. والمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل قال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) سورة الحجر أنظر تفسير. آية ٩٧ سورة الحجر}{[1]}. فالمعنى الشرعي لكلمة الصدر هو العقل وهو المقصود.

٣٦. قال الله سبحانه وتعالى :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ سورة العنكبوت

[1] – راجع من الكتاب تفسير آية ٩٧ سورة الحجر

« الآية نزلت في المنافقين كانوا يقولن آمنا بالله وقال مجاهد: نزلت في ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا وقال الضحاك: نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فإذا أوذوا رجعوا إلي الشرك. أي أذاهم في الآخرة فارتد عن إيمانه وقيل: جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الأذية في الله أي للمؤمنين هؤلاء المرتدون وهم كاذبون فقال الله لهم: "أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين" يعني الله أعلم بما في صدورهم منهم بأنفسهم »{[1]}.

{أي قلبك؛ لأن الصدر محل القلب. والمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل قال تعالى (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) سورة الحجر أنظر تفسير. آية ٩٧ سورة الحجر}{[2]} أي أن الله سبحانه وتعالى أعلم بما يخفونه من مفاهيم وأفكار في عقولهم فالذي يخفي المعلومات من أحكام ومفاهيم هو العقل وليس القلب أو الصدر، فيكون معنى صدور عقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدور.

٣٧. قال الله سبحانه وتعالى :

بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ سورة العنكبوت

---

[1] – تفسير لقرطبي .

[2] – راجع من الكتاب تفسير آية ٩٧ سورة الحجر

« {أي ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون من أنه سحر أو شعر ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه وهي كذلك في صدور الذين أوتوا العلم وهم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون به يحفظونه ويقرؤونه ووصفهم بالعلم؛ لأنهم ميزوا بأفهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين} وقال قتادة وابن عباس: "بل هو" يعني محمدا ﷺ: "آيات بينات في صدور اللذين أوتوا العلم" من أهل الكتاب يجدونه مكتوبا عندهم في كتبهم بهذه الصفة أميا لا يقرأ؛ ولا يكتب ولكنهم ظلموا أنفسهم وكتموا وهذا اختيار الطبري ودليل هذا القول قراءة ابن مسعود وابن السميقع: "بل هذا آيات بينات" وكان عليه السلام آيات لا آية واحدة؛ لأنه دل على أشياء كثيرة من أمر الدين؛ فلهذا قال: "بل هو آيات بينات" وقيل: بل هو ذو آيات بينات فحذف المضاف. أي الكفار؛ لأنهم جحدوا نبوته وما جاء به »{[١]}.

قال القرطبي في تفسير الآية {أي ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون من أنه سحر أو شعر ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه وهي كذلك في صدور الذين أوتوا العلم وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به يحفظونه ويقرؤونه ووصفهم بالعلم؛ لأنهم ميزوا بأفهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين}

فمعرفة أن القرآن ليس بسحر ولا بشعر ومعرفة الأحكام وفهمهم هذا ليدلل دلالة واضحة على أن معنى الصدر هنا العقل، لأن العقل هو

---

[١] – تفسير لقرطبي .

المسؤول عن الفهم والحفظ والتميز والحكم، لذلك عبر سبحانه وتعالى عن القرآن أنه إثبات وحجة وبرهان في صدور أي عقول الذين يعلمون فالقرآن هو الذي يرشدهم فيكون معنى صدور عقول وهو المعنى الشرعي.

٣٨. قال الله سبحانه وتعالى :

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ سورة غافر

« في الوبر والصوف والشعر واللبن والزبد والسمن والجبن وغير ذلك. أي تحمل الأثقال والأسفار. وقد مضى في [النحل] بيان هذا كله فلا معنى لإعادته. يعني الأنعام في البر وفي البحر »{[١]}.

قوله تعالى {حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ} أي حاجة في عقولكم والتي تفكرون بها من المنافع التي يحتاجها الإنسان وهذا من أعمال العقل يخفي ما يريد ويستر عن غيره ما يريد فالله سبحانه وتعالى بين أن لكم حاجات وهو يعلمها وأقركم على هذه الحاجات. فالمعنى الشرعي لصدوركم: عقولكم.

٣٩. قال الله سبحانه وتعالى :

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ سورة الشرح

---

[١] – تفسير لقرطبي .

« شرح الصدر: فتحه؛ أي ألم نفتح صدرك للإسلام. "وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: ألم نلين لك قلبك". وروى الضحاك عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله، أينشرح الصدر؟ قال: [نعم وينفسح]. قالوا: يا رسول الله، وهل لذلك علامة؟ قال: [نعم التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاعتداد للموت، قبل نزول الموت]. وقد مضى هذا المعنى في "الزمر" عند قوله تعالى: "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه". "وروي عن الحسن قال: "ألم نشرح لك صدرك" قال: مُلئ حِكما وعلما". وفي الصحيح عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة – رجل من قومه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فبينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول: أحد الثلاثة فأُتيت بطست من ذهب، فيها ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا) قال قتادة قلت: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطني، قال: [فاستخرج قلبي، فغسل قلبي بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيمانا وحكمة]. وفي الحديث قصة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جاءني ملكان في صورة طائر، معهما ماء وثلج، فشرح أحدهما صدري، وفتح الآخر بمنقاره فيه فغسله). وفي حديث آخر قال: [جاءني ملك فشق عن قلبي، فاستخرج منه عذرة، وقال: قلبك وكيع، وعيناك بصيرتان، وأذناك سميعتان، أنت محمد رسول الله، لسانك صادق، ونفسك مطمئنة، وخلقك قثم، وأنت قيم]. قال أهل اللغة: قوله [وكيع] أي يحفظ ما يوضع فيه. يقال: سقاء وكيع؛ أي قوي يحفظ ما يوضع فيه. واستوكعت معدته، أي قويت وقوله: [قثم] أي جامع. يقال: رجل قثوم للخير؛ أي جامع له.

ومعنى "ألم نشرح" قد شرحنا؛ الدليل؛ على ذلك قوله في النسق عليه: "ووضعنا عنك وزرك"، فهذا عطف على التأويل، لا على التنزيل؛ لأنه لو كان على التنزيل لقال: ونضع عنك وزرك. فدل هذا على أن معنى "ألم نشرح": قد شرحنا. و "لم" جحد، وفي الاستفهام طرف من الجحد، وإذا وقع جحد، رجع إلى التحقيق؛ كقوله تعالى: "أليس الله بأحكم الحاكمين" [التين: ٨]. ومعناه: الله أحكم الحاكمين. وكذا "أليس الله بكاف عبده" [الزمر: ٣٦]. ومثله قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان:

ألستم خير من ركب المطايا		وأندى العالمين بطون راح

المعنى: أنتم كذا »{[1]}.

قوله وتعالى {ألم نشرح لك صدرك} أي أن الله سبحانه وتعالى يُيسّر ويُسهل لك الإسلام وألانَ لك قلبك أي جعل عقلك يتقبل الإسلام وقوله في تفسير قال القرطبي في تفسير الآية وقد مضى هذا المعنى في "الزمر" عند قوله تعالى: "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه". "وروي عن الحسن قال: " ألم نشرح لك صدرك" قال: مُلئ حكما وعلما". فعلى هذا يكون المقصود بصدرك عقلك وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدر وردت العديد من أحاديث رسول الله ﷺ قرنت بالعلم والحكمة وهذا ليدلل دلالة واضحة على أن المقصود هي العقول وهو المعنى الشرعي.

[1] – تفسير لقرطبي .

ملاحظة:- ﴿ لقد وردت بعض الأحاديث عن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، تتحدث عن الصدر وهي تصف ما حدث للرسول الكريم ﷺ مع جبريل عليه السلام فهي خاصة في الرسول ﷺ وتصف ما حدث معه وهي نصوص شرعية نقف عندها حد النص لا نزيد عليها ولا ننقص فهي توقيفية تؤخذ كما وردت بدون زيادة أو نقصان أما ما عدى هذه الأحاديث الخاصة بالرسول ﷺ فمعناها العقل وهو المعنى الشرعي لكلمة القلب والصدر في الأحاديث والقرآن الكريم.

« ففي الصحيح عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة - رجل من قومه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فبينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول: أحد الثلاثة فأُتيت بطست من ذهب، فيها ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا) قال قتادة قلت: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطني، قال: [فاستخرج قلبي، فغسل قلبي بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيمانا وحكمة]. وفي الحديث قصة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جاءني ملكان في صورة طائر، معهما ماء وثلج، فشرح أحدهما صدري، وفتح الآخر بمنقاره فيه فغسله). وفي حديث آخر قال: [جاءني ملك فشق عن قلبي، فاستخرج منه عذرة، وقال: قلبك وكيع، وعيناك بصيرتان، وأذناك سميعتان، أنت محمد رسول الله، لسانك صادق، ونفسك مطمئنة، وخلقك قثم، وأنت قيم] ﴾- »{[1]}.

فهذا يأخذ توقيفي كما ورد دون زيادة أو نقصان. - وتم افراد شرح لهذه الاحاديث في موضعه تحت عنوان -

---

[1] - تفسير القرطبي

فعليه يبقى معنى الصدر في الآيات والأحاديث الأخرى هو المعنى الشرعي وهو العقل.

٤٠. قال الله سبحانه وتعالى:

ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ سورة الناس

« قال مقاتل: إن الشيطان في صورة خنزير، يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق، سلطه الله على ذلك؛ فذلك قوله تعالى: "الذي يوسوس في صدور الناس". وفي الصحيح عن النبي ﷺ: [إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم]. وهذا يصحح ما قاله مقاتل. وروى شهر بن حوشب عن أبي ثعلبة الخشني قال: سألت الله أن يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم فرأيته، يداه في يديه، ورجلاه في رجليه، ومشاعبه في جسده؛ غير أن له خطما كخطم الكلب، فإذا ذكر الله خنس وكنس، وإذا سكت عن ذكر الله أخذ بقلبه. فعلى، ما وصف أبو ثعلبة أنه متشعب في الجسد؛ أي في كل عضو منه شعبة. وروي عن عبد الرحمن بن الأسود أو غيره من التابعين أنه قال – وقد كبر سنه –: ما أمنت الزنى وما يؤمنني أن يدخل الشيطان ذكره فيوتده! فهذا القول ينبئك أنه متشعب في الجسد، وهذا معنى قول مقاتل. ووسوسته: هو الدعاء لطاعته بكلام خفي، يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت »{[1]}.

[1] – تفسير لقرطبي .

{قال مقاتل. ووسوسته: هو الدعاء لطاعته بكلام خفي، يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت}. ووسوسة الشيطان هي عبارة عن تردد الأفكار والمفاهيم على عقل وذلك بتزيين الشيطان المحرمات للشخص فيحبب له مثل النظر للمرأة الأجنبية فيردده على عقله أن هذه المرأة جميلة وهذا النظر من الصغائر فيردد ذلك على عقله. ومثل الغش يزين له أن هذا العمل بسيط ويزد في الربح وهكذا يزين الأفعال القبيحة للمسلم فمن يقبل بذلك يكون قد أطاع الشيطان {الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} أي أن الشيطان يدخل الأفكار إلى الإنسان ويعرض له أفكارا تخالف الأحكام الشرعية ويأخذ بتزيين الأفعال القبيحة له بأنها أفعال لا شيء فيها وهذا هو الوسواس الذي يوسوس في العقول وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدر.

الآيات التي وردت فيها كلمة الفؤاد

لقد وردت كلمة الفؤاد ومختلف ألفاظها في القرآن الكريم ١٦ مرة حسب هذا الجدول

الرقم	اللفظة	التكرار	الرقم	اللفظة	التكرار
١	فُؤَادُ	١	٢	أَفْئِدَةُ	٢
٣	الْأَفْئِدَةِ	١	٤	أَفْئِدَتَهُمْ	٢
٥	وَأَفْئِدَتُهُمْ	١	٦	وَالْأَفْئِدَةَ	٤
٧	وَالْفُؤَادَ	١	٨	فُؤَادَكَ	٢
٩	الْفُؤَادُ	١	١٠	وَأَفْئِدَةً	١

١- قال الله سبحانه وتعالى :

وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ سورة الأنعام

« هذه آية مشكلة، ولا سيما وفيها "ونذرهم في طغيانهم يعمهون". قيل: المعنى ونقلب أفئدتهم وأنظارهم يوم القيامة على لهب النار وحر الجمر؛ كما لم يؤمنوا في الدنيا. "ونذرهم" في الدنيا، أي نمهلهم ولا نعاقبهم؛ فبعض الآية في الآخرة، وبعضها في الدنيا. ونظيرها "وجوه يومئذ خاشعة" [الغاشية: ٢] فهذا في الآخرة. "عاملة ناصبة" في الدنيا. وقيل: ونقلب في الدنيا؛ أي نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية، كما حلنا

بينهم وبين الإيمان أول مرة؛ لما دعوتهم وأظهرت المعجزة. وفي التنزيل: "واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه" [الأنفال: ٢٤]. والمعنى: كان ينبغي أن يؤمنوا إذا جاءتهم الآية فرأوها بأبصارهم وعرفوها بقلوبهم؛ فإذا لم يؤمنوا كان ذلك بتقليب الله قلوبهم وأبصارهم. ودخلت الكاف على محذوف، أي فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة؛ أي أول مرة أتتهم الآيات التي عجزوا عن معارضتها مثل القرآن وغيره. "وقيل: ونقلب أفئدة هؤلاء كيلا يؤمنوا"؛ كما لم تؤمن كفار الأمم السالفة لما رأوا ما اقترحوا من الآيات. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير؛ أي أنها إذا جاءت لا يؤمنون كما لم يؤمنوا أول مرة ونقلب أفئدتهم وأبصارهم. يتحيرون. وقد مضى في "البقرة" »{[1]}.

قال في لسان العرب ومعجم الوسيط: الفُؤَادُ: القلبُ؛ لا هم عنده ولا حزن. سيىء الحال.

ولهَم والحزن محلهم العقل وهم من الأحكام على الوقائع فينتج عن ذلك الهم والحزن أو السرور. وقلنا أن معنى القلب هو العقل وهو المعنى الشرعي فالإيمان من نتاج العقل وهو ناتج عن عملية تفكير فالمعنى الشرعي لكلمة الفؤاد هو العقل.

٢- قال الله سبحانه وتعالى :

وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ سورة الأنعام

---

[1] – تفسير لقرطبي .

« تصغى تميل؛ يقال: صغوت أصغو صغوا وصغوا، وصغيت أصغي، وصغيت بالكسر أيضا. يقال منه: صغي يصغى صغى وصغيا، وأصغيت إليه إصغاء بمعنىً. قال الشاعر:

ترى السفيه به عن كل محكمة		زيغ وفيه إلى التشبيه إصغاء

ويقال: أصغيت الإناء إذا أملته ليجتمع ما فيه. وأصله الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض. ومنه صغت النجوم: مالت للغروب. وفي التنزيل: "فقد صغت قلوبكما" [التحريم: ٤]. قال أبو زيد: يقال صغوه معك وصغوه، وصغاه معك، أي ميله. وفي الحديث: (فأصغى لها الإناء) يعني للهرة. وأكرموا فلانا في صاغيته، أي في قرابته الذين يميلون إليه ويطلبون ما عنده. وأصغت الناقة إذا أمالت رأسها إلى الرجل كأنها تستمع شيئا حين يشد عليها الرحل. قال ذو الرمة:

تصغي إذا شدها بالكور جانحة		حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

واللام في ولتصغى لام كي، والعامل فيها "يوحي" تقديره: يوحي بعضهم إلى بعض ليغروهم ولتصغى. وزعم بعضهم أنها لام الأمر، وهو غلط؛ لأنه كان يجب "ولتصغ إليه" بحذف الألف، وإنما هي لام كي. وكذلك وليقترفوا إلا أن الحسن قرأ "وليرضوه وليقترفوا" بإسكان اللام، جعلها لام أمر فيه معنى التهديد؛ كما يقال: أفعل ما شئت. أي وليكتسبوا؛ عن ابن عباس والسدي وابن زيد. يقال: خرج يقترف أهله أي يكتسب لهم. وقارف فلان هذا الأمر إذا واقعه وعمله. وقرفتني بما ادعيت علي، أي رميتني بالريبة. وقرف القرحة إذا قشر منها. واقترف كذبا. قال رؤبة:

أعيا اقتراف الكذب المقروف		تقوى التقي وعفة العفيف

وأصله اقتطاع قطعة من الشيء »{[1]}.

الصغي: الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض والإصغاء يكون عن رغبة للسماع وهذا من عمل العقل بدليل نص الآية فموضوع الآية هو الإيمان وهو ناتج عن عملية تفكير والتفكير من نتاج العقل فيكون أفئدة بمعنى قلوب. والقلب له معنى شرعي وهو العقل ، فالمعنى الشرعي لكلمة الفؤاد هو العقل.

٣- قال الله سبحانه وتعالى :

وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ سورة هود

« "كلا" نصب ب"نقص" معناه وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك. وقال الأخفش: "كلا" حال مقدمة، كقولك: كلا ضربت القوم. أي من أخبارهم وصبرهم على أذى قومهم. أي على أداء الرسالة، والصبر على ما ينالك فيها من الأذى. وقيل: نزيدك به تثبيتا ويقينا." وقال ابن عباس: ما نشد به قلبك". وقال ابن جريج: نصبر به قلبك حتى لا تجزع. وقال أهل المعاني: نطيب، والمعنى متقارب. و "ما" بدل من "كلا" المعنى: نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك. أي في هذه السورة؛ عن ابن عباس وأبي موسى وغيرهما؛ وخص هذه السورة لأن فيها أخبار الأنبياء والجنة والنار. وقيل: خصها بالذكر تأكيدا وإن كان الحق في كل القرآن. وقال قتادة والحسن: المعنى في هذه الدنيا، يريد النبوة. الموعظة

[1] - تفسير لقرطبي .

ما يتعظ به من إهلاك الأمم الماضية، والقرون الخالية المكذبة؛ وهذا تشريف لهذه السورة؛ لأن غيرها من السور قد جاء فيها الحق والموعظة والذكرى ولم يقل فيها كما قال في هذه على التخصيص. "وذكرى للمؤمنين" أي يتذكرون ما نزل بمن هلك فيتوبون؛ وخص المؤمنين لأنهم المتعظون إذا سمعوا قصص الأنبياء »{[١]}.

أي أن الله سبحانه وتعالى أخبر نبيه عليه الصلاة والسلام أنه يزيده يقيناً بالموعظة والقصص عن الأنبياء السابقين عليهم السلام وهذا يكون بإعطاء المعلومات عن الأنبياء السابقين وقصصهم وما حصل مع أقوامهم فيرسخ ذلك عند الرسول عليه السلام فيزداد إيماناً ويقيناً فيكون راسخا عنده رسوخ الجبال الراسيات من أن الله سبحانه وتعالى وأن الله سيحقق له ما وعده من نصره في الدنيا ويحقق له مكانه في الآخرة. ومكان تجميع المعلومات هو الذهن وهذا من أعمال العقل وما يحتاج له "وقال ابن عباس: ما نشد به قلبك" وقلنا أن المعنى الشرعي للقلب في القرآن الكريم هو العقل. فيكون المعنى المقصود من كلمة فؤادك هو عقلك وهو المعنى الشرعي للفؤاد.

٤- قال الله سبحانه وتعالى:

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ سورة إبراهيم

[١] – تفسير لقرطبي .

« {الأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب، وقد يعبر عن القلب بالفؤاد} كما قال الشاعر:

وإن فؤادا قادني بصبابة		إليك على طول المدى لصبور

وقيل: جمع وفد، والأصل أوفدة، فقدمت الفاء وقلبت الواو ياء كما هي، فكأنه قال: واجعل وفودا من الناس تهوي إليهم؛ أي تنزع؛ يقال: هوي نحوه إذا مال، وهوت الناقة تهوي هويا فهي هاوية إذا عدت عدوا شديدا كأنها في هواء بئر، وقوله: "تهوي إليهم" مأخوذ منه. قال ابن عباس ومجاهد: لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس، ولكن قال: "من الناس" فهم المسلمون؛ فقوله: "تهوي إليهم" أي تحن إليهم، وتحن إلى زيارة البيت. وقرأ مجاهد "تهوَى إليهم" أي تهواهم وتجلهم. وقال ابن عباس: قول إبراهيم "فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم" سأل أن يجعل الله الناس يهوون السكنى بمكة، فيصير بيتا محرما، وكل ذلك كان والحمد لله. وأول من سكنه جرهم »{[1]}.

الفُؤَادُ: القلب؛ وفي التنزيل العزيز: (مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى). ويقال هو فارغ: الفُؤَادُ: لا هم عنده ولا حزن، أو سيِّء الحال، وبه قال بعض المفسرين؛ في قوله تعالى (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً) سورة القصص آية (١٠) وجمعه أَفئِدَةٌ{٢}.

[1] – تفسير لقرطبي .

٢ - معجم الوسيط .

والفؤاد هو القلب والقلب هو العقل. ألا ترى قولهم في التفسير {الأفئدة جمع فؤاد وهي القلوب، وقد يعبر عن القلب بالفؤاد} والمعنى الشرعي للقلب هو العقل. فيكون المعنى الشرعي للفؤاد هو العقل. أي اجعل عقول المؤمنين تشتاق وتنجذب إلى الذهاب إلى مكة المكرمة وهذا يكون بأن يفكر المؤمن بأداء شعائر الله فيندفع للذهاب لمكة المكرمة وهذا مرتبط من الناحية العقائدية أي العقيدة أي الإيمان وهذا من أعمال العقل فيكون المعنى الشرعي لكلمة الفؤاد هي العقل.

٥- قال الله سبحانه وتعالى :

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾

سورة إبراهيم

« أي مسرعين؛ قاله الحسن وقتادة وسعيد بن حبير؛ مأخوذ من أهطع يهطع إذا أسرع ومنه قوله تعالى: "مهطعين إلى الداع" [القمر: ٨] أي مسرعين. قال الشاعر:

بدجلة دارهم ولقد أراهم		بدجلة مهطعين إلى السماع

وقيل: المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع؛ أي ناظرين من غير أن يطرفوا؛ قاله ابن عباس، وقال مجاهد والضحاك: "مهطعين" أي مديمي النظر. وقال النحاس: والمعروف في اللغة أن يقال: أهطع إذا أسرع؛ قال أبو عبيد: وقد يكون الوجهان جميعا يعني الإسراع مع إدامة النظر. وقال ابن زيد: المهطع الذي لا يرفع رأسه. أي رافعي رؤوسهم ينظرون في ذل. وإقناع الرأس رفعه؛ قال ابن عباس ومجاهد. قال ابن عرفة والقتبي وغيرهما: المقنع الذي يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما بين يديه؛ ومنه

الإقناع في الصلاة وأقنع صوته إذا رفعه. وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد. وقيل: ناكسي رؤوسهم؛ قال المهدوي: ويقال أقنع إذا رفع رأسه، وأقنع إذا رأسه. ذلة وخضوعا، والآية محتملة الوجهين، وقاله المبرد، والقول الأول أعرف في اللغة؛ قال الراجز:

أنغض نحوي رأسه وأقنعا		كأنما أبصر شيئا أطمعا

وقال الشماخ يصف إبلا:

يباكرن العضاة بمقنعات		نواجذهن كالحدأ الوقيع

يعني: برؤوس مرفوعات إليها لتتناولهن. ومنه قيل: مقنعة لارتفاعها. ومنه قنع الرجل إذا رضي؛ أي رفع رأسه عن السؤال. وقنع إذا سأل أي أتى ما يتقنع منه؛ عن النحاس. وفم مقنع أي معطوفة أسنانه إلى داخل. ورجل مقنع بالتشديد؛ أي عليه بيضة قاله الجوهري. أي لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر فهي شاخصة النظر. يقال: طرف الرجل يطرف طرفا إذا أطبق جفنه على الآخر، فسمي النظر طرفا لأنه به يكون. والطرف العين. قال عنترة:

وأغض طرفي ما بدت جارتي		حتى يواري جارتي مأواها

وقال جميل:

أقصر طرفي دون جمل كرامة		لجمل وللطرف الذي أنا قاصره

أي لا تغني شيئا من شدة الخوف. "ابن عباس: خالية من كل خير. السدي: خرجت قلوبهم من صدورهم فنشبت في حلوقهم؛ وقال مجاهد ومرة وابن زيد: خاوية خربة متخرقة ليس فيها خير ولا عقل ؛" كقولك في

البيت الذي ليس فيه شيء: إنما هو هواء؛ وقال ابن عباس: والهواء في اللغة المجوف الخالي؛ ومنه قول حسان:

ألا أبلغ أبا سفيان عني		فأنت مجوفة نخب هواء

وقال زهير يصف صغيرة الرأس:

كأن الرجل منها فوق صعل		من الظلمان جؤجؤه هواء

فارغ أي خال؛ وفي التنزيل: "وأصبح فؤاد أم موسى فارغا" [القصص: ١٠] أي من كل شيء إلا من هم موسى. وقيل: في الكلام إضمار؛ أي ذات هواء وخلاء »{[1]}.

وأفئدتهم هي قلوبهم والقلب هو العقل . ألا ترى قولهم في التفسير "ابن عباس: خالية من كل خير. السدي: خرجت قلوبهم من صدورهم فنشبت في حلوقهم؛ وقال مجاهد ومرة وابن زيد: خاوية خربة متخرقة ليس فيها خير ولا عقل ؛" أي أن الله سبحانه وتعالى جعل عقولهم خربة خالية من الخير أي مصرين على عدم فعل الخير نتيجة حكمهم على الوقائع وهذا أصبح عندهم ومخزن في عقولهم والمعنى الشرعي للقلب هو العقل. فيكون المعنى الشرعي للفؤاد هو العقل.

٦- قال الله سبحانه وتعالى :

وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ سورة النحل

[1] - تفسير لقرطبي .

« ذكر أن من نعمه أن أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا لا علم لكم بشيء. وفيه ثلاثة أقاويل: أحدها: لا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم. الثاني: لا تعلمون شيئا مما قضى عليكم من السعادة والشقاء. الثالث: لا تعلمون شيئا من منافعكم؛ وقرأ الأعمش وابن وثاب وحمزة "إمهاتكم" هنا وفي النور والزمر والنجم، بكسر الهمزة والميم. وأما الكسائي فكسر الهمزة وفتح الميم؛ وإنما كان هذا للإتباع. الباقون بضم الهمزة وفتح الميم على الأصل. وأصل الأمهات: أمات، فزيدت الهاء تأكيدا كما زادوا هاء في أهرقت الماء وأصله أرقت. أي التي تعلمون بها وتدركون؛ "لأن الله جعل ذلك لعباده قبل إخراجهم من البطون وإنما أعطاهم ذلك بعدما أخرجهم؛ أي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي، والأبصار لتبصروا بها آثار صنعه، والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته". والأفئدة: جمع الفؤاد نحو غراب وأغربة. وقد قيل في ضمن قوله "وجعل لكم السمع" إثبات النطق لأن من لم يسمع لم يتكلم، وإذا وجدت حاسة السمع وجد النطق. فيه تأويلان: أحدهما: تشكرون نعمه. الثاني: يعني تبصرون آثار صنعته؛ لأن إبصارها يؤدي إلى الشرك »{[1]}.

لأن الله جعل ذلك لعباده قبل إخراجهم من البطون وإنما أعطاهم ذلك بعدما أن أخرجهم؛ أي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي، والأبصار لتبصروا بها آثار صنعه، والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته". قولهم في التفسير هذا ليدل دلالة واضحة على أن المقصود بالأفئدة العقول لأنها محل المعرفة فيكون المعنى الشرعي الأفئدة هي العقول.

---

[1] – تفسير القرطبي .

٧- قال الله سبحانه وتعالى :

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ سورة الإسراء

« أي يسأل كل واحد منهم عما اكتسب، "فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأس من ذلك وسمع. وقيل: المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده"؛ ونظيره قوله ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فالإنسان راع على جوارحه؛ فكأنه قال كل هذه كان الإنسان عنه مسؤولا، فهو على حذف مضاف. والمعنى الأول أبلغ في الحجة؛ فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي؛ كما قال: "اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون" [يس:٦٠]، وقوله "شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون" [فصلت:٢٠]. وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسئولة، فهي حالة من يعقل، فلذلك عبر عنها بأولئك. وقال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى: "رأيتهم لي ساجدين" [يوسف: ٤]: إنما قال: "رأيتهم" في نجوم، لأنه لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل؛ وقد تقدم. وحكى الزجاج أن العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل بأولئك، وأنشد هو والطبري:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى		والعيش بعد أولئك الأيام

وهذا أمر يوقف عنده. وأما البيت فالرواية فيه "الأقوام" والله أعلم. »{[1]}

أنظر إلى قولهم في تفسير الآية "فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأس من ذلك وسمع. وقيل: المعنى أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده"؛ قال في لسان العرب ومعجم الوسيط : الفُؤَادُ : القلبُ ؛ فقوله سبحانه وتعالى { لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ} فالمقصود أن السمع حاسة والبصر حاسة والفؤاد هو العقل وهو محل التكليف ولذلك قال سبحانه وتعالى { كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } أي صاحب العقل مسئول عن أفعاله وهذا لا يكون إلا بعملية تفكير فالمعنى الشرعي لكلمة الفؤاد هو العقل.

٨- قال الله سبحانه وتعالى:

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

سورة المؤمنون

« عرفهم كثرة نعمه وكمال قدرته. أي ما تشكرون إلا شكرا قليلا. وقيل: أي لا تشكرون البتة »{[2]}.

قال في لسان العرب ومعجم الوسيط: الفُؤَادُ: القلبُ ؛ فقوله سبحانه وتعالى {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} أي خلق لكم حاسة السمع وحاسة البصر وخلق لكم الفؤاد وهو العقل وهو محل التكليف ولذلك قال سبحانه وتعالى {قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} أي أنكم لا

---

[1] – تفسير القرطبي .

[2] – تفسير القرطبي .

تشكرون الله سبحانه وتعالى على هذه النعم التي خلقها لكم وميزكم بها عن سائر الحيوانات بالعقل وأنتم لا تشكرون الله سبحانه وتعالى كما يستحق من الشكر فيكون الخطاب موجه للعقل. وهو الفؤاد فالمعنى الشرعي لكلمة الأفئدة هي العقول.

٩- قال الله سبحانه وتعالى :

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ سورة الفرقان

« اختلف في قائل ذلك على قولين: أحدهما: أنهم كفار قريش؛ قاله ابن عباس. والثاني: انهم اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقا قالوا: هلا أنزل عليه جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود. فقال الله تعالى: "كذلك "أي فعلنا" لنثبت به فؤادك "نقوي به قلبك فتعيه وتحمله"؛ لأن الكتب المتقدمة أنزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون، والقرآن أنزل على نبي أمي؛ ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه ليكون أوعى للنبي ﷺ، وأيسر على العامل به؛ فكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب. قلت: فإن قيل هلا أنزل القرآن دفعة واحدة وحفظه إذا كان ذلك في قدرته؟. قيل: في قدرة الله أن يعلمه الكتاب والقرآن في لحظة واحدة، ولكنه لم يفعل ولا معترض عليه في حكمه، وقد بينا وجه الحكمة في ذلك. وقد قيل: إن قوله "كذلك" من كلام المشركين، أي لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك، أي كالتوراة والإنجيل، فيتم الوقف على "كذلك"

ثم يبتدئ "لنثبت به فؤادك". ويجوز أن يكون الوقف على قوله: "جملة واحدة" ثم يبتدئ "كذلك لتثبت به فؤادك" على معنى أنزلناه عليك كذلك متفرقا لنثبت به فؤادك. قال ابن الأنباري: والوجه الأول أجود وأحسن، والقول الثاني قد جاء به التفسير، حدثنا محمد بن عثمان الشيبي قال حدثنا منجاب قال حدثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر" [القدر: ١] قال: أنزل القرآن جملة واحدة من عند الله عز وجل في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء، فنجمه السفرة الكرام على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل عليه السلام على محمد عشرين سنة. قال: فهو قوله "فلا أقسم بمواقع النجوم" [الواقعة: ٧٥] يعني نجوم القرآن "وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. إنه لقرآن كريم" [الواقعة: ٧٦-٧٧]. قال: فلما لم ينزل على النبي ﷺ جملة واحدة، قال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة؛ فقال الله تبارك وتعالى: "كذلك لنثبت به فؤادك" يا محمد. يقول: ورسلناه ترسيلا؛ يقول: شيئا بعد شيء »{[١]}.

أي فعلنا" لنثبت به فؤادك" نقوي به قلبك فتعيه وتحمله"؛ هذا قول القرطبي. فالوعي والحمل أي الحفظ والفهم أي أن الخطاب موجه للعقل لأنه محل الوعي والحفظ فيحمله الرسول عليه الصلاة والسلام للناس فيبلغهم القرآن الكريم وما أنزل عليه من السنة الشريفة وهذا من أعمال العقل فيكون معنى فؤادك قلبك فهو المعنى الشرعي.

---

[١] – تفسير القرطبي .

١٠-قال الله سبحانه وتعالى :

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ سورة القصص

« قال ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وأبو عمران الجوني وأبو عبيدة: "فارغا" أي خاليا من ذكر كل شيء في الدنيا إلا من ذكر موسى وقال الحسن أيضا وابن إسحاق وابن زيد: "فارغا" من الوحي إذ أوحى إليها حين أمرت أن تلقيه في البحر "لا تخافي ولا تحزني" والعهد الذي عهده إليها أن يرده ويجعله من المرسلين؛ فقال لها الشيطان: يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فغرقتيه أنت! ثم بلغها أن ولدها وقع في يد فرعون فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها وقال أبو عبيدة: "فارغا" من الغم والحزن لعلمها أنه لم يغرق؛ وقاله الأخفش أيضا وقال العلاء بن زياد: "فارغا" نافرا الكسائي: ناسيا ذاهلا وقيل: والها؛ رواه سعيد بن جبير ابن القاسم عن مالك: هو ذهاب العقل؛ والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهش، "ونحوه قوله تعالى: "وأفئدتهم هواء" [إبراهيم: ٤٣] أي جوف لا عقول لها كما تقدم في سورة [إبراهيم] { وذلك أن القلوب مراكز العقول }؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: "فتكون لهم قلوب يعقلون بها" [الحج: ٤٦]" ويدل عليه قراءة من قرأ: "فزعا" النحاس: أصح هذه الأقوال الأول، والذين قالوه أعلم بكتاب الله عز وجل؛ فإذا كان فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى فهو فارغ من الوحي وقول أبي عبيدة فارغا من

الغم غلط قبيح؛ لأن بعده "إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها" [القصص: ١٠] وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كادت تقول وإبناه ! وقرأ فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه ومحمد بن السميقع وأبو العالية وابن محيصن: "فزعا" بالفاء والعين المهملة من الفزع، أي خائفة عليه أن يقتل ابن عباس: "قرعا" بالقاف والراء والعين المهملتين، وهى راجعة إلى قراءة الجماعة "فارغا" ولذلك قيل للرأس الذي لا شعر عليه: أقرع؛ لفراغه من الشعر وحكي قطرب أن بعض أصحاب النبي ﷺ قرأ: "فرغا": الفاء والراء والغين المعجمة من غير ألف، وهو كقولك: هدرا وباطلا؛ يقال: دماؤهم بينهم فرغ أي هدر؛ والمعنى بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها وفي قول تعالى: "وأصبح" وجهان: أحدهما: أنها ألقته ليلا فأصبح فؤادها في النهار فارغا الثاني: ألقته نهارا ومعنى: "وأصبح" أي صار؛ كما قال الشاعر:

مضى الخلفاء بالأمر الرشيد		وأصبحت المدينة للوليد

»{[1]}

قال القرطبي في تفسير الآية "ونحوه قوله تعالى: "وأفئدتهم هواء" [إبراهيم: ٤٣] أي جوف لا عقول لها كما تقدم في سورة [إبراهيم] {وذلك أن القلوب مراكز العقول}؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: "فتكون لهم قلوب يعقلون بها" [الحج: ٤٦]" هذا القول جوفاء لا عقول لها وقولهم القلوب مراكز العقول يدلل على المعنى الشرعي لكلمة الفؤاد وهو العقل لذلك يكون معنى الفؤاد هو العقل.

[1] – تفسير القرطبي .

١١-قال الله سبحانه وتعالى :

ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ سورة السجدة

« رجع إلى آدم، أي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه. ثم رجع إلى ذريته فقال: "وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة" وقيل: ثم جعل ذلك الماء المهين خلقا معتدلا، وركب فيه الروح وأضافه إلى نفسه تشريفا. وأيضا فإنه من فعله وخلقه كما أضاف العبد إليه بقوله: "عبدي". وعبر عنه بالنفخ لأن الروح في جنس الريح. وقد مضى هذا مبينا في "النساء" وغيرها. "أي ثم أنتم لا تشكرون بل تكفرون" »{[1]}.

فالكفر والشكر لا يكون إلا بعد عملية تفكير قال القرطبي في تفسيره "ونحوه قوله تعالى: "وأفئدتهم هواء" [إبراهيم: ٤٣] أي جوف لا عقول لها كما تقدم في سورة [إبراهيم] { وذلك أن القلوب مراكز العقول } ألا ترى إلى قوله تعالى: "فتكون لهم قلوب يعقلون بها" [الحج: ٤٦] {[2]}" هذا القول جوفاء لا عقول لها وقولهم القلوب مراكز العقول يدلل على المعنى الشرعي لكلمة الفؤاد وهو العقل المعنى الشرعي الأفئدة هي العقول.

[1]- تفسير القرطبي .

[1] – راجع تفسير الآية ١٠ من سورة القصص

١٢- قال الله سبحانه وتعالى :

وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾

سورة الأحقاف

« قيل: إن "إن" زائدة، تقديره ولقد مكناكم فيما مكناكم فيه. وهذا قول القتبي. وأنشد الأخفش:

يرجي المرء ما إن لا يراه		وتعرض دون أدناه الخطوب

وقال آخر:

فما إن طبنا جبن ولكن		منايانا ودولة آخرينا

وقيل: إن "ما" بمعنى الذي. و "إن" بمعنى ما، والتقدير ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه، قاله المبرد. وقيل: شرطية وجوابها مضمر محذوف، والتقدير ولقد مكناهم في ما إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر وعنادكم أشد، وتم الكلام. "يعني قلوبا يفقهون بها". ما أغنت عنهم من عذاب الله. يكفرون بآيات الله أحاط بهم ما كانوا به يستهزئون. »{[١]}

ألا ترى قولهم في التفسير "يعني قلوبا يفقهون بها" فهذا ليدل على أن المقصود أفئدة عقول لأن الفقه وهو المعرفة وهذا من نتاج العقل فهو المعنى الشرعي لكمة الفؤاد.

---

[١] – تفسير القرطبي .

١٣-قال الله سبحانه وتعالى :

مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ سورة النجم

« أي لم يكذب قلب محمد ﷺ ليلة المعراج"؛ وذلك أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية. وقيل: كانت رؤية حقيقة بالبصر. والأول مروي عن ابن عباس. وفي صحيح مسلم أنه رآه بقلبه. وهو قول أبي ذر وجماعة من الصحابة. والثاني قول أنس وجماعة. وروي عن ابن عباس أيضا أنه قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ. وروي عن ابن عباس أيضا أنه قال: أما نحن بني هاشم فنقول إن محمدا رأى ربه مرتين. وقد مضى القول في هذا في "الأنعام" عند قوله: "لا تدركه" الأبصار وهو يدرك الأبصار" [الأنعام: ١٠٣]. وروى محمد بن كعب قال: قلنا يا رسول الله صلى الله عليك رأيت ربك؟ قال: (رأيته بفؤادي مرتين) ثم قرأ: "ما كذب الفؤاد ما رأى". وقول: ثالث أنه رأى جلاله وعظمته؛ قال الحسن. وروى أبو العالية قال: سئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: (رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك). وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: (نور أني أراه) المعنى غلبني من النور وبهرني منه ما منعني من رؤيته. ودل على هذا الرواية الأخرى (رأيت نورا). وقال ابن مسعود: رأى جبريل على صورته مرتين. وقرأ هشام عن ابن عامر وأهل الشام "ما كذب" بالتشديد أي ما كذب قلب محمد ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه. فـ"ما" مفعول

بغير حرف مقدر؛ لأنه يتعدى مشددا بغير حرف. ويجوز أن تكون "ما" بمعنى الذي والعائد محذوف، ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرا. الباقون مخففا؛ أي ما كذب فؤاد محمد فيما رأى؛ فأسقط حرف الصفة. قال حسان رضي الله عنه:

لوكنت صادقة الذي حدثتني		لنجوت منجى الحارث بن هشام

أي في الذي حدثتني. ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرا. ويجوز أن يكون بمعنى الذي؛ أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذي رأى. »{[1]}

قولهم في التفسير "أي لم يكذب قلب محمد ﷺ ليلة المعراج"؛ أي لم يكذب عقل محمد ﷺ في رؤية ربه سبحانه وتعالى ليلة المعراج فالتصديق والتكذيب هو من أعمال العقل فالمعنى الشرعي للقلب هو العقل فيكون المعنى الشرعي للفؤاد هو العقل.

[1] – تفسير القرطبي .

١٤- قال الله سبحانه وتعالى :

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ **سورة الملك**

« أمر نبيه أن يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم بأن الله خلقهم. "وجعل لهم الأفئدة يعني القلوب" أي لا تشكرون هذه النعم، ولا توحدون الله تعالى. تقول: قلما أفعل كذا؛ أي لا أفعله. »{[1]}

قولهم في التفسير "وجعل لهم الأفئدة يعني القلوب" وقال في التفسير "ونحوه قوله تعالى: "وأفئدتهم هواء" [إبراهيم: ٤٣] أي جوفاء لا عقول لها كما تقدم في سورة [إبراهيم] { وذلك أن القلوب مراكز العقول } ألا ترى إلى قوله تعالى: "فتكون لهم قلوب يعقلون بها" [الحج: ٤٦]" هذا القول جوفاء لا عقول لها وقولهم القلوب مراكز العقول يدلل على المعنى الشرعي لكلمة الفؤاد وهو العقل. راجع أية ١٠ سورة القصص. .{[2]}

١٥- قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾﴾ **سورة الهمزة**

---

[1] – تفسير القرطبي .

٢ – راجع تفسير الآية ١٠ من سورة القصص

« قال محمد بن كعب: تأكل النار جميع ما في أجسادهم، حتى إذا بلغت إلى الفؤاد، خلقوا خلقا جديدا، فرجعت تأكلهم. وكذا روى خالد بن أبي عمران عن النبي ﷺ: (أن النار تأكل أهلها، حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت، ثم إذا صدروا تعود، فذلك قول تعالى: "نار الله الموقدة. التي تطلع على الأفئدة":. وخص الأفئدة لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه. أي إنه في حال من يموت وهم لا يموتون؛ كما قال الله تعالى: "لا يموت فيها ولا يحيى" [طه: ٧٤] فهم إذاً أحياء في معنى الأموات. "وقيل: معنى "تطلع على الأفئدة" أي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب؛ وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه ". ويقال: أطلع فلان على كذا: أي علمه ". وقد قال الله تعالى: "تدعو من أدبر وتولى" [المعارج: ١٧]. وقال تعالى: "إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا" [الفرقان: ١٢]. فوصفها بهذا، فلا يبعد أن توصف بالعلم. »{[١]}

وقيل: معنى "تطلع على الأفئدة" أي تعلم مقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب؛ وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمارة الدالة عليه ". ويقال: أطلع فلان على كذا: أي علمه "قال في تفسير أية ١٠ من سورة القصص قال القرطبي في تفسير الآية" ونحوه قوله تعالى: "وأفئدتهم هواء " [إبراهيم: ٤٣] أي جوف لا عقول لها كما تقدم في سورة [إبراهيم] { وذلك أن القلوب مراكز العقول }؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: "فتكون لهم قلوب يعقلون بها" [الحج: ٤٦] " هذا القول جوفاء أي لا

---

[١] – تفسير القرطبي .

عقول لها وقولهم القلوب مراكز العقول يدلل على المعنى الشرعي لكلمة الفؤاد وهو العقل . راجع سورة القصص أية ١٠ {[١]}.

---

[٢] – **راجع من الكتاب – تفسير الآية ١٠ من سورة القصص**

بعض الأحاديث التي وردت فيها كلمة القلب

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ){[1]}

أنظر قوله ﷺ في الحديث { وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } والخواطر هي الأفكار والمفاهيم

الخاطر: الخاطِرُ: ما يَخْطُرُ في القلب من تدبير أَو أَمْرٍ. ابن سيده :الخاطر الهاجس، والجمع الخواطر، وقد خَطَرَ بباله وعليه يَخْطِرُ ويَخْطُرُ، بالضم؛ الأَخيرة عن ابن جني، خُطُوراً إذا ذكره بعد نسيان.{[2]}
الخاطر: هو تخيل الشيء وأن تعرض الأشياء على الذهن فهذا الذي يخطر على قلب البشر أي عقل البشر لأن الخواطر أي الأفكار والمفاهيم هي التي تترد على العقل عند الإنسان فيكون معنى قلب هنا العقل وهو المعنى الشرعي ولآية تبين ذلك فالإخفاء هو إخفاء للمعلومات عن الشيء والعقل محل ذلك.

٢- عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِي اللَّهم عَنْهمَا قَالَ اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

---

[1] – رواه البخاري في صحيحه
[2] – لسان العرب

عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي الله عَنْهمْ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ فِي غَاشِيَةِ أَهْلِهِ فَقَالَ قَدْ قَضَى قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَكَوْا فَقَالَ أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَكَانَ عُمَرُ رَضِي اللَّهم عَنْهم يَضْرِبُ فِيهِ بِالْعَصَا وَيَرْمِي بِالْحِجَارَةِ وَيَحْثِي بِالتُّرَابِ{[1]}

قول النبي ﷺ في الحديث { إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ } والحزن هو عبارة عن الأفكار والمفاهيم الموجودة عند الإنسان عن الأشياء أو الأفعال مثلاً لو علمت بأن هناك عدوا يتربص بك فهذا المفهوم يجعلك في هم وغم وحزن وهذا الحزن من نتاج العقل فالمعنى الشرعي لكلمة القلب هنا العقل.

٣- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ

[1] – رواه البخاري في صحيحه

مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ{[1]}

"المَضِيغةُ: كل عَصبةٍ ذاتِ لحْم، فإِما أَن تكون مما يُمْضَغُ، وإِما أَن تشبه بذلك إِن كان مما لا يؤكل. والمَضِيغةُ: لحم باطِن العَضُد، لذلك أَيضاً. وقال ابن شميل: كل لحم على عظم مَضِيغةٌ والجمع مَضِيغٌ و مَضائِغُ. وقال الليث: كل لحمَة يَفْصِلُ بينها وبين غيرها عِرْقٌ فيه مَضِيغةٌ، قال: واللَّهْزِمةُ مَضِيغةٌ والعَضَلةُ مَضِيغة. والمَضائِغ من وَظيفَي الفرس: رؤوسُ الشّظايتين(٢) لأَن آكِلَها من الوحش يَمْضَغُها، وقد تكون على التشبيه كما تقدم لمَكان المضغ أَيضاً. والمَضِيغة: ما بُلَّ وشُدَّ على طرَف سِيةِ القَوْسِ من العَقَب لأَنه يُمْضَغُ، وقيل: هي العَقَبةُ التي على طرَف السِّيةِ. الأَصمعي: المَضائِغُ العَقَباتُ اللَّواتي على طَرَفِ السِّيَتَيْن. و المُضْغَةُ: القِطْعةُ من اللَّحم لمكان المضغ أَيضاً. التهذيب: المُضْغة قِطعة لحم، وقيل: تكون المُضغة غيرَ اللحم. يقال: أَطْيَبُ مُضْغةٍ أَكلَها الناسُ صَيْحانِيّةٌ مَصْلِيَّةٌ. وقال خالد بن جَنْبةَ: المُضْغةُ من اللحم قَدْرُ ما يُلْقي الإِنسانُ في فيه، ومنه قيل: في الإِنسان مُضغتانِ إِذا صَلَحَتا صَلَحَ البَدَنُ: القلْبُ واللِّسانُ، والجمع مُضَغٌ، وقلْب الإِنسان مُضْغة من جسَده. التهذيب: إِذا صارت العَلَقة التي خُلِقَ منها الإِنسان لَحْمة فهي مُضغة. وفي الحديث: إِن خلق أَحدكم يجمع في بطن أُمه أَربعين يوماً نطفة ثم أَربعين يوماً عَلَقة ثم أَربعين يوماً مضغة ثم يبعث

---

[1] - رواه البخاري في صحيحه

اللَّه إِليه المَلَك. وفي الحديث: إن في ابن آدم مُضْغةٌ إذا صلَحَت صلَحَ الجسدُ كله، يعني القَلْبَ لأَنه قِطْعةُ لحم من الجسد. "{[1]}

نص الحديث يتحدث عن الحلال والحرام ويحث على عدم الوقوع في المشتبهات وهذا العمل هو من نتاج العقل والمضغة القطعة الصغيرة من اللحم فالرسول ﷺ عبر عن الدماغ السليم وهو آلة أساسية لعملية التفكير بالمضغة وقال أنه توجد في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله فهي كناية وأيضاً إن الطب الحديث أصبح يستبدل قلب الإنسان المريض وقد يستعمل آلة بدل منه ولا يتغير في الإنسان شيء من حيث العواطف ولأحاسيس ويبقى تفكيره كما هو لا يتغير ولا يتأثر لذلك يكون معنى القلب هنا المعنى الشرعي وهو العقل.

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا{[2]}

[1] – لسان العرب

[2] – رواه البخاري في صحيحه

قول الرسول ﷺ في الحديث { لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ } فالتباغض هو ناتج عن المفاهيم والأفكار وهذا من أعمال العقل فالمعنى الشرعي لكلمة القلب هو العقل.

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[١]}

موضوع الحديث عن الجنة وما فيها من نعيم وأن هذا النعيم ما لا خطر على قلب بشر أي عقل بشر والخاطر: هو تخيل الشيء أ و أن تعرض الأشياء على الذهن فهذا الذي يخطر على قلب البشر أي عقل البشر لأن الخواطر أي الأفكار والمفاهيم هي التي تترد على العقل عند الإنسان فيكون معنى قلب هنا العقل وهو المعنى الشرعي والآية تبين ذلك فالإخفاء هو إخفاء للمعلومات عن الشيء والعقل محل ذلك.

٦- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي أَرْجُو اللَّهَ وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ قَالَ أَبو عِيسَى

---

[١] - رواه مسلم في صحيحه

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ ثَابِتٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا {[1]}

موضوع الحديث هو الخوف والرجاء وهذان محلهم العقل وهما نتاج المفاهيم فيكون معنى الحديث ما اجتمع الخوف والرجاء في عقل عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطي ما يرجو فالمعنى الشرعي هو المقصود فالقلب هو العقل.

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرَيْ مُسْلِمٍ وَلَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ{[2]}

موضوع الحديث الشح وهو البخل والإيمان وهو العقيدة وهي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل ومحل العقيدة هو العقل فيكون المعنى الشرعي للقلب هو العقل.

٨- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ لِأَهَبَ نَفْسِي لَكَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيْ رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا قَالَ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا فَقَالَ انْظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ يَا

---

[1] - رواه الترمذي في سننه

[2] - رواه الترمذي في سننه

رَسُولَ اللَّهِ وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي قَالَ سَهْلٌ مَا لَهُ رِدَاءٌ فَلَهَا نِصْفُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى طَالَ مَجْلِسُهُ ثُمَّ قَامَ فَرَآهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَلِّيًا فَأَمَرَ بِهِ فَدُعِيَ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ مَعِي سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا عَدَّدَهَا فَقَالَ هَلْ تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ{[1]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { هَلْ تَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ } فالقراءة عن ظهر القلب أي أنه يحفظهم عن غيب والحفظ محله العقل فيكون المقصود هو المعنى الشرعي للقلب وهو العقل.

٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَرْبَعٍ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ{[2]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ } فالخشوع هو ثمرة الإيمان فالعقل الذي لديه مفاهيم الإسلام ينتج عن هذه المفاهيم الشعور بالخشوع وهو مظهر من مظاهر غريزة التدين وهذا من نتاج العقل وهو المعنى الشرعي للقلب هنا.

---

[1] – رواه النسائي في سننه

[2] – رواه النسائي في سننه

١٠- عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ كُنَّا نَلْقَى النَّفَرَ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فَيَقْطَعُونَ حَدِيثَهُمْ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَحَدَّثُونَ فَإِذَا رَأَوْا الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي قَطَعُوا حَدِيثَهُمْ وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّهُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِهِمْ مِنِّي{[١]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { وَاللَّهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّهُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِهِمْ مِنِّي } فالإيمان متعلق بالعقيدة والحب ناتج عن المفاهيم وهما من نتاج العقل فالمعنى الشرعي للقلب هنا العقل.

١١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ قَالَ كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ{[٢]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَد } فالتقي : هو من يلتزم بأحكام الإسلام والنقي : الذي لا توجد عنده شوائب في الاعتقاد والبغي : هو الخرج على أحكام الإسلام والغل : الحقد والحسد : هو تمني زوال النعمة عن غيره وكل هذه مفاهيم وهذا من نتاج العقل فالقلب هنا العقل وهو المعنى الشرعي المقصود.

---

[١] – رواه ابن ماجة في سننه

[٢] – رواه ابن ماجة في سننه

١٢- قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ قَالَ حَدَّثَنَا الْمُبَارَكُ قَالَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ أَنَّ شَيْخًا مِنْ بَنِي سَلِيطٍ أَخْبَرَهُ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُكَلِّمُهُ فِي سَبْيٍ أُصِيبَ لَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَعَلَيْهِ حَلْقَةٌ قَدْ أَطَافَتْ بِهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ عَلَيْهِ إِزَارُ قِطْرٍ لَهُ غَلِيظٌ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ وَهُوَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا التَّقْوَى هَاهُنَا يَقُولُ أَيْ فِي الْقَلْبِ{[١]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { يَقُولُ وَهُوَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا التَّقْوَى هَاهُنَا يَقُولُ أَيْ فِي الْقَلْبِ} الظلم والخذلان هي نتيجة المفاهيم الموجودة عند الإنسان وهما حكم شرعي متعلق بفعال العباد وإشارة الرسول ﷺ إلى القلب هو كناية عما بداخل الإنسان ويخفيه وهذا لا يكون إلا من المفاهيم هي التي تخفى عن الغير والمفاهيم من نتاج العقل فالمعنى الشرعي للقلب هو العقل.

١٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْعَيْنُ تَزْنِي وَالْقَلْبُ يَزْنِي فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ{[٢]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { وَالْقَلْبُ يَزْنِي فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي } فالتمني يكون بالقول أو التفكير بالزنا وهذا من أعمال العقل فالمعنى الشرعي للقلب هو العقل.

---

[١] – رواه أحمد في مسنده

[٢] – رواه أحمد في مسنده

١٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ وَقَلْبٌ مُصْفَحٌ فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فِيهِ نُورُهُ وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ فَقَلْبُ الْكَافِرِ وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ عَرَفَ ثُمَّ أَنْكَرَ وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصْفَحُ فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ فَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقُرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالدَّمُ فَأَيُّ الْمَدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَى الْأُخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ{[١]}

معاني لبعض الكلمات الواردة في الحديث

أَجْرَدُ : قلب: أَجرَدُ: فيه مثلُ السراج يُزْهِرُ أَي ليس فيه غِلٌّ ولا غِشٌّ، فهو على أَصل الفطرة فنور الإيمان فيه يُزهر.

السِّرَاجِ: السَّرَاجَةُ. والسِّراجُ المصباح الزاهر الذي يُسْرَجُ بالليل، والجمع سُرُجٌ.

سِرَاجُهُ : وسَرَجَه الله وسَرَّجَه: وفَّقَه.

أَغْلَفُ: وهو الذي لا يعي شيئاً وفي صفته، صلى الله عليه وسلم: يَفْتَح قُلوباً غُلْفاً أَي مُغَشَّاة مغطاة. واحدها أَغلف.

وفي حديث حذيفة والخُدريّ: القلوب أَربعة فقلب أَغلف أَي عليه غِشاء عن سَماع الحق وقبوله، وهو قلب الكافر،

مَنْكُوسٌ : والمَنكوس من أشكال الرّمل: ثلاثَةُ أزواج مُتَوالِيَة يَتْلوها فَرْدٌ، وبعضهم يُسَمِّيْه الإنْكيس.

---

[١] - رواه أحمد في مسنده

والنُّكْسُ والنُّكَاسُ –بالضم فيهما–: عَوْدُ المَرَضِ بَعْدَ النَّقَهِ، وانْتَكَسَ الرَّجُلُ: وَقَعَ على رأسِهِ، ومنه حديث النبيّ –صلى الله عليه وسلّم–: تَعَسَ وانْتَكَسَ؛ وإذا شِيْكَ فلا انْتَقَشَ.

وقد ذُكِرَ الحديث بتمامِهِ في تركيب ت ع س. والتركيب يدل على القَلْب.

الْمُصْفَحُ : المُمالُ عن الحق؛ وفي الحديث: قلبُ المؤمن مُصْفَحٌ على الحق أَي مُمالٌ عليه، كأَنه قد جعل صَفْحَه أَي جانبه عليه؛ وفي حديث حذيفة أَنه قال: القلوب أَربعة: فقلبٌ أَغْلَفُ فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب رجع إِلى الكفر بعد الإِيمان، وقلب أَجْرُدُ مثل السِّراج يَزْهَرُ فذلك قلب المؤمن، وقلب مُصْفَحٌ اجتمع فيه النفاق والإِيمان، فمَثَلُ الإِيمان فيه كمَثَل بقلة يُمِدُّها الماءُ العذبُ، ومَثَل النفاق كمثل قَرْحة يُمِدُّها القَيْحُ والدمُ، وهو لأَيهما غَلَبَ؛ المُصْفَحُ: الذي له وجهان: يلقى أَهلَ الكفر بوجه وأَهل الإِيمان بوجه.

وصَفْحُ كل شيء: وجهه وناحيته، وهو معنى الحديث الآخر: من شَرِّ الرجال ذو الوجهين، الذي يأْتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وهو المنافق.

الْبَقْلَةِ: بَقْل الرَّبِيع؛ وأَرض بَقِلة وبَقِيلة ومَبْقَلة ومَبْقُلة وبَقَّالة، وعلى مثاله مَزْرَعَة ومَزْرُعَة وزَرَّاعة. وابْتَقَل القومُ إِذا رَعَوا البَقْل.{[1]}

إذا نظرنا لمعنى الكلمات التي وردت في الحديث نجد أن المراد هنا بالقلب المعنى الشرعي وهو العقل فالنور هو الإسلام عقيدة وأحكام وهو كناية عن السراج والأجرد الغل والغش وهما أحكام شرعية والمنكوس:

---

[1] – لسان العرب

المنافق الذي عرف الإيمان وأنكره ومكان تخزين هذه الأحكام هو العقل وأغلف هي الغشاوة من سماع الحق وقبوله والمصقع ذو الوجهين أي المتلون وهذا متعلق بالإيمان ومحلهُ العقل فيكون المعنى الشرعي هو المقصود بأن القلب هو العقل.

١٥- عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا وَلِسَانَهُ صَادِقًا وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً وَعَيْنَهُ نَاظِرَةً فَأَمَّا الْأُذُنُ فَقَمِعٌ وَالْعَيْنُ بِمُقِرَّةٍ لِمَا يُوعَى الْقَلْبُ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِيًا{[١]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ } فإخلاص القلب بالإيمان أي بالعقيدة وهذه من أعمال العقل وسلامة القلب أي من النفاق والشك وقوله { وَالْعَيْنُ بِمُقِرَّةٍ لِمَا يُوعَى الْقَلْبُ } أي القناعة بما توصل له العقل من قناعة وقبول ما توصل له من أن الله سبحانه وتعالى هو المعطي والخالق والمانع وهو المعز وهو المذل وقوله { وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ جَعَلَ قَلْبَهُ وَاعِيًا } أي أفلح وفاز من جعل عقله وعاء للعلم لذلك يكون معنى القلب هنا هو العقل وهو المعنى الشرعي.

١٦- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ وَعَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَعَنِ النَّبِيذِ فِي الدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُزَفَّتِ قَالَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ ثُمَّ بَدَا لِي فِيهِنَّ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ثُمَّ

[١] - رواه أحمد في مسنده

بَدَا لِي أَنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ أَنْ تَأْكُلُوهَا فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ثُمَّ بَدَا لِي أَنَّ النَّاسَ يُتْحِفُونَ ضَيْفَهُمْ وَيُخَبِّئُونَ لِغَائِبِهِمْ فَأَمْسِكُوا مَا شِئْتُمْ وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ فِي هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فَاشْرَبُوا بِمَا شِئْتُمْ وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا فَمَنْ شَاءَ أَوْكَأَ سِقَاءَهُ عَلَى إِثْمٍ{[١]}

معاني لبعض الكلمات الواردة في الحديث

النَّبِيذِ: في الحديث ذكر النبيذ، وهو ما يعمل من الأَشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك. يقال: نبذت التمر والعنب إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً، فصرف من مفعول إلى فعيل. وانتبذته: اتخذته نبيذاً وسواء كان مسكراً أَو غير مسكر فإِنه يقال له نبيذ، ويقال للخمر المعتصَرة من العنب: نبيذ، كما يقال للنبيذ خمر.

الدُّبَّاءِ: القَرْعُ على وزن المُكَّاءِ: وفي الحديث عن النبي، ﷺ: أَنه نهى عن الدُّبَّاء والحَنْتَمِ والنَّقِيرِ؛ وهو أَوعية كانوا يَنْتَبِذُون فيها وضَرِيَت فكان النَّبيذُ فيها يغلي سريعاً ويُسْكِر، فنهاهم عن الانْتِباذ فيها، ثم رَخَّص، ﷺ، في الانْتِباذ فيها بشرط أَن يشربوا ما فيها وهو غير مسكر، وتحريم الانتباذ في هذه الظروف كان في صدر الإسلام، ثم نسخ،

النَّقِيرِ: أَصل خشبة يُنْقَرُ فَيُنْتَبَذ فيه فَيَشْتَدُّ نبيذه

---

[١] – رواه أحمد في مسنده

الْحَنْتَمِ: جِرارٌ خُضْرٌ تَضرب إِلى الحمرة؛ وفي الحديث: أَن النبي، صلى الله عليه وسلم، نهى عن الدُّبَّاءِ والحَنْتَم؛ قال أَبو عبيد: هي جِرارٌ حُمْرٌ كانت تُحْمَلُ إِلى المدينة فيها الخمرُ

الْمُزَفَّت: الزِفْتُ، بالكسر: القيرُ. ومنه المُزَفِّتُ؛ تقول: جَرَّةٌ مُزَفَّتَةٌ، أي مَطْلِيَّةٌ بالزِفْتِ.

أَوْكَأَ: وأَصله من الوِكاءِ، وهو ما يُشَدُّ به الكِيسُ وغيره، كأَنه أَوْكَأَ مَقْعَدَتَه وشَدَّها بالقُعود عَلى الوِطاءِ الذي تحْت.

سِقَاءَهُ: السِّقاءُ القِرْبةُ للماء واللَّبَن.{[1]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ ثُمَّ بَدَا لِي فِيهِنَّ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ثُمَّ بَدَا لِي أَنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ } فرقة القلب هو عبرة عن الخشوع وتذكر بالموت وهذا يجعل المسلم يكثر من فعل الخيرات والخشوع هو ثمرة الإيمان فيكون معنى القلب هو العقل وهو المعنى الشرعي.

١٧- عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَالتَّقْوَى هَاهُنَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْقَلْبِ قَالَ وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ{[2]}

---

[1] – لسان العرب

[2] – رواه أحمد في مسنده

قول الرسول ﷺ في الحديث { وَالتَّقْوَى هَاهُنَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْقَلْبِ قَالَ وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ } والتحقير وهو التقليل من شأن الغير وهذا نتيجة المفاهيم الموجودة عند الإنسان وهو حكم شرعي متعلق بأفعال العباد وإشارة الرسول ﷺ إلى القلب هو كناية عما بداخل الإنسان ويخفيه وهذا لا يكون إلا من المفاهيم هي التي تخفى عن الغير والمفاهيم من نتاج العقل فالمعنى الشرعي للقلب هو العقل.

١٨- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ مِشْكَمٍ قَالَ سَمِعْتُ الْخُشَنِيَّ يَقُولُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِمَا يَحِلُّ لِي وَيُحَرَّمُ عَلَيَّ قَالَ فَصَعَّدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَوَّبَ فِيَّ النَّظَرَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ وَقَالَ لَا تَقْرَبْ لَحْمَ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا ذَا نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ}[١]

قول الرسول ﷺ في الحديث { وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ } فالطمأنينة للقلب لا تكون إلا من سلامة العقيدة ومحل العقيدة هو العقل فعندما يصل العقل للحكم الصحيح في أمر اعتقادي تصبح عنده القناعة في صحة المعتقد فيثبت على هذا الحكم فلا يتغير ولا يتبدل ولا يتردد فيسكن على هذا المعتقد فهذه هي الطمأنينة وقلنا إن الطمأنينة : هي الهدوء بعد الانزعاج وقوله ﷺ { وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ } الإفتاء متعلق بالأحكام الشرعية فالشك بأن الفعل المعين جائز أو غير جائز وعدم معرفة الحكم فتركه يكون من الورع أي التقوى الابتعاد عنه

---

[١] – رواه أحمد في مسنده

أفضل وإن قيل لك أنه جائز وهذا متعلق بالعقل فيكون المعنى الشرعي هو المقصود بأن القلب هو العقل.

١٩- أَخْبَرَنَا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ الْعِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ عَنْ هِشَامٍ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ{[1]}

قول الحسن { الْعِلْمُ عِلْمَانِ فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةٌ } فالعلم في القلب قصد به العلم الذي يعمل به وعلم اللسان هو مجرد العلم أي للمعرفة وليس للعمل به ولم يقصد اللسان كقطعة من الجسد فالعلم مكانه العقل فيكون المعنى الشرعي هو المقصود فالقلب هو العقل – ولقد بحثت الحديث هنا لقول الحسن { عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ } فهو حديث للرسول ﷺ وليس قولا لصحابي – .

---

[1] – رواه الدارمي في سننه

بعض الأحاديث التي وردت فيها كلمة الصدر

١- عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِاللَّهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ مِثْلَهُ تَابَعَهُ بِشْرٌ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ شُعْبَةَ وَتَابَعَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَبْدَةَ عَنْ شَقِيقٍ سَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ{[١]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ } موضوع الحديث هو النسيان والنسيان لا يكون إلا للمعلومات المخزنة في الدماغ وهذا من أعمال العقل فيكون المعنى الشرعي للصدر هو العقل.

٢- وحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِئْسَمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا{[٢]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ } موضوع الحديث هو النسيان والنسيان لا

---

[١] – رواه البخاري في صحيحه

[٢] – رواه مسلم في صحيحه

يكون إلا للمعلومات المخزنة في الدماغ وهذا من أعمال العقل فيكون المعنى الشرعي للصدر هو العقل، والصدر يخفي ما بداخل الإنسان من قلب ورئتين حتى لا يصل إليهم ضرر لسرعت تأثرهما والحفاظ عليهما، ولذلك استعمل القرآن كلمة الصدر كناية – عن القلب أي العقل والصدر– هنا أي ما يخفي عن الغير من معلومات ويخزنها فيه والعقل هو محل هذا. يخفي الأحكام والمفاهيم عن الغير فالصدر كناية لذلك فيكون معنى الصدر هنا المعنى الشرعي هو العقل.

٣– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ أُسَامَةَ وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ دَاوُدَ وَزَادَ وَنَقَصَ وَمِمَّا زَادَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ{[1]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ } موضوع الحديث هو الحلال والحرام أي

[1] – رواه مسلم في صحيحه

هو متعلق بالأحكام الشرعية أنظر قوله عليه الصلاة والسلام { كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ } وهذه أفعال للعباد وهي أحكام شرعية وهي مفاهيم عند المسلم وهذا محله العقل وقلنا إن الصدر يخفي ما بداخل الإنسان من قلب ورئتين أي ما خفي عن الغير والعقل يخفي الأحكام والمفاهيم عن الغير فالصدر كناية لذلك يكون معنى الصدر هنا المعنى الشرعي هو العقل.

٤- عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ تَعَاهَدُوا هَذِهِ الْمَصَاحِفَ وَرُبَّمَا قَالَ الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ مِنْ عُقُلِهِ قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ{[١]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { تَعَاهَدُوا هَذِهِ الْمَصَاحِفَ وَرُبَّمَا قَالَ الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ } موضوع الحديث هو حفظ القرآن الكريم وعدم النسيان والنسيان لا يكون إلا للمعلومات المخزنة في الدماغ وهذا من أعمال العقل فيكون المعنى الشرعي للصدر هو العقل، والصدر يخفي ما بداخل الإنسان من قلب ورئتين أي ما خفي عن الغير والعقل يخفي الأحكام والمفاهيم عن الغير فالصدر كناية لذلك يكون معنى الصدر هنا المعنى الشرعي هو العقل.

---

[١] – رواه مسلم في صحيحه

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَظْهَرُ الْفِتَنُ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ وَيُرْفَعُ الْعِلْمُ فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ يُرْفَعُ الْعِلْمُ قَالَ عُمَرُ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ يُنْزَعُ مِنْ صُدُورِ الْعُلَمَاءِ وَلَكِنْ يَذْهَبُ الْعُلَمَاءُ{[١]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { يُرْفَعُ الْعِلْمُ } موضوع الحديث هو رفع العلم أي نزع العلم من الصدور فقول عمر رضي الله عنه وأرضاه (قَالَ عُمَرُ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ يُنْزَعُ مِنْ صُدُورِ الْعُلَمَاءِ وَلَكِنْ يَذْهَبُ الْعُلَمَاءُ) فعمر رضي الله عنه فهم رفع العلم بموت من يحفظ العلم وليس بنزع العلم من العقول ونزع العلم يكون بموت العلماء أو بالنسيان أو عدم قول الحق. والنسيان لا يكون إلا للمعلومات المخزنة في الدماغ وهذا من أعمال العقل فيكون المعنى الشرعي للصدر هو العقل، والصدر يخفي ما بداخل الإنسان من قلب ورئتين أي ما خفي عن الغير والعقل يخفي الأحكام والمفاهيم عن الغير فالصدر كناية لذلك يكون معنى الصدر هنا المعنى الشرعي هو العقل.

٦- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ{[٢]}

---

[١] – رواه أحمد في مسنده

[٢] رواه أبو داود في سننه

قول الرسول ﷺ في الحديث {وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ} موضوع الحديث هو نزع المهابة المسلمين من عقول الأعداء أي نزع الخوف والخوف لا يكون إلا من المفاهيم الموجودة عند الأعداء عن المسلمين فيكون المعنى الشرعي للصدر هو العقل، والصدر يخفي ما بداخل الإنسان من قلب ورئتين أي ما خفي عن الغير والعقل يخفي الأحكام والمفاهيم عن الغير فالصدر كناية لذلك يكون معنى الصدر هنا المعنى الشرعي هو العقل.

٧- حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الصَّيْرَفِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ فِرَاسٍ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ابْنِ زَكَرِيَّا الرَّاسِبِيُّ حَدَّثَنَا دَفَّاعُ بْنُ دَغْفَلٍ السَّدُوسِيُّ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ صُهَيْبِ الْخَيْرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَحْسَنَ مَا اخْتَضَبْتُمْ بِهِ لَهَذَا السَّوَادُ أَرْغَبُ لِنِسَائِكُمْ فِيكُمْ وَأَهْيَبُ لَكُمْ فِي صُدُورِ عَدُوِّكُمْ *{[١]}

قول الرسول ﷺ في الحديث {وَأَهْيَبُ لَكُمْ فِي صُدُورِ عَدُوِّكُمْ} موضوع الحديث هو زرع المهابة المسلمين في عقول الأعداء أي زرع الخوف في عقول الأعداء والخوف لا يكون إلا من المفاهيم الموجودة عند الأعداء عن المسلمين فيكون المعنى الشرعي للصدر هو العقل، والصدر يخفي ما بداخل الإنسان من قلب ورئتين أي ما خفي عن الغير والعقل يخفي الأحكام والمفاهيم عن الغير فالصدر كناية لذلك يكون معنى الصدر هنا المعنى الشرعي هو العقل.

---

[١] رواه ابن ماجة في سننه

٨- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَسْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ {[١]}

قول الرسول ﷺ في الحديث {الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ حَسْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ} الظلم والخذلان والتحقير هي نتيجة المفاهيم وقوله حرام والحرام هو حكم شرعي متعلق بالأفعال العباد، والصدر يخفي ما بداخل الإنسان من قلب ورئتين أي ما خفي عن الغير والعقل يخفي الأحكام والمفاهيم عن الغير فالصدر كناية لذلك يكون معنى الصدر هنا المعنى الشرعي هو العقل.

٩- عَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ الْأَسَدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِوَابِصَةَ جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ فَضَرَبَ بِهَا صَدْرَهُ وَقَالَ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ يَا وَابِصَةُ ثَلَاثًا الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ *{[٢]}

---

[١] رواه أحمد في مسنده

[٢] رواه الدارمي في سننه

قول الرسول ﷺ في الحديث {الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ اسْتَفْتِ} فالطمأنينة للقلب لا تكون إلا من سلامة العقيدة ومحل العقيدة هو العقل فعندما يصل العقل للحكم الصحيح في أمر اعتقادي تصبح عنده القناعة في صحة المعتقد فيثبت على هذا الحكم فلا يتغير ولا يتبدل ولا يتردد فيسكن على هذا المعتقد فهذه هي الطمأنينة وقلنا إن الطمأنينة: هي الهدوء بعد الانزعاج وهنا الطمأنينة متعلقة بالحكم الشرعي فالشك في الحكم هل جائز أم غير جائز في هذه الحلة يجب تجنب هذا الفعل وهذا ما قصد به وقولهﷺ { وَقَالَ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ يَا وَابِصَةُ ثَلَاثًا} الإفتاء متعلق بالأحكام الشرعية فالشك بأن الفعل المعين وعدم معرفة الحكم يكون من الورع أي التقوى الابتعاد عنه أفضل وإن قيل لك إنه جائز وهذا متعلق بالعقل فيكون المعنى الشرعي هو المقصود بأن القلب هو العقل أما قوله عليه الصلاة والسلام {وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ} المقصود هنا بالصدر ما هو في داخلك أي في عقلك ولا يطلع عليه غيرك والصدر يخفي ما في داخله فهو كناية فالمعنى الشرعي للصدر وهو العقل.

١٠- عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ قَالَ ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ ثُمَّ يَقُولُ التَّقْوَى هَاهُنَا التَّقْوَى هَاهُنَا *{[١]}

قول الرسول ﷺ في الحديث { الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ قَالَ ثُمَّ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَ ثُمَّ يَقُولُ التَّقْوَى هَاهُنَا التَّقْوَى

[١] رواه أحمد في مسنده

هَاهُنَا } الإسلام يعرف من المرء بالشهادتين وأن يظهر التمسك بالأحكام الشرعية ولكن الإيمان هو العقيدة وهي التصديق الجازم المطابق للواقع عن دليل ولا يعلم أنك تصدق تصديق جازم أو لا تصدق تصديق جازم إلا الله سبحانه وتعالى وهذا ما يخفى عن الغير وهو في عقل الإنسان فعندما أشار رسول الله ﷺ على الصدر هو كناية لما تخفي في داخلك أي عقلك فالمعنى الشرعي للصدر والقلب هنا العقل.

بعض الأحاديث التي وردت فيها كلمة الفؤاد

١- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَتْ كُلْنَ مِنْهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ{[1]}

قول الرسول ﷺ في الحديث {التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ}

التَّلْبِنَةُ:- الحَساءُ يتخذ من النخالة ولبن – الحليب – والعسل{[2]}.

الحساء المصنوع من الدقيق والنخالة {[3]}

التَّلْبينة: حَساء يعمل من دقيق أَو نخالة ويجعل فيها عسل، سميت تَلْبينة تشبهاً باللَّبَن لبياضها ورقتها، وهي تسمية بالمَرَّة من التَّلبين مصدر لَبَنَ القومَ أَي سَقاهم اللَّبنَ، وقوله مَجَمَّةٌ لفؤاد المريض أَي تَسْرُو عنه هَمَّه أَي تَكْشِفُه.{[4]}

---

[1] رواه البخاري في صحيحه

[2] معجم الوسيط

[3] كتاب الطب النبوي

[4] لسان العرب

التلبينة:- وأدق وصف لها الشعير المجروش والماء يطبخ فيعمل منهما حساء أي (شوربة) وهي أفضل علاج للكآبة والاضطرابات النفسية. الجم: ضم الشيء أي جمع الأشياء إلا بعضها{[1]}

أما قوله عليه الصلاة والسلام {تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ} فالحزن هي الهموم أي هي نتيجة لمفاهيم معينة عند الشخص تجعله في كآبة وتفكير مستمر بهذه المفاهيم فكلمة {مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ} أي تريح دماغ المريض فتذهب بعض من التفكير في المصاب لذلك تريح المريض أو المصاب بمصيبة والتفكير محله العقل فيكون المقصود بالفؤاد هو العقل وهو المعنى الشرعي.

٢- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَتْ كُلْنَ مِنْهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تُذْهِبُ بَعْضَ الْحُزْنِ *{[2]}

قول الرسول ﷺ في الحديث {التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تُذْهِبُ بَعْضَ الْحُزْنِ}

التَّلْبِنَةُ:- الحَساءُ يتخذ من النخالة ولبن - الحليب - والعسل{[3]}
الحساء المصنوع من الدقيق والنخالة{[1]}

---

[1] من كتاب الحاوي الصغير للتداوي بالأعشاب

[2] رواه مسلم في صحيحه

[3] معجم الوسيط

وأدق وصف لها الشعير المجروش والماء يطبخ فيعمل منهما حساء أي (شوربة) وهي أفضل علاج للكآبة والاضطرابات النفسية. الجم : ضم الشيء أي جمع الأشياء إلا بعضها {[٢]}.

البرمة:- هي القدر المصنوع من الحجارة (الفخار – الصلصال) أو من المعادن كالنحاس أو من غير ذلك مثل الألمنيوم أو الستانلس ستيل.

مُجِمَّةٌ:- مريحة ومنشطة وتزيل الهم.

الثريد :- طعام من اللحم والخبز المفتوت – المطبوخ على مرقته{[٣]}.

أما قوله عليه الصلاة والسلام {تَذْهَبُ بَعْضَ الْحُزْنِ} فالحزن هي الهموم أي هي نتيجة لمفاهيم معينة عند الشخص تجعله في كآبة وتفكير مستمر بهذه المفاهيم فكلمة {مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ} أي تريح دماغ المريض فتذهب بعض من التفكير في المصاب لذلك تريح المريض أو المصاب بمصيبة والتفكير محله العقل فيكون المقصود بالفؤاد هو العقل وهو المعنى الشرعي.

فطريقة عمل التلبينة موجودة في كتاب الحاوي الصغير للتداوي بالأعشاب. لمؤلفه غالب محمد ياسين أبو شخدم الحسيني. وهو نفس المؤلف لهذا الكتاب.

٣- عَنْ طَلْحَةَ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِيَدِهِ سَفَرْجَلَةٌ فَقَالَ دُونَكَهَا يَا طَلْحَةُ فَإِنَّهَا تُجِمُّ الْفُؤَادَ{[١]}

---

[١] كتاب الطب النبوي

[٢] من كتاب الحاوي الصغير للتداوي بالأعشاب

[٣] معجم الوسيط

قول الرسول ﷺ في الحديث { وَبِيَدِهِ سَفَرْجَلَةٌ فَقَالَ دُونَكَهَا يَا طَلْحَةُ فَإِنَّهَا تُجِمُّ الْفُؤَاد}

مُجِمَّةٌ:- مريحة ومنشطة وتزيل الهم

فإزالة الهم أي أنها تزيل الحزن وهي تتعلق بالمفاهيم الموجودة عند الشخص فالأحزان هي الهموم أي هي نتيجة لمفاهيم معينة عند الشخص تجعله في كآبة وتفكير مستمر بهذه المفاهيم فقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث السابقة { مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ } أي تريح دماغ المريض فتذهب بعض من التفكير في المصاب لذلك تريح المريض أو المصاب بمصيبة والتفكير محله العقل فيكون المقصود بالفؤاد هو العقل وهو المعنى الشرعي.

[1] رواه ابن ماجة في سننه

أمثلة على بعض الأحاديث الخاصة بالرسول ﷺ

١- سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ حَدَّثَنَا أَوْ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ يَقُولُ جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ فَقَالُوا أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ تَابَعَهُ قُتَيْبَةُ عَنْ لَيْثٍ عَنْ خَالِدٍ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ أَبِي هِلَالٍ عَنْ جَابِرٍ خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {[١]}

٢- حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، وقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، وَهِشَامٌ، قَالاَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ، وَاليَقْظَانِ - وَذَكَرَ: يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ -، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ

---

[١] - رواه البخاري في صحيحه

مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ البَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ: البُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى، وَيَحْيَى فَقَالاَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ -[١١٠]-، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى، فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ: قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا الغُلاَمُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ

مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلاَلُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا، كَأَنَّهُ آذَانُ الفُيُولِ{[١]} فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ: فَفِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ، فَسَأَلْتُهُ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ، ثُمَّ ثَلاَثِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عِشْرِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مِثْلَهُ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ – [١١١]–: جَعَلَهَا خَمْسًا، فَقَالَ مِثْلَهُ، قُلْتُ: سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ، فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزِي الحَسَنَةَ عَشْرًا، وَقَالَ هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الحَسَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي البَيْتِ المَعْمُورِ.{[٢]}

[١] – الفِيل: معروف، والجمع أَفْيال وفُيُول وفِيَلة؛ لسان العرب

[٢] – رواه البخاري في صحيحه

لقد وردت بعض الأحاديث عن رسول الله ، ﷺ ، تتحدث عن الصدر وهي تصف ما حدث للرسول الكريم ﷺ مع جبريل عليه السلام فهي خاصة في الرسول ﷺ وتصف ما حدث معه وهي نصوص شرعية نقف عندها حد النص، لا نزيد عليها ولا ننقص فهي توقيفية تؤخذ كما وردت بدون زيادة أو نقصان أما ما عدا هذه الأحاديث الخاصة بالرسول ﷺ فمعناها العقل وهو المعنى الشرعي لكلمة القلب في الحديث والقرآن الكريم.

وهذان الحديثان يؤخذان كما رويا ولا يزاد عليهم ولا ينقص ونقف عند النص.

قال القرطبي في الحديث قال القرطبي ففي الصحيح عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة – رجل من قومه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فبينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول: أحد الثلاثة فأُتيت بطست من ذهب، فيها ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا) قال قتادة قلت: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطني، قال: [فاستخرج قلبي، فغسل قلبي بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيمانا وحكمة]. وفي الحديث قصة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جاءني ملكان في صورة طائر، معهما ماء وثلج، فشرح أحدهما صدري، وفتح الآخر بمنقاره فيه فغسله). وفي حديث آخر قال: [جاءني ملك فشق عن قلبي، فاستخرج منه عذرة، وقال: قلبك وكيع، وعيناك بصيرتان، وأذناك سميعتان، أنت محمد رسول الله، لسانك صادق، ونفسك مطمئنة،

وخلقك قثم، وأنت قيم] ﴾ - {[1]} . فهذا يأخذ توقيفي كما ورد دون زيادة أو نقصان{[2]}.

فعليه يبقى معنى الصدر في الآيات والأحاديث الأخرى هو المعنى الشرعي وهو العقل.

٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ قَالَ أَنَسٌ وَقَدْ كُنْتُ أَرْئِي أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ بِلَالٍ قَالَ حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئًا وَأَخَّرَ وَزَادَ وَنَقَصَ.{[3]}

لقد وردت بعض الأحاديث عن رسول الله ، ﷺ ، تتحدث عن الصدر وهي تصف ما حدث للرسول الكريم ﷺ مع جبريل عليه السلام

---

[1] – تفسير القرطبي

[2] – راجع من الكتاب تفسير آية (١) من سورة ألم نشرح .

[3] – رواه مسلم في صحيحه

فهي خاصة في الرسول ﷺ وتصف ما حدث معه وهي نصوص شرعية نقف عندها حد النص لا نزيد عليها ولا ننقص فهي توقيفية تؤخذ كما وردت بدون زيادة أو نقصان أما ما عدا هذه الأحاديث الخاصة بالرسول ﷺ فمعناها العقل وهو المعنى الشرعي لكلمة القلب في الحديث والقرآن الكريم.

وهذا الحديث أيضا توقيفي وهو خاص بالرسول ﷺ قال القرطبي في الحديث قال القرطبي ففي الصحيح عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة - رجل من قومه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فبينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول: أحد الثلاثة فأُتيت بطست من ذهب، فيها ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا) قال قتادة قلت: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطني، قال: [فاستخرج قلبي، فغسل قلبي بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حشي إيمانا وحكمة]. وفي الحديث قصة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (جاءني ملكان في صورة طائر، معهما ماء وثلج، فشرح أحدهما صدري، وفتح الآخر بمنقاره فيه فغسله). وفي حديث آخر قال: [جاءني ملك فشق عن قلبي، فاستخرج منه عذرة، وقال: قلبك وكيع، وعيناك بصيرتان، وأذناك سميعتان، أنت محمد رسول الله، لسانك صادق، ونفسك مطمئنة، وخلقك قثم، وأنت قيم] ﴾-{[١]}. فهذا يأخذ توقيفي كما ورد دون زيادة أو نقصان{[٢]}.

---

[١] – تفسير القرطبي

[٢] – راجع من الكتاب تفسير آية (١) من سورة ألم نشرح .

فعليه يبقى معنى الصدر في الآيات والأحاديث الأخرى هو المعنى الشرعي وهو العقل.

بحث علمي عن القلب المزروع

لقد وضعت هذا البحث لاستكمال الموضوع

يقول بعض الأطباء وهم قلة ولا يعتد برأيهم في العلم الحديث عن بعض الأعضاء مثل القلب والمعدة وبعض الأعصاب أنه يوجد فيهم عقل.

وفي الأغلب الحديث يدور حول واحدة من المُتلقين

١. وهي كلير سيلفيا وهي أول مريضة تشهد تغيراً في الشخصية والمعظم يتحدث عنها فقط. كلير سيلفيا وهي أول مريضة تشهد تغيرا في الشخصية وهي من بوسطن في الولايات المتحدة ومنذ عشرين سنة مضت، كانت الشخص الأول الذي أجريت له عملية زراعة قلب ورئة في مستشفى إنيو هفن، تقول: بعد يومين على العملية الجراحية جاءت الصحافة لتجري مقابلة معي وسألوني الآن وبعد هذه المعجزة ماذا تريدين من العالم أكثر من ذلك قلت أني أتحرق شوقاً للحصول على كأس جعة مع العلم بأنني لست من شاربي الجعة لقد جرحني قليلا جوابي الخاطف لسؤال كهذا

شيئاً فشيئاً تطورت الأمور حتى شعرت بقناعة أني كنت أعيش مع شخص آخر بداخلي.{[١]}

وهؤلاء بعض ممن تمت زارعة قلب لهم ويقولون بتغير عندهم هم

٢.ويقول بيل وهو أجرى عملية زرع قلب منذ خمسة أعوام مضت ، وكان تغيره بعد العملية لافتاَ ويقول إني محظوظ جداً لأني وجدت واهباً

---

[١] – من حلقة – القلب مستودع الذكريات – قناة الجزيرة الوثائقية

خيالياً شخصا يتمتع بصحة متميزة وسيما وذا شخصية قيادية ومظهراً جيداً. لقد شعر بيل أن هناك شخصية جديدة تماماً تقوده إنها شخصية رجل الأعمال سابق، لقد وضع مهنته على جنب، وبدأ حياة جديدة.

كان الدكتور جاك كوبلاند الجراح الذي زرع له القلب، ويقول لقد تحول الرجل بغضون أشهر إلى رياضي ولم نكن نتوقع أن هذا سيحصل له ولكنه بدأ يركب الدراجة ويسبح بنشاط كبير، بعد أشهر من عملية بدأ بيل يتدرب بشكل مفرط، لكنه لم يقابل عائلة واهبه إلى بعد سنة كاملة حيث اكتشف أنه ينمي أشياء مشابه لواهبه، قال بيل أعرف أشياء مشابه لم أوليها اهتماما من قبل لا بد أنها جاءت من مكان ما وأنه واثق من أنها جاءت من واهبي .{[1]}

٣. تقول جامي شيرمان إحدى المرضى الذين زرع لهم قلب جديد: تمنيت بعد أن حصلت على العضو المزروع أن أعرف على الفور من كان الواهب، لتعرف أن عندما يكون هناك شخص يبقيك على قد الحياة ستشعر أنك بحاجة إلى أن تتعرف هذا الشخص،

٤. ويقول أيضا مارتن هاتشينسون أحد المرضى الذين زرع لهم قلب جديد: فقد تحب أن تعرف الحالة التي كان عليها هذا الشخص ، والحالة التي كان عليه في داخله وفي مظهره ما إن كان جيدا أو سيئا.

٥. وميكي بيرن أحد المرضى الذين زرع لهم قلب جديد: أعتقد بأن معظمنا يريد أن يعرف لأنه أصبح لديه جزاء مهما مثل هذا في جسده،

---

[1] – من حلقة – القلب مستودع الذكريات – قناة الجزيرة الوثائقية

٦. ويقول أيضا جيم كلارك أحد المرضى الذين زرع لهم قلب جديد: إني لا أنتظر أن أعرف من هو صاحب هذا القلب الذي جعلني أستمر في الحياة.{[1]}

هام: يقول الدكتور شواتس: لقد قابلت وتتبعت مُتلقي القلوب المزروعة وعائلات الواهبين للقلوب وكان البحث ما هي الأشياء التي تشابه فيها بين الواهب والمُتلقي في تفاصيلهم وذكرياتهم وحاسة الذوق.

لذلك قمت بفحص كل حالة بشكل مستقل وجعلتها موضع اختبار علمي، ثم كتبت تقريراً ببحث رسمي ووصفت فيه تلك الحالات معطيا أمثلة عن البيانات.{[2]}

فمن بين سبعين حاله لمست تغيراً انتهى إلى عشر حالات طابقت شخصياتهم وذكرياتهم مع ذكريات وشخصيات واهبيهم.

وقال البروفيسور مجدي يعقوب - جراحة قلبية :- إني أشك فهذه النظرية التي تقول بحدوث تغير على تصرفات المُتلقي للقلب المزروع لأني أعرف أن القلب عضو لا يستطيع توليد الأفكار أو الذاكرة بالأفكار بالمعنى الذي نعرفه فالقلب من وجهة نظر جراح هو أولا وأساساً وربما أخيراً هو مجرد مضخة.{[3]}

---

[1] - من حلقة - القلب مستودع الذكريات - قناة الجزيرة الوثائقية

[2] - من حلقة - القلب مستودع الذكريات - قناة الجزيرة الوثائقية

[3] - من حلقة - القلب مستودع الذكريات - قناة الجزيرة الوثائقية

خلاصة البحث

قال الله سبحانه وتعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) سورة الإسراء

كرمنا تضعيف كرم ؛ أي جعلنا لهم كرما أي شرفا وفضلا. وقال الضحاك : كرمهم بالنطق والتمييز. والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف. وقال محمد بن جرير الطبري : بتسليطهم على سائر الخلق ، وتسخير سائر الخلق لهم . وقيل : بالكلام والخط . وقيل : بالفهم والتمييز . والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف. وبه يعرف الله ويفهم كلامه ، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله ؛ إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب . فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين ؛ فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء . وما تقدم من الأقوال بعضه أقوى من بعض . وقد جعل الله في بعض الحيوان خصالا يفضل بها ابن آدم أيضا ؛ كجري الفرس وسمعه وإبصاره ، وقوة الفيل وشجاعة الأسد وكرم الديك . وإنما التكريم والتفضيل بالعقل كما بيناه . والله أعلم.{[1]}

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وحباه بالعقل المميز للأشياء وفضله على سائر المخلوقات بهذا العقل المميز وجعله محل التكليف.

[1] – تفسير القرطبي

فعندما أمر الإنسان بالتكاليف الشرعية جعل العقل السليم مناط التكليف وجعل الحساب من ثواب وعقاب لمن يملك هذا العقل وأسقط التكاليف الشرعية عن الإنسان المجنون والنائم والصغير وغير العاقل لذلك بين اكتمال العقل عند الإنسان حتى يبلغ الحلم لذلك قال رسول الله ﷺ عن ابن عباس قال: مر علي بن أبي طالب بمجنونة بني فلان، وقد زنت وأمر عمر بن الخطاب برجمها، فردها علي وقال لعمر: يا أمير المؤمنين، أترجم هذه؟ قال: نعم، قال: أو ما تذكر أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: "رفع القلم عن ثلاث، عن المجنون المغلوب على عقله، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم "؟ قال : صدقت ، فخلى عنها.{[1]}

ولما كان العقل أشرف شيء عند الإنسان وهو المميز له عن سائر الحيوان قال الله سبحانه وتعالى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠){[2]} أي طريقي الخير والشر فالإنسان هو الذي يختار أي الطريقين يسلك وهو المحاسب على هذا، وقال القرطبي في تفسير هذه الآية يعني الطريقين: طريق الخير وطريق الشر. أي بيناهما له بما أرسلناه من الرسل. والنجد. الطريق في ارتفاع. وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما. وروى قتادة قال : ذكر لنا أن النبي – ﷺ – كان يقول " : يا أيها الناس، إنما هما النجدان: نجد الخير، ونجد الشر، فلم تجعل نجد الشر أحب إليك من نجد الخير" فالعقل هو الذي يختار الخير أو الشر

---

[1] – المستدرك على الصحيحين

[2] – سورة البلد

وقال تعالى{ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }(٩){[١]} "إنما يتذكر أولو الألباب" أي أصحاب العقول من المؤمنين{[٢]} فالعلم محله العقل ومن هنا التشريف للإنسان بعقله.

فالعقل المشرف به الإنسان وهذه بعض الأدلة الشرعية التي تدلل على تشرف الإنسان على سائر الخلق وهناك كثير من الأدلة على ذلك.

وأما القلب فهو عبارة عن كتلة مكونة من عضلات ومن مهامه ضخ الدم وتوزيعه في جميع أنحاء الجسم فهو عبارة عن مضخة.

وفي الطب الحديث أصبح إمكانية تغير القلب بقلب متبرع أو وضع قلب اصطناعي مكانه ولم نجد أي تغير على تصرفات الشخص المزروع له قلب.

وأما ما قاله بعض الأطباء والباحثين في الطب الحديث عن أن القلب أنه يعقل فهذا قول خطأ وهم قلة لا يعتد برأيهم والحقيقة والبحوث أثبتت أن القلب هو مجرد مضخة للدم وتستبدل دون أن يحدث تغيرا في المعتقد والمعلومات من معرفة الأقارب والحرفة والعلم والحب والكره ومعاملات وسياقة وجميع المعلومات المتعلقة في جميع مناحي الحياة.

ففي الكتاب البحث العلمي عن القلب فليرجع له في موضعه.

---

[١] – سورة الزمر

[٢] – تفسير القرطبي

لذا لا بد للقارئ الكريم من تتبع الآيات والأحاديث والمعاني اللغوية للكلمات التالية: القلب والصدر والفؤاد والعقل وبعض المصطلحات الحقيقة الشرعية والحقيقة العرفية

ولزيادة التوضيح أكثر عليه تتبع كل آية وحديث وكل معنى ومصطلح في موضعه من الكتاب.

خفقان القلب والرجفة

أما ما يحدث عند الإنسان من بعض الاضطرابات والتي قد يظن البعض أن يكون للقلب فيها بعض المظاهر كالخفقان وزيادة سرعة دقات القلب فهي ناتجة عن ارتفاع إفراز نسبة مادة الأدرينالين{[١]} في الدم

---

[١] – النت من موقع تداووا – والنص من هذا الموقع – والموسوعة الحرة وويكيبيديا

الأدرينالين: وأيضا يسمي الابينفرين وهو هرمون يتم افرازه من الغدة الكظرية(فوق الكلوية) المعروفة باسمه (Adrenal gland) وهو يفرز من لب هذه الغدة وليس من القشرة .. يفرز الادرينالين في حالات الضغط العصبي والجسدي الشديد بكثرة وهذا يظهر في زيادة التنفس وزيادة ضربات القلب وزيادة سكر الدم وضغط الدم وعند الاستثارة العصبية او الجسدية الشديدة. وهو الهرمون الفاعل في النظام العصبي السمباثاو.

أهمية ووظائف الأدرينالين:

يعمل الإدرينالين من خلال مستقبلات خاصه به وهي الفا وبيتا توجد على جميع أجهزة الجسم المختلفة فيؤدى إلى ما يلي – :

- الجلد : يعمل على انقباض أوعية الدم بالجلد
- الرئتين : يعمل علي زيادة اتساع الرئتين
- القلب : زيادة انقباض القلب والعمل علي زيادة ضخ الدم منه
- الكبد : يعمل علي تكسير النشا الموجود بالكبد لرفع سكر الدم

والقلب كباقي أعضاء الجسم في حال تعرضه لأمر ما مفاجئ وهذا ما يسمى بالحركات غير الإرادية والتي تخرج عن سيطرة الشخص مثل أن التعرض لخوف شديد تجد الشخص قد يرتجف جسمه وتزداد دقات قلبه فالتصرف التلقائي الابتعاد عن مصدر الخوف أو تفاجئ بسيارة فالتصرف التلقائي هو الابتعاد عن السيارة وأيضا اليد في حال تعرضها وخزة من شخص بإبرة فردة الفعل الطبيعية للجسم الابتعاد التلقائي وبدون تفكير عن مصدر الوخزة وهكذا.

فالأمر لا يعدو عن كونه حركات غير إرادية للجسم لا تحتاج لعملية تفكير فيبقى عمل القلب المخلوق له وهو عبارة عن مضخة للدم في الجسم فهذا واقع القلب من حيث الواقع المشاهد لكل متبصر

ولابد من الإشارة إلى ما ورد من أحاديث خاصة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم - لقد وردت بعض الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تتحدث عن الصدر والقلب وهي تصف ما حدث للرسول الكريم ﷺ مع جبريل عليه السلام فهي خاصة في الرسول ﷺ وتصف ما حدث معه وهي نصوص شرعية نقف عندها {حد النص} لا نزيد عليها ولا ننقص فهي توقيفية تؤخذ كما وردت دون زيادة أو نقصان.

أما ما عدا هذه الأحاديث الخاصة بالرسول ﷺ.

هذا طبيعة عمل هرمون الادرينالين بالجسم ولذلك استخدمه الأطباء في الحالات الحرجة جدا ومن الحالات الطبية التي يستخدمه الأطباء فيها الحالات المهددة للحياة مثل:

١. الحساسية الشديدة المؤدية إلى الاختناق الشديد والذي قد يصل الي عدم التنفس

٢. الإنعاش القلبي في حالة توقف القلب عن الخفقان.

فمعنى القلب والفؤاد والصدر هو العقل: وهو المعنى الشرعي لكلمات القلب والفؤاد والصدر في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أينما وردت هذه الكلمات وأطلقت أريد بها {العقل وهو المعنى الشرعي}

إن كلمة القلب والصدر والفؤاد التي وردة في الكتاب والسنة معناهم العقل أينما وردوا وقد نقلهم الشارع سبحانه وتعالى نقلا شرعيا وأصبح لهم معنى شرعيا والنقل في الشرع معروف ومشهور عند جمهرة العلماء القدامى والمحدثين

ففي حال نقل الشارع للكلمة يتناسى المعنى اللغوي ولا يرجع له عند إطلاق الكلمة إلا إذا وردت قرينة تدلل على ذلك عندها يرجع للمعنى اللغوي

مع العلم بأن كل الآيات ومعظم الأحاديث موجودة في هذا الكتاب بالتفصيل مع التفسير والتعليق على كل آية أو حديث وتبيان المعنى المقصود لذلك لا بد للقارئ من الرجوع لهم ومتابعتهم

وأيضا وضعت المعاني اللغوية لهذه الكلمات في بداية الكتاب فليرجع لهم.

وعندما ذكر الشارع كلمة القلب: قصد بها العقل وهو نقل لكلمة القلب إلى المعنى الشرعي ومن المعروف أن القلب موجود داخل الصدر ومن الصعوبة الوصول له وهكذا العقل عندما يخزن المعلومات والأحكام على الأشياء ويخفيها عن الغير تكون من الصعوبة الوصول لهذه المعلومات.

وعندما ذكر الشارع كلمة الصدر: قصد بها العقل وهو نقل لكلمة الصدر للمعنى الشرعي ومن المعروف أن الصدر يوجد داخله القلب والرئتين للمحافظة عليهما داخله ولذلك عبر الشارع عن العقل بالصدر لشدة الحرص لما يخفي الإنسان من معلومات وعدم إظهار هذه المعلومات للغير فهي لتبيان أن هذه المعلومات في حصن منيع.

والصدر: هنا عبارة عن شدة الحرص على إخفاء المفاهيم عن الآخرين، وهذه المفاهيم إما أن تكون من العقائد أو الأحكام على الوقائع، وقد تكون خيراَ أو شراَ، فهو يضعها في أكثر مكان أماناَ، فمثله كمن يضع النقود أو المصاغ والجواهر في مكان للمحافظة عليه وعدم وصول غيره لهذا الشيء لشدة حرصه عليه، مثل أن يضعها في بناء وفي داخله خزنة محصنة من عدم السرقة فيجعلها في حرز آمن حتى لا يصل لها غيره ويخفيها عن الآخرين. لذلك يكون الصدر المكان المحصن لإخفاء ما يحرص عدم اطلاع غيره عليه.

فعلى هذا يكون المقصود بصدرك عقلك وهو المعنى الشرعي لكلمة الصدر وردت في العديد من أحاديث رسول الله ﷺ قرنت كلمة الصدر بالعلم والحكمة وهذا ليدلل دلالة واضحة على أن المقصود بالصدور هي العقول وهو المعنى الشرعي. موجودة في الكتاب فليرجع لهم.

ملاحظة : وأما قول الرسول ﷺ في الحديث: (وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) فالمقصود منها هنا داخل الإنسان وما يخفي فيه وهو العقل

وليس المقصود بالمضغة العضو وهو كتلة القلب { وقد استعمل كلمة "إن في الجسد مضغة" في الحديث كناية – وهي مجاز وليست حقيقة } ومما يدلل على ذلك في هذا الوقت الحاضر بأن القلب يستبدل بقلب أخر وقد يكون قلبا لكافر يوضع لمؤمن وقد يستبدل بآلة من معدن – وهو ما يسمى بالقلب الاصطناعي – ولا يتغير المؤمن لا في الإيمان ولا بالأفكار والمفاهيم التي يحملها وهذا واقع محسوس لا ينكره صاحب عقل سوي .

بقيت مسألة واحدة وهي الأحاديث الخاصة بالرسول ﷺ

ملاحظة :- ﴿ لقد وردت بعض الأحاديث عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم، تتحدث عن الصدر وهي تصف ما حدث للرسول الكريم ﷺ مع جبريل عليه السلام فهي خاصة في الرسول ﷺ وتصف ما حدث معه وهي نصوص شرعية نقف عندها حد النص لا نزيد عليها ولا ننقص فهي توقيفية تؤخذ كما وردت دون زيادة أو نقصان أما ما عدا هذه الأحاديث الخاصة بالرسول ﷺ فمعناها العقل وهو المعنى الشرعي لكلمة القلب في الحديث والقرآن الكريم .

وأما الفؤاد فمعناه العقل وهو أيضا المعنى الشرعي لكلمة الفؤاد وهي منقولة نقلا شرعيا فليرجع لكل أية أو حديث والمعاني الغوية ويتتبعهم من الكتاب كل في موضعه.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الخاتمة

لقد أنهيت كتابة هذا الكتاب بعون الله وحمده.

سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يجعله في ميزان حسناتي.

وأن يتجاوز عن الزلات وأن يجعله من العلم الذي ينتفع به.

وسائلاً الله عز وجل حسن العمل والقبول.

وأخيراً أتقدم بالشكر لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب بالشكل الحالي، مراجعة ومونتاجاً.

تم بحمد الله في تاريخ

الرابع من صفر الخير لسنة ٤/٢/١٤٤٠ هـ

الموافق ١٣ / ١٠ / ٢٠١٨ م

غالب محمد ياسين أبو شخدم الحسيني

فلسطين – الخليل

المراجع والمصادر

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٦	القرآن الكريم الإصدار السادس٦.٢	صخر البرامج الحاسب لسنة ١٩٩١م – ١٩٩٥م
١٧	موسوعة الحديث الشريف	صخر البرامج الحاسب لسنة ١٩٩٥م
١٨	الجامع لأحكام القرآن	لأبي عبد الله القرطبي
١٩	التفكير	الشيخ تقي الدين النبهاني
٢٠	الشخصية الإسلامية الجزء الأول	الشيخ تقي الدين النبهاني
٢١	الشخصية الإسلامية الجزء الثاني	الشيخ تقي الدين النبهاني
٢٢	الشخصية الإسلامية الجزء الثالث	الشيخ تقي الدين النبهاني
٢٣	المعجم الوسيط الطبعة الثانية	د. ابراهيم أنيس – د. عبد الحليم منصور – عطية الصوالحي – محمد خلف الله أحمد
٢٤	لسان العرب	المعاجم الإلكترونية
٢٥	قاموس المحيط	المعاجم الإلكترونية

٢٦	الإنترنت	مواقع ومصادر مختلفة
٢٧	من حلقة – القلب مستودع الذكريات – قناة الجزيرة الوثائقية	
٢٨	ونهاك بعض المصادر المختلفة	

الفهرس

الرقم	الموضوع	الصفحة
١.	الإهداء	٢
٢.	تقديم بقلم – الشيخ الاستاذ مصطفى كامل خليل شاور	٣ – ٤
٣.	المقدمة	٥
٤.	البحث اللغوي	٨
٥.	تعريف القلب والعقل والصدر والفؤاد ومرادفاتهما	٨
٦.	تعريف القلب في اللغة	٨
٧.	العقل في اللغة	١٠
٨.	لُبُّ	١٣
٩.	النُّهَى	١٦
١٠.	ذهن	١٨
١١.	حلم	١٩
١٢.	تعريف الفؤاد في اللغة	٢٢
١٣.	الصدر في اللغة	٢٤
١٤.	التفكير تعريف عملية التفكير	٢٨
١٥.	الفكر :– أو العقل – أو الإدراك	
١٦.	عملية التفكير	٣٠
١٧.	الطمأنينة	٣٠

١٨.	الغريزة	٣٠
١٩.	الميول	٣٠
٢٠.	المفاهيم	٣٠
٢١.	الحاجات العضوية	٣١
٢٢.	العقيدة	٣٢
٢٣.	الحقيقة اللغوية	٣٢
٢٤.	الحقية العرفية	٣٢
٢٥.	الحقيقة الشرعية	٣٢
٢٦.	الدماغ	٣٣
٢٧.	الآيات التي ذكر فيه القلب	٢٥
٢٨.	جدول عدد كلمات القلب التي وردت في القرآن الكريم	٣٤
٢٩.	أولاً الآيات التي ذكر فيها القلب وقصد بها المثل	٣٥
٣٠.	ثانياً الآيات التي ذكر فيها القلب	٣٩
٣١.	سورة البقرة آية (٧)	٦٢
٣٢.	الآيات التي وردت صدورهم	١٨٨
٣٣.	جدول عدد الكلمات الصدر التي وردت في القرآن الكريم	١٨٨
٣٤.	أمثلة على بعض الأحاديث الخاصة بالرسول ﷺ	٢٥٠
٣٥.	الآيات التي وردت فيها كلمة الفؤاد	٢٥٢
٣٦.	جدول عدد الكلمات الفؤاد التي وردت في القرآن الكريم	٢٥٢
٣٧.	بعض الأحاديث التي وردت فيها كلمة القلب	٢٧٥

٣٨.	بعض الأحاديث التي وردت فيها كلمة الصدر	٢٩١
٣٩.	بعض الأحاديث التي وردت فيها كلمة الفؤاد	٢٩٩
٤٠.	أمثلة على بعض الأحاديث الخاصة بالرسول ﷺ	٣٠٣
٤١.	خلاصة البحث	٣١٣
٤٢.	المراجع والمصادر	٣٢٢
٤٣.	الخاتمة	٣٢٣
٤٤.	الفهرس	٣٢٤
٤٥.	لا كمال إلا لله	٣٢٧

لا كمال إلا الله

مَن يُؤلف كتاباَ يحبُ أن يكون في أجملِ صورةٍ ويتمنى أن يكونَ على أفضلِ شَكلٍ فهو يريدُهُ شامَةً بين الكُتب وأنىّ لهُ هذا فهو يُحدِثُ نَفسهُ ويؤنبها ما عاش من دهرٍ على ما فَرَّطَ فيه من نَقصٍ أو زِيادة .

هذا إقرار عَجزٍ منا ، وليعذرنا من يقرأ لنا وليُكمِل من هُم بعدنا .

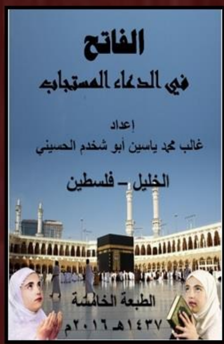
فلا كَمالَ إلا لله عزَّ وجلَّ القائل :-

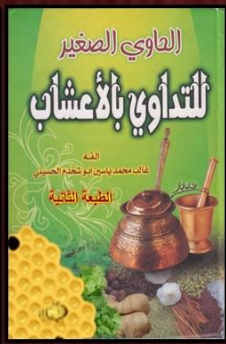
{ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرءَانَ ولو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلافاً كثيراً } صدق الله العظيم .

غالب محمد ياسين أبو شخدم الحسيني

التاريخ ٢٢/ ١ / ١٩٩٨ م

الموافق ٢٤ من شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٨هـ







القلب والعقل
والفؤاد والصدر
في القرآن الكريم والسنة الشريفة

فلسطين - الخليل
الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ ٢٠١٨م